الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العلي والبحث العلمي
جامعة أدرار
كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم الشريعة

تفسير سورة لقمان
(دراسة في التفسير الموضوعي)

إعداد الطالب:
مصطفى بن أحمد مدياني

إشراف الأستاذ الدكتور:
نور الدين طوابة

الموسم الجامعي:
1433/1432هـ-
2012/2011م -

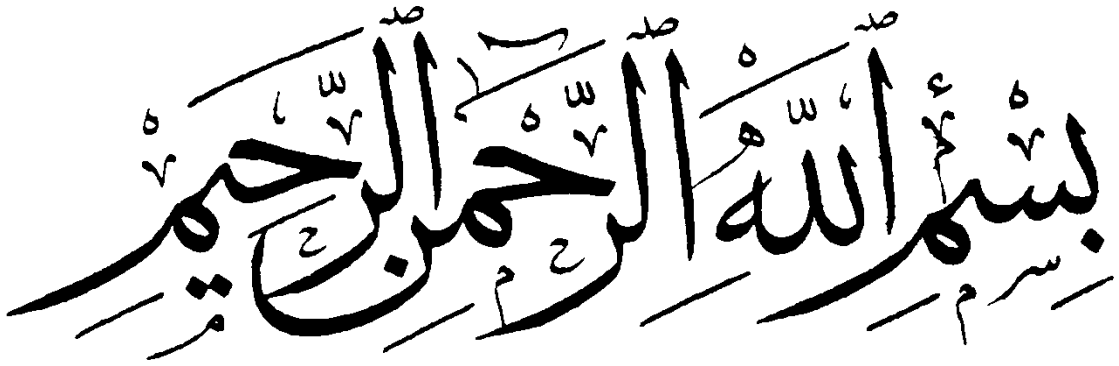
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ

يَهْدِے

لِلَّتِے هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

ٱلْمُومِنِينَ ٱلذِينَ

يَعْمَلُونَ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ

أَجْراً كَبِيراً﴾

إهـــــداء

...ـــ..إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما وأحسن ختامهما.

...ـــ..إلى ركن بيتي وسندي وإلى فلذة كبدي.

...ـــ..إلى كل من ساهم في تعليمي وتكويني وتوجيهي.

...ـــ..إلى جميع أقربائي وأحبائي.

...ـــ..إلى كل من ساهم في إعداد هذا العمل من قريب أو بعيد.

...ـــ..إلى كل محب للقرءان الكريم وسنة المصطفى*صلى الله عليه وسلم*.

...ـــ..إلى كل طالب للعلم وباحث عن الحقيقة.

...ـــ..إلى كل من أحب الله فأطاعه.

شكر وتقدير

انطلاقا من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم:

« من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

فإني أتوجه بالشكر الخالص المفعم بالعرفان إلى:

*الأستاذ الدكتور المشرف: نور الدين طوابة على تضحياته الجسام من أجل إتمام هذا العمل بصرف أنفس أوقاته، وبذل توجيهاته القيمة والتي كانت كفيلة بتغطية هذه الدراسة.

*وإلى عميد كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية ونائبه وأسرة الدراسات العليا الذين تفانوا في إفادتنا بنصائحهم وتوجيهاتهم.

*وإلى جميع أساتذتي في مرحلة نيل شهادة الليسانس الذين لهم الفضل بعد الله سبحانه لبلوغ هذه المرتبة.

*وإلى من سهر ليله وأفنى أنفس أوقاته من أجل تهيئة هذا البحث وطباعته.

*وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل سائلا الله عز وجل أن يتولى مثوبتهم بما هم أهل له.

ـ التعريف بالموضوع:

الحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن الكريم وشرّفنا بخير نبيّ أُرسل، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أمّا بعد: إن آيات القرآن الكريم في غاية الدّقة والإحكام والوضوح وسيظل هذا الكتابُ كتابَ هداية ونور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن القرآن الكريم هو دستور الإسلام ومعجزته الباقية والمَوردُ الذي نتردد عليه فَنَحُسُّ الحاجة إليه آخر الدّهر، خصوصاً وأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه.

فالدنيا كلها لم تظفر بكتاب أجمع للخير كله، وأهدى للتي هي أقوم وأوفى بما يُسعد الإنسانية من هذا القرآن المجيد الذي قال فيه ربّنا عز وجل ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُومِنِينَ ٱلذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[1]. ويقول سبحانه ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَـٰبِ﴾[2]

إن من ضمن واجباتنا مع القرآن الكريم، تدبر آياته كما جاء في الآية السابقة، وأنّه لن يتأتى للإنسان أن يتدبرها ويفقه مقاصدها، إلاّ إذا كان على علم بمعانيها ودلالاتها وأسباب نزولها، وما إلى ذلك، وإن الإطلاع على تفسير كتاب الله عز وجل يدفع إلى التدبر والعمل بكتاب الله عز وجل، وأحرى إنْ كان ضمن منهج التفسير الموضوعي حيثُ يُتيحُ للإنسان أن يعيش مع القرآن الكريم قلباً وقالباً، في حياته الواقعية ويُقدم له الحلول لكل العقبات التي تواجهه في حياته المعيشية.

ـ الإشكاليـــــة:

هذه السورة الكريمة من السور المكية التي تُعرضُ القضايا الكبرى، بأسلوب مؤثر في القلب البشري، وله وقعه على استقامة السلوك البشري، فهذه السورة المكية تشتمل على قضايا متعددة، تشتمل على أصول العقيدة من توحيد الله عز وجل والإيمان بالبعث والنشور، وبيوم الحساب، كما تشتمل على قضية العبادة لله عز وجل وأوصاف المحسنين والمسيئين، كما تشتمل على محاور التربية الناجحة، وأيضاً تشتمل على الغيبيات.

[1] الإسراء: الآية9.
[2] ص: الآية 28.

والسؤال الذي يطرح نفسه، كيف عالج القرآن الكريم موضوعات هذه السورة؟ وما وجه الربط بين هذه الموضوعات في السورة؟ وما الفائدة من ترتيب هذه الموضوعات؟

ـ **أهمية الموضوع**:

تكمن أهمية بحثي في إظهار أهمية الدراسة في التفسير الموضوعي في بناء الوحدة القرآنية.

كما تظهر الأهمية في بناء شامخ كامل حيث أن هذه السورة الكريمة، تقرر إثبات الوحدانية لله رب العالمين، وهذه تبعث إلى الإيمان بيوم الحساب، ونسبة كل ما في الكون إلى خالقه ومبدعه رب العالمين، كما أنها تبعث على العمل الصالح والاستعداد لذلك اليوم، وهذا بدوره يتولد عنه التحلي بمكارم الأخلاق والبعد عن سفاسفها.

كما يتولد عنها التخلي عن المعتقدات الخرافية المخالفة لعقيدة التوحيد.

كما تكمن أهمية البحث في استكشاف ما في السورة من قضايا واقعية تحتاج في عصرنا إلى مزيد من البحث والمعرفة.

كما تعتبر المحاولة هذه نحو توظيف المعلومات النظرية التي حصلتها في مرحلة التدرج في قالب عملي أثبتُ فيه من فهمي، وأختبرُ درجة تحصيلي، وأمنح فرصة لأساتذتي الكرام توقفهم على ثغرات ينبغي تداركها، ونقائص تستدعي تكميلها.

ـ **الأسباب الباعثة على اختيار الموضوع**:

1- رغبتي من زمن قديم في الاطلاع على تفسير كتاب الله عز وجل.

وما لا يدرك كُله لا يترك جُله ــ عسى أن يدفعني إلى التدبر والعمل بالقرآن الكريم، والتخلق بأخلاقه وآدابه.

2- شعوري بالحاجة الماسة إلى تفسير كتاب الله عز وجل خصوصاً في مهمة الإمامة التي أنيطت إلي فأدركتُ أن الإمام خصوصاً ينبغي له أن يوسع مداركه في كتاب الله عز وجل، وإلاّ قد يضِلُ ويُضِلُ غيره.

3- رغبتي في تنمية ملكتي في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

4- الإطلاع على جهود العلماء الأوائل والعلماء الأواخر نحو كتاب الله عز وجل، عسى أن يدفعني إلى الاقتفاء بآثارهم، وإلى تقدير الرجال الذين أفنَواْ أعمارهم وأوقاتهم في خدمة كتاب الله عز وجل.

5- والذي جعلني اختار سورة لقمان الحكيم من بين السور، هو ذاك الأسلوب الفريد الذي تتميز به في مخاطبة القلب البشري.

بالإضافة إلى تلك الوصايا التربوية القيّمة التي يقدمها الأب الحنون لأحب الناس إليه ألا وهو ابنه العزيز، تلك الوصايا التي إن عمل الناس بها اليوم لأصبحواْ أعزاء، أقوياء لا يخشون في الله لومة لائم.

6- ومن الأسباب أيضاً إرادة الوصول إلى الكشف عن بعض القضايا العلمية الحديثة دفعاً للشبهة ورفعاً للأوهام.

* أملي أن تكون هذه الخطوة الأولية مع كتاب الله عز وجل، المفتاح للسير في رحاب القرآن الكريم على مدى الدهر والأيام.

ـ **أهداف البحث**:

1- الكشف عن أهداف هذه السورة ومقاصدها الكبرى، وتقديمها في بناء واحد متناسق مترابط بعضه مع بعض.

2- إظهار الحقائق المهمة في السورة ومدى علاقتها بالواقع.

3- بيان النموذج الأمثل فيما يقدمه الأباء لفلذة أكبادهم.

4- تنفيذ أمر الله عز وجل بتدبر كتابه، وإحسان فهمه، وفهم نصوصه فهماً صحيحاً.

مجال البحث:

يكمن بحثي هذا في مجال علوم القرآن الكريم وتفسيره عموماً وفي التفسير الموضوعي خصوصاً، هذا بالإضافة إلى كتب العقيدة الإسلامية ذلك لأن محور هذه السورة يدور حول توحيد الله سبحانه.

ـ **الدراسات السابقة**:

في حدود علمي أنه لم يسبق أحد إلى دراسة هذه السورة دراسة موضوعية منفردة في الدراسات العليا، وإن ما اطلعت عليه هو دراسة في هذه السورة من الزاوية التربوية فقط، إذْ ليست الدراسة بمعنى التفسير الموضوعي الذي يشكل الوحدة الموضوعية للسورة، وأن أغلب ما يوجد في تفسير هذه السورة هو دراسات حرة ليست أكاديمية وذلك مثل كتاب: عقود الجمان في تفسير سورة لقمان، للمؤلف إبراهيم علي أبو الخشب وهو كتاب صغير اعتمد فيه صاحبه على الإيجاز والاختصار.

وكتاب آخر: من موضوعات سور القرآن الكريم، للمؤلف عبد الحميد محمود طهماز، وهو كتاب قيم وقد استفدت منه الشيء الكثير.

بالإضافة إلى وجود متفرقات في أمهات كتب التفسير وعلوم القرآن.

ـ **صعوبات البحث:**

ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث هو:

ـ جدة البحث في هذا المنهج بل في هذه السورة خصوصا مما جعلني أشعر بتقصيري من حيث تتبع المنهج المطلوب.

ـ اختلاف علماء منهج التفسير الموضوعي في ضوابطه وقواعده وبعض خطواته.

ـ قلة المصادر في هذا الفن الجديد مما جعلني أعتمد كثيرا على كتب التفسير القديمة.

ـ **المنهج المتبع للدراسة:**

طبيعة الدراسة تقتضي أن تكون ضمن المنهج الكشفي للسورة القرآنية، إذْ هي لا تخرج عن خطوات منهج التفسير الموضوعي الكشفي.

ـ **عملي في البحث:**

يتمثل عملي فيما يلي:

- القراءة المتأنية للسورة وتدبر معانيها.
- تتبع آراء المفسرين لما يرتبط بالسورة من مناسبات وظروف وأحوال.
- التركيب، وذلك بربط العناصر والأفكار المستوحاة من التفسير.
- كتابة آيات السورة عند كل مطلب ومبحث حتى يسهل الربط بين الآيات ومعانيها.
- تلخيص لكل مطلب ومبحث وفصل.
- وقد اتبعت في توثيق المعلومات المنهج الآتي:

ـ ضبط الآيات القرآنية برواية ورش عن نافع واعتمدت فيها مصحف محمل بصيغة (وورد).

ـ وعزوت الآيات القرآنية في البحث إلى سورها في الهامش مع رقم الآية.

ـ ومتى كانت الآية غير معزوة في الهامش فإنها من سورة لقمان وذلك نظرا لكثرتها في البحث، ولتمييزها عن باقي الآيات في غيرها من السور.

ـ في تخريج الأحاديث، إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخريجه منهما، وإلا أنقل أقوال علماء التخريج فيه بما يفي بيان درجة الحديث.

ــ في عزو الأقوال إلى أصحابها بدأت بذكر المؤلف، ثم عنوان الكتاب، ثم معلومات الطبع في أول ذكر للكتاب فقط، ثم الجزء والصفحة.

ــ الترجمة للأعلام المفسرين فقط لما لهم من وثيق صلة بالبحث واكتفيت في ذلك بالأعلام الغمورين منهم حسب تقديري.

ــ وضع فهارس لما ورد في المذكرة من نصوص شرعية، وأعلام على الترتيب التالي:

* فهرس للآيات القرآنية الواردة في البحث مرتبة حسب ترتيب المصحف الشريف.

وفهرس للأحاديث النبوية مرتب ترتيبا تصاعديا حسب ورودها في البحث.

وفهرس للأعلام الواردة في البحث المترجم لها فقط.

وفهرس للمواضيع الواردة في البحث وفق ترتيبها في نصه.

ــ اصطلاحات ورموز:

استعملت: ــ للآيات القرآنية الرمز ﴿....﴾ تمييزا لها عن بقية النصوص والنقول.

ــ للأحاديث النبوية الرمز «....» تمييزا لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن باقي النصوص.

ــ لأقوال الصحابة وأمهات المؤمنين الرمز (....) تمييزا عن باقي الأقوال.

ــ لأقوال العلماء والمؤلفين الرمز "...".

ــ خطة البحث:

جاءت معالجتي لهذا الموضوع في مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول وفق الخطة التالية:

خصصت **الفصل التمهيدي** للوقوف بين يدي السورة حتى يستفيد القارئ بشكل أكبر من موضوعات السورة، فقسمته إلى ثلاثة مباحث:

تناولت في **المبحث الأول** تسمية سورة لقمان وعدد آياتها وأسباب نزولها، ذلك لما لاسم السورة من أهمية بالغة، كما أن الاطلاع على أسباب النزول وتاريخ نزول السورة، ومكان نزولها مما يعين على الفهم العميق والصحيح لمضمون السورة، وقد احتوى هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: تسميتها وعدد آياتها.

المطلب الثاني: وقت نزولها وسببه.

أما **المبحث الثاني** فخصصته لمناسبة السورة بما قبلها وما بعدها، وللآيات فيما بينها، ذلك لأن علم المناسبة مما يساعد على تحقيق الترابط الشامل بين آيات القرآن الكريم، وكان ذلك في أربعة مطالب:

المطلب الأول: مناسبة السورة وخاتمة ما قبلها.

المطلب الثاني: مناسبة مضمون السورة التي قبلها.

المطلب الثالث: مناسبة فاتحة السورة وخاتمتها ومناسبة السورة لما بعدها.

المطلب الرابع: مناسبة الآيات في السورة نفسه

وخصصت **المبحث الثالث** لفضل السورة وأهم القراءات فيها وأهدافها ذلك لأن معرفة فضلها مما يدفع بالقارئ إلى الرغبة في الإقبال عليها حفظا وفهما وتلاوة وعملا بمحتوياتها.

وذكرت أوجه القراءات فيها حتى يتسنى الربط بين جميع الأوجه في المعاني، وختمت هذا الفصل بأغراض السورة وأهدافها وذلك لأنها تعد جوهرة البحث في تحقيق وحدة السورة.

وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضل سورة لقمان.

المطلب الثاني: أهم أوجه القراءات التي جاءت في السورة.

المطلب الثالث: الأهداف الكبرى لهذه السورة.

وبعد الفصل التمهيدي فقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول بناء على مقاطع السورة الثلاثة، فجعلت **الفصل الأول** بعنوان **الإهتداء بآيات الكتاب الحكيم ودلائل توحيد الألوهية.** وذلك تنويها بأن آيات الله تتصف بالحكمة، وأن منزلها لا يكون إلا حكيما، وأنها تحمل في طياتها الهدى والرحمة.

وقد تناولت فيه خمسة مباحث حسب ما يقتضيه المقطع الأول من السورة فخصصت **المبحث الأول** للقرآن الكريم فكان بعنوان القرآن الكريم كتاب حكيم، تحدثت فيه عن الأحرف المقطعة في فواتح السور وأراء العلماء في مدلولها ذلك لأن مطلع سورة لقمان من هذا الصنف، ثم بينت واجبنا نحو كتاب الله ذلك لأنه لا سعادة إلا بالإيمان بالقرآن الكريم والعمل به ، وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأحرف المقطعة.

المطلب الثاني: تحديد الكتاب لمعالم المحسنين.

المطلب الثالث: آيات الكتاب الحكيم هي السبيل للاتصاف بالحسنى.

أما **المبحث الثاني** فكان بعنوان أوصاف المحسنين المهتدين بالقرآن كما جاءت في السورة، ذلك لأن الناس نحو كتاب الله عز وجل قسمان، قسم محسن مؤمن بآيات ربه يهتدي بها وينال من رحماتها وبركاتها.

وقد تناولت فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من أبرز صفات المحسنين إقامة الصلاة.

المطلب الثاني: من صفات المحسنين أداء الزكاة.

المطلب الثالث: من صفات المحسنين اليقين بالآخرة.

وثمة قسم ثان لم يؤمن بآيات ربه فأعرض عنها وقابلها بالجحود والنكران وهذا ما جعلني أخصص المبحث الثالث لأوصاف المسيئين المعرضين عن القرآن الكريم كما جاءت في السورة وقد قسمته لثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإشتغال بلهو الحديث عن آيات الكتاب الحكيم.

المطلب الثاني: اللهو الذي اشتروه ومن هو صاحب هذا الإضلال.

المطلب الثالث: من أوصاف المسيئين الاستكبار عن آيات الكتاب الحكيم.

أما **المبحث الرابع** فتحدثت فيه عن جزاء كل من المحسنين والمسيئين وهذا تبعا لنظم السورة وقد تناولت فيه مطلبين:

المطلب الأول: جزاء المسيئين كما جاءت في السورة.

المطلب الثاني: جزاء المحسنين كما جاءت في السورة.

أما **المبحث الخامس** والأخير في هذا الفصل فكان بعنوان: مظاهر قدرة الله وإنعامه وإحكامه الدالة على أنه وحده واجب العبادة. ذلك لأن المعرضين يشاهدون هذه الآيات الكونية ويتمتعون بهذه النعم ولكنهم يعبدون غير الله معتقدين النفع والضرر والخلق منهم، فكان بمثابة إقامة الحجة عليهم، وكان للمحسنين زيادة إيمان ويقين بخالق هذا الكون.

وقد تناولت فيه أربعة مطالب وهي كالتالي:

المطلب الأول: خلق السماوات من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته.

المطلب الثاني: خلق الأرض من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته.

المطلب الثالث: إنزال الماء وإنبات النبات.

المطلب الرابع: كل ما في الكون مخلوق لله سبحانه.

أما **الفصل الثاني** فكان بعنوان: قصة لقمان نموذج من وصايا الحكماء، وهذا تبعا للمقطع الثاني من السورة الذي يبدأ من الآية الحادية عشر وينتهي في الآية الثامنة عشر، وبما أن منزل الكتاب حكيم، وآيات الكتاب حكيمة، فكان هذا الفصل نموذج عملي نتعلم منه شكر المولى عز وجل، ونتعلم منه أدب الحكماء في نشر الحكمة وتعميمها.

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

خصصت المبحث الأول للحكمة وشكر المولى عز وجل، حتى نكون على بينة من مفهوم الحكمة وحقيقتها. ولكي ندرك أن أساس العلاقة بالله عز وجل شكره على جميع نعمه بما فيها الحكمة.

تناولت فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحكمة.

المطلب الثاني: شكر الله عز وجل على الحكمة.

المطلب الثالث: الشكر لله وشكر الناس.

المطلب الرابع: ثمرة شكر الله عز وجل.

أما **المبحث الثاني** فقد خصصته لوصايا لقمان فهي النموذج العملي الأمثل في التوجيه التربوي، وغرس أصول العقيدة والإلتزام بالتكاليف الشرعية كبرهان على عقيدته، وهي بدورها تثمر سلوكا وأخلاقا عالية، كما تجنب الإنسان الوقوع في الأخلاق الرذيلة التي تتنافى والحكمة.

وقد قسمته إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوصية الأولى: الإيمان بوجود الله ووحدانيته وعدم الإشراك به.

المطلب الثاني: الوصية الثانية: عظمة علم الله وقدرته وأثرها على سلوك الإنسان.

المطلب الثالث: الوصية الثالثة: الدعوة إلى القيام بالتكاليف الشرعية كبرهان على توحيد الله

المطلب الرابع: الوصية الرابعة: النهي عن الأخلاق السيئة المذمومة.

وجعلت **المبحث الثالث** بعنوان: الحكمة تستوجب طاعة الوالدين واتباع سبيل المؤمنين. إذ الحكمة تستدعي أن تكون العلاقة مع الوالدين طيبة قائمة على الحب والمودة كما تستدعي صحبة الصالحين والسير على نهجهم لبلوغ المعالي، والأمن من الانحرافات والإنزلاقات.

وقد تناولت فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بطاعة الوالدين عموما.

المطلب الثاني: خصوصية الأمومة ولماذا؟

المطلب الثالث: ضابط طاعة الوالدين.

المطلب الرابع: إتباع سبيل المؤمنين من الاقتداء بالمحسنين.

والمقطع الثالث من السورة الذي يبدأ من الآية 19 وينتهي بنهاية السورة، جعلته **للفصل الثالث** المعنون بـ: **تسخير ما في الكون من الطاقات من أعظم نعم الله على الإنسان.** وهو استدلال آخر بمظاهر كونية في أسلوب متغير على وحدانية الله عز وجل وكمال قدرته.

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث حسبما يقتضيه المقطع.

فخصصت **المبحث الأول:** لنعم الله عز وجل وموقف الإنسان منها، ذلك لأنها لون من ألوان الإستدلال على وجود الخالق، وأن المحسن يستفيد منها فيشكر ربه فيصير حكيما، بينما المسيء الجاحد فتزداد الحجة والبراهين عليه مما يجعله لا يجد لديه ــ يوم القيامة ــ عذرا يعتذر به لربه.

وقد قسمته إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: النعم معناها ومصدرها ومظاهرها.

المطلب الثاني: نموذج لأناس جاحدين لنعم الله عز وجل.

المطلب الثالث: نموذج لأناس شاكرين لنعم الله عز وجل.

المطلب الرابع: ضرورة الشكر لله عز وجل.

المطلب الخامس: سعة علم الله ووجود الحساب تأكيدا وضرورة لشكر الله.

أما **المبحث الثاني** فكان بعنوان: التفكر في الآيات الكونية وآثاره المترتبة عليه. ذلك لأن التفكر يسمو بالعقول نحو التحرر من الانحرافات الفكرية، ويقودها إلى عبادة رب العباد والتخلص من ربقة العباد.

وقد جعلته في أربعة مطالب:

المطلب الأول: التفكر في آية سماوية.

المطلب الثاني: التفكر في آية أرضية.

المطلب الثالث: المؤمن الصبور الشكور هو الذي يهتدي بهدي القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الإلتجاء إلى الله في السراء والضراء.

وخصصت **المبحث الثالث** والأخير حسب نظم السورة بعنوان الأمر بتقوى الله عز وجل وبيان مفاتح الغيب، وهو بمثابة الخاتمة للسورة وموقع مقصد الخطبة بعد مقدماتها، ذلك لأن التقوى تبتدئ بالاعتراف بوجود الخالق سبحانه ووحدانيته، وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتنتهي بالامتثال في المأمورات، وبالاجتناب في المنهيات.

وتناولت فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بتقوى الله عز وجل.

المطلب الثاني: الاستعداد ليوم البعث.

المطلب الثالث: الاغترار بالدنيا والشيطان يتنافان والتقوى.

المطلب الرابع: بيان مفاتح الغيب.

وخلصت في الختام إلى أهم النتائج التي توصلت إليها ضمنتها خاتمة البحث.

سورة لقمان من السور المكية التي تعالج القضايا الكبرى، وهي كغيرها من السور لها فضلها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ومناسبة الآيات فيما بينها، كما أن لها سبب النزول وهذا ما يدل على أن السورة لها أهداف كبرى، إذ مطلع هذه السورة هو الافتتاح بكتاب الله عز وجل فالإنسان بدون كتاب الله يضل، إذ حياة الإنسان من غير قرءان حياة لا معنى لها، إذ الاشتغال بالقرآن الكريم ينبغي أن يكون هو العمل الأول لدى الإنسان لأنه كتاب لا ريب فيه كتاب حكيم أنزله رب حكيم عالم بأحوال النفس وما يصلحها وما يهذبها.

المبحث الأول: تسمية سورة لقمان وآياتها وأسباب نزولها.

سور القرآن الكريم تختص كل واحدة منها باسم يميزها عن غيرها من السور، وقد يكون هذا الاسم معبرا ومشيرا إلى الهدف الأسمى من السورة، وما من سورة إلا وتحتوي على مجموعة من الآيات مترابطة ومتناسقة فيما بينها وقد تكون هذه السورة أو هذه الآيات نزلت بسبب حادثة وقعت في زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم أو بسبب سؤال وجه إليه، فما اسم هذه السورة؟ وما وجه تسميته بها؟ وكم هي آياتها؟ وأين نزلت؟ وما سبب نزولها؟

المطلب الأول: تسميتها وعدد آياتها.

هذه السورة تسمى سورة لقمان ذلك لأن هذه السورة تشتمل على ذكر لقمان الحكيم الذي أدرك جوهر الحكمة بمعرفة الله تعالى وعبادته، والأمر بفضائل الأخلاق والآداب، والنهي عن القبائح والرذائل والمنكرات وذلك من خلال وصاياه العظيمة، يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "سميت هذه السورة بإضافتها إلى لقمان لأن فيها ذكر لقمان وحكمته وجملا من حكمته التي أدب بها ابنه. وليس لها اسم غير هذا الاسم، وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين".[3]

- **عدد آياتها:**

تشتمل سورة لقمان على أربع وثلاثين آية كلها مكية إلا آيتين. يقول الألوسي: "وآياتها ثلاث وثلاثون في المكي والمدني. وأربع وثلاثون في عدد الباقين"[4].

وهذا في عد أهل الشام والبصرة والكوفة، أما في عد أهل المدينة فعدد آياتها ثلاث وثلاثون آية.

---

[3] محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس، دار سحنون) مجلد 8، ج21، ص137.

[4] أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق محمود شكري الألوسي البغدادي، بدون تاريخ ورقم الطبعة (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ج21، ص64.

"سورة لقمان عليه السلام مكية كلها إلا آيتين نزلنا بالمدينة وهما: ﴿وَلَوَ اَنَّمَا بِے اِلاَرْضِ مِں شَجَرَةٍ اَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِںُ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ اِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ ... ﴿ٱلذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُوتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لأن الصلاة والزكاة نزلتا بالمدينة وهي ثلاث وقيل أربع وثلاثون آية"[5].

وجاء في تفسير الطاهر بن عاشور: "... وعن ابن عباس من رواية النحاس[6] استثناء ثلاث آيات من قوله تعالى: ﴿وَلَوَ اَنَّمَا بِے اِلاَرْضِ مِں شَجَرَةٍ اَقْلَمٌ﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. وعن قتادة إلا آيتين إلى قوله: ﴿اِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾"[7].

أما آية الصلاة والزكاة بأنها نزلت بالمدينة على قول بعضهم فهذا يرده الإمام البيضاوي، فعدم فرضيتهما لا ينافي تشريعهما.

"ورده البيضاوي[8]، فعدم فرضيتهما لا ينافي تشريعهما بمكة على غير إيجاب، والمحققون يمنعون أن تكون الصلاة والزكاة فرضتا بالمدينة فأما الصلاة فلا ريب في أنها فرضت على الجملة بمكة، وأما الزكاة ففرضت بمكة دون تعين أنصباء ومقادير، ثم عينت الأنصباء والمقادير بالمدينة"[9].

---

[5] فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي، **مفاتيح الغيب**، بدون رقم الطبعة (القاهرة، المكتبة الوقفية)، ج25، ص122.

[6] "أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري، كان من الفضلاء، له تصانيف مفيدة، منها تفسير القرآن الكريم، وكتاب إعراب القرآن الكريم". أحمد بن محمد الادنروي، **طبقات المفسرين**، تحقيق سليمان بن صالح الخـــي، ط01 (السعودية، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، سنة 1417هـــ-1997م)، ص72، رقم 94.

[7] محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص86.

[8] "عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي، صاحب مختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، كانت وفاته في بلدة تبريز، سنة 685". أحمد بن محمد الادنـــروي، **طبقـــات المفســـرين**، ص254، رقم305.

[9] محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 21، ص86.

"مكية إلا آية وهي: ﴿ٱلذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُوتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فإن وجوبهما بالمدنية وهو ضعيف لأنه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل إلا ثلاثاً من قوله: ﴿وَلَوَ أَنَّمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ وهي أربع وثلاثون آية، وقيل ثلاث وثلاثون"[10].

"أخرج ابن الضريس[11]، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أنزلت سورة لقمان بمكة)[12].

وأخرج النحاس في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سورة لقمان نزلت بمكة سوى ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ﴿وَلَوَ أَنَّمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث"[13].

وها هو الثعلبي يبين حروفها وكلماتها قائلا: "سورة لقمان مكية، وهي ألفان ومائة وعشرة أحرف، وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة، وأربع وثلاثون آية"[14].

المطلب الثاني: وقت نزولها وسببه.

هذه السورة الكريمة هي57 في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الصافات، وقبل سورة سبأ.

وأما سبب نزول هذه السورة فقد قال أبو حيان[15]: "سبب نزول هذه السورة أن قريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة لقمان مع ابنه، أي سألوه سؤال تعنت واختبار"[16].

---

[10] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بدون رقم وتاريخ الطبعة، ج4، ص490.

[11] "(200-294هـ=815-906م) محمد أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي الرازي من حفاظ الحديث مات بالري، له كتاب فضائل القرآن". الزركلي، **الأعلام لخير الدين الزركلي**، (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط05 (بيروت، دار العلم للملايين، سنة 1980م)، ج06، ص46.

[12] ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، **دلائل النبوة للبيهقي**، تحقيق عبد المعطي قلعجي، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1408هـ-1988م)، باب ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة، ج6، ص223، حديث رقم3068.

[13] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، **تفسير البغوي (معالم التنزيل)**، ط01 (بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، 1423هـ2006م)، ج6، ص280.

[14] ابو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، تحقيق أبي محمد بن عاشور، ط01 (بيروت، دار إحياء التراث العربي، سنة 1422هـ-2002م)، ج05، ص256.

هذا سبب مجمل للسورة ككل لكن ثمة أسباب لنزول الآية السادسة، والآية الخامسة عشر، والآية السابعة والعشرين، والآية الرابعة والثلاثين.

الآية رقم6: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّشْتَرِے لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذُهَا هُزُوًاۚ ٱوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

جاء في كتاب أسباب النزول: "قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان يخرج تاجرا إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقول لهم: إن محمدا عليه الصلاة والسلام يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية. وقال مجاهد: نزلت في شراء القيان والمغنيات ... عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام»[17].

وفي مثل هذا نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّشْتَرِے لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذُهَا هُزُوًاۚ ٱوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾"[18].

---

[15] "أبو حيان مفسرا، هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي، الجياني الأصل، الغرناطي المولد والمنشأ، المصري الدار، المعروف أبو حيان النحوي، ولد 654هـ-1256م، هو من كبار علماء العربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، من كتبه البحر المحيط في تفسير القرآن، 8 مجلدات، توفي سنة 745هـ-1344م". خير الدين الزركلي، **الأعلام للزركلي**، ج07، ص152.

[16] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ج9، ص107.

[17] أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط2 (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، سنة 1397هـ)، ج7، ص201، حديث رقم7861. أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند احمد بن حنبل**، ج9، ص19، حديث أبي أمامة، رقم الحديث 968. ابو عبد الله محمد بن بزير القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق بشار عوار معروف، ط01 (بيروت، دار الجيل، 1418هـ-1998م)، ج2، ص733. ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق بشار عوار معروف، ط01 (دار الغرب الإسلامي، سنة 1996م)، ج2، ص375.

[18] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول للواحدي**، بدون رقم الطبعة (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، سنة 1388هـ-1968م)، ج1، ص232.

فالسبب الأول يدل على الشخص الذي كان يقوم بالفعل، بينما الثاني يدل على الفعل نفسه الذي يصد عن سبيل الله.

الآية رقم 15: "﴿وَإِن جَٰهَدَٰكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾. نزلت في سعد بن أبي وقاص[19].

﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، قال عطاء عن ابن عباس يريد أبا بكر ..."[20]

الآية رقم 27: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ ...﴾. جاء في تفسير القرطبي: "(قال بن عباس: إن سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالت : يا محمد كيف عنينا بهذا القول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾. ونحن قد أوتينا التوراة فيها كلام الله وأحكامه، وعندك أنها تبيان كل شيء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التوراة قليل من كثير»[21]. ونزلت هذه الآية)"[22].

الآية رقم 34: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾. جاء في لباب النقول في أسباب النزول: "... عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني بم تلد؟ وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت أين

---

[19] أكثر المفسرين على أنها نزلت في سعد إلا أن الطاهر بن عاشور يرى أنه لا يحسن ذلك. ينظر: الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ص157.

[20] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول للواحدي**، ج1، ص233.

[21] علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الآرنؤوط، ط02 (سوريا،مؤسسة الرسالة، سنة 1414هـ)، ج1، ص301، حديث رقم 99. ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، ج2، ص579، حديث رقم 3961. البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط3 (بيروت، دار الكتب العلمية،1424هـ-2002م)، ج6، ص392، رقم الحديث 11314. **مسند الإمام احمد**، ج1، ص255، حديث رقم 2350.

[22] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **تفسير القرطبي**، تحقيق مجدي محمد سرور سعيد باسيلوم، ط1(الأزهر، دار البيان العربي، سنة 1429هـ -2008م)، ج14، ص76.

ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾"[23].

إذن من خلال ما تقدم من أسباب النزول للآيات اتضح لي الفهم الأول للآيات ذلك أن سبب النزول يعين على الفهم الصحيح للآية لكن ومع هذه الأسباب فإن محتوى هذه الآيات يصدق على كل من تلبس بفعل من هذه الأفعال المذكورة في الآيات فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما ذكر الأصوليون.

[23] جلال الدين أبو عبد الرحمن السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، ط01(سوريا، دار القلم العربي، سنة 1425هـ-2004م)، ج1، ص 154.

المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها وللآيات فيما بينها.

القرآن الكريم عجيب في تركيب آياته وتناسق سوره وآياته فيما بينها، فما من سورة إلا ولها علاقة بما قبلها وما بعدها وكذلك الآيات.

المطلب الأول: مناسبة السورة وخاتمة ما قبلها.

إن القرآن الكريم يرتبط فيما بينه ارتباطا وثيقا سواء من حيث معانيه وأسلوبه أو من حيث نظمه من حيث ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها إلى غير ذلك من العلاقات التي تدل على أن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر من بشر إنما هو كلام حكيم صادر من رب العالمين.

يبين الإمام الرازي مناسبة السورة بآخر ما قبلها بقوله: "وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر ما قبلها هو أن الله تعالى لما قال: ﴿وَلَقَد ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[24] إشارة إلى كونه معجزة وقال: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾[25] إشارة إلى أنهم يكفرون بالآيات بين ذلك بقوله: ﴿الٓمٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ولم يؤمنوا بها، وإلى هذا أشار بعد هذا بقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾"[26].

وجاء في أسرار ترتيب القرآن الكريم للسيوطي حيث يقول: "أقول: ظهر لي في اتصالها بما قبلها مع المؤاخاة في الافتتاح بـ ﴿الٓمٓ﴾ أن قوله تعالى هنا: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ متعلق بقوله في آخر سورة الروم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾[27]. فهذا عين إيقانهم بالآخرة، وهم المحسنون الموقنون بما ذكر وأيضاً ففي كلتا

---

[24] الروم: من الآية 58.

[25] الروم: من الآية 58.

[26] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج25، ص232.

[27] الروم: من الآية 55.

السورتين جملة من الأديان وبدء الخلق وذكر في الروم: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[28] وقد فسر بالسماع، وفي لقمان: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّشْتَرِے لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ وقد فسر بالغناء، وآلات الملاهي"[29].

ويؤكد هذا الترابط برهان الدين البقاعي[30] حيث يقول: "لما ختمت الروم بالحث على العلم، وهو ما تضمنه هذا الكتاب العظيم، والأمر بالصبر والتمسك بما فيه من وعد، والنهي عن الإطماع لأهل الاستخفاف في المقاربة لهم في شيء من الأوصاف، وكان ذلك هو الحكمة، قال أول هذه: ﴿أَلَم﴾ مشيراً بها إلى أن الله الملك الأعلى القيوم أرسل -لأنه الظاهر مع أنه الباطن- جبرائيل عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام بوحي ناطق من الحكم والأحكام بما لم ينطق به من قبله إمام، ولا يلحقه في ذلك شيء مدى الأيام، فهو المبدأ وهو الختام"[31].

المطلب الثاني: مناسبة مضمون السورة التي قبلها.

إن القرآن الكريم فريد في نظمه وترتيب سوره وآياته ومراعاة العلاقات التي تربط السورة بما قبلها.

"قال أبو جعفر ابن الزبير[32]: لما تكرر الأمر بالاعتبار والحض عليه والتنبيه بعجائب المخلوقات في سورة الروم كقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيۤ أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَالاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[33] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلاَرْضِ﴾[34] وقوله:

---

[28] الروم: من الآية 14.

[29] عبد الرحمن بن أبو بكر جلال الدين السيوطي، **أسرا ر ترتيب القرآن**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، بدون رقم وتاريخ الطبعة (القاهرة، دار الاعتصام) ج1، ص15.

[30] "إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، برهان الدين، نزيل القاهرة، ثم دمشق، صاحب المناسبات، ولد 809هـ وتوفي 885". أحمد بن محمد الأدنروي، **طبقات المفسرين**، ص347-348، رقم 454.

[31] برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تخريج الآيات والأحاديث والهوامش ط01(بيروت، دار الكتب العلمية، سنة1415هـ-1995م)، ج6، ص335.

[32] "أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، ولد سنة (627هـ) ... ومن مصنفاته، البرهان في ترتيب سور القرآن، وتوفي سنة (708)". أحمد بن محمد الأدنروي، **طبقات المفسرين**، ص279.

[33] الروم: من الآية 7.

[34] الروم: من الآية 8.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[35] وقولـــه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[36] إلى قوله: ﴿نُفَصِّلُ ٱلآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[37] وهي عشر آيات تحملت مـن جليـل الاعتبار والتنبيه ما لا يبقى معه شبهة ولا توقف لمن وفق إلى ما بعد هذا مـن آيـات التنبيـه وبسط الدلائل وذكر ما فطر عليه العباد وضرب الأمثال الموضحة سواء السـبيل لمـن عقـل معانيها وتدبر حكمها إلى قولـه: ﴿وَلَقَد ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[38] وهي إشارة إلى ما أودع الله كتابه المبين من مختلف الأمثال وشتى العظات وما تحملـت هـذه السورة من ذلك، أتبع سبحانه ذلك بقوله الحق: ﴿أَلٓمٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أي دلائله وبراهينه لمن وفق وسبقت له الحسنى وهم المحسنون الذين ذكرهم بعد ...

ولما كان الإحسان ما دعت إليه سورة الروم من الإيمان بلقاء الله، منزهاً عن شوائب الـنقص، موصوفاً بأوصاف الكمال، معبوداً بما شرعه على وجه الإخلاص، والانقياد مع الـدليل كيفمـا توجه، والدوران معه كيفما دار، وكان ذلك هو عين الحكمة"[39].

جاء في تفسير روح المعاني للألوسي: "وأقول في الاتصال أيضا إنه قد ذكر فيما تقـدم قولـه تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وهنا قوله سـبحانه: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وكلاهما يفيد سهولة البعث وقرر ذلك هنا بقوله عز قائلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ وذكر سبحانه هنـاك قولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[40] وقال عز وجل

---

[35] الروم: من الآية 10.

[36] الروم: من الآية 18.

[37] الروم: من الآية 27.

[38] الروم: من الآية 57.

[39] برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6 ص335-336.

[40] الروم: الآية 32.

هنـــا: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فذكر سبحانه في كل من الآيتين قسما لم يذكره في الأخرى"[41].

جاء في تفسير المراغي: "إنه ذكر في السورة التي قبلها محاربة ملكين عظيمين لأجـل الـدنيا وذكر هنا قصة عبد مملوك زهد فيها، وأوصى ابنه بالصبر والمسالمة، وذلـك يقتضـي تـرك المحاربة وبين الأمرين التقابل وشاسع البون كما لا يخفى"[42].

ويعلق الألوسي على مدى هذه المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها بقوله: "ومـا ألطـف هـذا الاتصال من حيث أن السورة الأولى ذكر فيها مغلوبية الروم وغلبتهم المبنيتين على المحاربـة بين ملكين عظيمين من ملوك الدنيا تحاربا عليها وخرج بذلك عن مقتضى الحكمة فإن الحكيم لا يحارب على دنيا دنية لا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة وهذه ذكر فيها قصة عبـد مملـوك على كثير من الأقوال حكيم زاهد في الدنيا غير مكترث بها ولا ملتفت إليها أوصى ابنـه بمـا يأبى المحاربة ويقتضي الصبر والمسالمة وبين الأمرين من التقابل ما لا يخفى"[43].

"ولما كان الإيمان أساس هذه الأركان وكان الإيمان بالبعث جامعاً لجميع أنواعه، وحاملاً علـى سائر وجوه الإحسان ، وكان قد ختم الروم بالإعراض أصلاً عمن ليس فيه أهلية الإيقان، قـال: ﴿وَهُم﴾ أي خاصة لكمالهم فيما دخلوا فيه من هذه المعاني﴿بِالآخِرَةِ﴾ التي تقدم أن المجرمين عنها غافلون ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي مؤمنون بها إيمان موقن فهو لا يفعل شيئاً ينافي الإيمان بهـا، ولا يغفل عنها طرفة عين، فهو في الذروة العليا من ذلك، فهو يعبد الله كأنه يراه، فآية البقـرة بداية، وهذه نهاية"[44].

المطلب الثالث: مناسبة فاتحة السورة وخاتمتها ومناسبة السورة لما بعدها.

"فقد انطبق آخر السورة – بإثباته الحكمة بإثبات العلم والخبر مع تقرير أمر الساعة التي هي مفتاح الدار الآخرة – على أولها المخبر بحكمة صفته التي من علمها حق علمها، وتخلـق بمـا

---

[41] الألوسي، **روح المعاني**، ج21، ص65.

[42] أحمد مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار إحياء التراث العربي، أول محرم 1368هـ)، ج21/19، ص72.

[43] الألوسي، **روح المعاني**، ج21، ص65.

[44] برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6 ص5.

دعت إليه وحضت عليه لا سيما الإيقان بالآخرة، كان حكيماً خبيراً عليماً مهذباً مهدياً مقرباً علياً"[45].

وهذه السورة من حيث ترتيبها في المصحف الشريف هي بعد سورة الروم كما سبق معنا، وقبل سورة السجدة، فما مناسبتها لسورة السجدة التي تقع بعدها في الترتيب؟

"وجه اتصالها بما قبلها أنها شرحت مفاتح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة لقمان فقوله هنا: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[46] شرح لقوله هناك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ولذلك عقب هنا بقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ﴾ وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾[47] شرح لقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[48] شرح لقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾. وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[49] و﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[50] شرح لقوله: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ وقوله: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[51] إلى قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[52] شرح لقوله: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فللهِ الحمد على ما ألهم"[53].

وجاء في تفسير المراغي: "ووجه اتصالها بما قبلها –أي سورة السجدة– هو:

1– اشتمال كل منها على دلائل التوحيد.

---

[45] المصدر السابق، ج6، ص41.

[46] السجدة: من الآية 4.

[47] السجدة: من الآية 27.

[48] السجدة: من الآية 6.

[49] السجدة: من الآية 4.

[50] السجدة: من الآية 13.

[51] السجدة من الآية 9.

[52] السجدة، الآية 11.

[53] السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ج1، ص15.

2- أنه ذكر في السورة السابقة دلائل التوحيد وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد وهو الأصل الثاني، وهنا ذكر الأصل الثالث وهو النبوة"[54].

إن هذا الارتباط يكشف لنا ذاك التناسق العجيب لآي القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وما جاء مجملا في سورة أو آيات جاء مفصلا في أخرى أو في آيات أخرى. إنه كلام رب العالمين.

المطلب الرابع: مناسبة الآيات في السورة نفسها.

جاء في تفسير الرازي: "لما بين أن القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكمية بين من حال الكفار أنهم يتركون ذلك ويشتغلون بغيره، ثم إن فيه ما يبين سوء صنيعهم من وجوه الأول: أن ترك الحكمة والاشتغال بحديث آخر قبيح الثاني: هو أن الحديث إذا كان لهواً لا فائدة فيه كان أقبح الثالث: هو أن اللهو قد يقصد به الإحماض[55]..."[56].

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ثم بعد أن بين حال المعرض عن آيات الله يبين سبحانه بالمقابل أن ثمة فريقا ءامن بهذه الآيات، وعمل بأوامرها واجتنب نواهيها.

"لما بين حال من إذا تتلى عليه الآيات ولى، بين حال من يقبل على تلك الآيات ويقبلها وكما أن ذلك له مراتب من التولية والاستكبار، فهذا له مراتب من الإقبال والقبول والعمل به، فإن من سمع شيئاً وقبله قد لا يعمل به فلا تكون درجته مثل من يسمع ويطيع ثم إن هذا له جنات النعيم ولذلك عذاب مهين"[57].

وبعد أن بين سبحانه جزاء المعرض عن آيات الكتاب الحكيم وجزاء المقبل لآيات الكتاب الحكيم أكد سبحانه ذلك بقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

---

[54] أحمد مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، ج21/19، ص102.

[55] "يقال أحمض القوم إحماضا إذا أفاضوا فيما يؤنبهم من الحديث والكلام ... فأمرهم -ابن عباس- بالإحماض في ملح الكلام والحكايات". أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، **لسان العرب**، ط01 (بيروت، دار الفكر، سنة1429/1428هـ-2008م)، مجلد03، ص369، مادة حمض.

[56] الرازي، **تفسير الرازي**، مجلد13، ج25، ص122.

[57] المصدر السابق، مجلد13، ج25، ص123.

"ولما كانت الثقة بالوعد على قدر الثقة بالواعد ، وكان إنجاز الوعد من الحكمة، قال مؤكداً لمضمون الوعد بالجنات: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ الذي لا شيء أجل منه؛ فلا وعد أصدق من وعده، ثم أكده بقوله: ﴿حَقّاً﴾ أي ثابتاً ثباتاً لا شيء مثله، لأنه وعد من لا شيء مثله ولا كفوء له"[58].

ويقول أيضا: "ولما ختم بصفتي العزة –وهي غاية القدرة– والحكمة –وهي ثمرة العلم– دل عليها بإتقان أفعاله وإحكامها فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾"[59].

فربنا سبحانه من خلال هذه الآيات السابقة أثبت عزته وحكمته، بخلق السماوات والأرض، وما أودع سبحانه فيهما من عجائب تدل على عظمة الصانع الخالق المدبر العزيز الحكيم.

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

فبعد أن أثبت ربوبيته، وأنه القادر على كل شيء، وأنه الحكيم في كل شيء أثبت سبحانه ألوهيته، إذ لا يكون الإنسان مؤمنا إلا إذا أقر بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الاسماء والصفات كما جاء في كتب العقيدة.

"ولما ثبت بهذا الخلق العظيم على هذا الوجه المحكم عزته وحكمته، ثبتت ألوهيته فألزمهم وجوب توحيده في العبادة كما توحد بالخلق، لأن ذلك عين الحكمة"[60].

ثم يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

"الواو عاطفة قصة لقمان على قصة النضر بن الحارث المتقدمة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ باعتبار كونها تضمنت عجيب حاله في الضلالة من عنايته بلهو الحديث ليضل عن سبيل الله ويتخذ سبيل الله هزؤا، وباعتبار كون قصة لقمان متضمنة عجيب حال لقمان في الاهتداء والحكمة، فهما حالان متضادان؛ فقطع النظر عن كون قصة النضر سيقت مساق المقدمة والمدخل إلى المقصود لأن الكلام لما طال

---

[58] برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6، ص369.

[59] المصدر السابق، ج6، ص341.

[60] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج06، ص10.

في المقدمة خرجت عن سنن المقدمات إلى المقصودات بالذات فلذلك عطفت عطف القصص ولم تفصل فصل النتائج عقب مقدماتها"[61].

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

لما أخبر سبحانه بأن لقمان أوتي الحكمة من قبله، فسر سبحانه هذه الحكمة. وبين البقاعي ذلك بقوله: "ولما كان الإنسان لا يعرف حكمة الحكيم إلا بأقواله وأفعاله، ولا صدق الكلام وحكمته إلا بمطابقته للواقع، فكان التقدير: اذكر ما وصفنا به لقمان لتنزل عليه ما تسمع من أحواله وأفعاله في توفية حق الله وحق الخلق الذي هو مدار الحكمة، عطف عليه قوله: ﴿وَإِذْ﴾ أي واذكر بقلبك لتتعظ وبلسانك لتعظ غيرك -بما أنك رسول- ما كان حين ﴿قَالَ لُقْمَـٰنُ لِابْنِهِۦ﴾ ما يدل على شكره في نفسه وأمره به لغيره فإنه لا شكر يعدل البراءة من الشرك"[62].

ويقول الطاهر بن عاشور: "والتقدير: وآتيناه الحكمة إذ قال لابنه. وهذا انتقال من وصفه بحكمة الاهتداء إلى وصفه بحكمة الهدي والإرشاد"[63].

وفي ذلك إشارة إلى أن كمال الإنسان لا يكمن بصلاح نفسه فقط، إنما بصلاحها وإصلاح غيرها، فلقمان الحكيم كان شاكرا لله سبحانه في نفسه وشاكرا له أيضا بوعظ أبنه، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على علو مرتبة لقمان الحكيم.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

"لما استدل بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾. على الوحدانية، وبين بحكاية لقمان أن معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة بل ذلك موافق للحكمة، وما جاء به النبي عليه السلام من التوحيد والصلاة ومكارم الأخلاق كلها حكمة بالغة، ... استدل على الوحدانية بالنعمة ... فلما

---

[61] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص148.

[62] برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر**، ج6، ص13.

[63] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص117.

بين أنه المعبود لعظمته بخلقه السموات بلا عمد وإلقائه في الأرض الرواسي. وذكر بعض النعم بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ذكر بعده عامة النعم فقال: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾"[64].

ثم يقول جل جلاله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

"والمعنى: قد رأيتم أن الله سخر لكم ما في السماوات وأنعم عليكم نعما ضافية في حال أن بعضكم يجادل في وحدانية الله ويتعامى عن دلائل وحدانيته"[65].

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾.

وكما سبق معنا فحيثما ذكر المسيء إلا وذكر المحسن، أو جزاء المحسن إلا وذكر المسيء.

ونلاحظ هنا لما ذكر حال الذي يجادل في وحدانية الله تعالى بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير،ذكر هناك أولئك الذين لم يتمسكوا بما كان عليه اباؤهم وأجدادهم، ولم يستجيبوا للشيطان الذي يدعوهم إلى الهلاك والشقاء إنما أسلموا لله سبحانه راضين بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ نبيا ورسولا، هؤلاء هم الذين استمسكوا بعروة توصلهم إلى الله مما يجعلهم سعداء في الدنيا والآخرة.

"لما بين حال المشرك والمجادل في الله بين حال المسلم المستسلم لأمر الله فقوله: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. إشارة إلى الإيمان وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾. إشارة إلى العمل الصالح"[66].

ثم يقول سبحانه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

"لما بين حال المسلم رجع إلى بيان حال الكافر فقال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ أي لا تحزن إذا كفر كافر"[67].

---

[64] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد13، ج25، ص153.

[65] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص175.

[66] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد13، ج25، ص134.

[67] المصدر السابق، ج25، ص135.

"لما خلا ذم الذين كفروا عن الوعيد وانتقل منه إلى مدح المسلمين ووعدهم عطف عنان الكلام إلى تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بتهوين كفرهم عليه تسلية له وتعريضا بقلة العبء بهم لأن مرجعهم إلى الله فيريهم الجزاء المناسب لكفرهم، فهو تعريض لهم بالوعيد"[68].

ثم أخبر عن حال عقولهم السخيفة التي تؤمن بأن الله هو الخالق لهذا الكون كله، لكنها في نفس الوقت تعتقد ألوهية غير الله، يقول سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَ اَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٥﴾ وَلَوَ اَنَّمَا فِي ٱلاَرْضِ مِن شَجَرَةٍ اَقْلَٰمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

"أنه تعالى لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين أنهم معترفون بذلك غير منكرين له وهذا يقتضي أن يكون الحمد كله لله"[69].

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوَ اَنَّمَا فِي ٱلاَرْضِ مِن شَجَرَةٍ اَقْلَٰمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

"لما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ﴾ وكان ذلك موهماً لتناهي ملكه لانحصار ما في السموات وما في الأرض فيهما، وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين أن في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها"[70].

ثم أخبر سبحانه مرة أخرى عن مدى قدرته وحكمته حيث ذكر هنا مسألة البعث والنشور وأنه سبحانه لا يعجزه شيء ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ثم استدل على ذلك بشيء معقول يمكن للإنسان أن يبصره بعقله وبفكره وبعينه فيصل في النهاية إلى الإقرار بوحدانية الله عز وجل والشكر له على نعمه الظاهرة والباطنة.

---

[68] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص177.

[69] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد13، ج25، ص136.

[70] المصدر السابق، مجلد13، ج25، ص137.

"لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للمحشر وقال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ومن لا نفاد لكلماته يقول للموتى كونوا فيكونوا"[71].

"استدلال على ما تضمنته الآية قبلها من كون الخلق الثاني وهو البعث في متناول قدرة الله تعالى بأنه قادر على تغيير أحوال ما هو أعظم حالا من الإنسان، وذلك بتغيير أحوال الأرض وأفقها بين ليل ونهار في كل يوم وليلة تغييرا يشبه طرو الموت على الحياة في دخول الليل في النهار، وطرو الحياة على الموت في دخول النهار على الليل، وبأنه قادر على أعظم من ذلك بما سخره من سير الشمس والقمر"[72].

يقول الحق جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

"لما ذكر آية سماوية بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ وأشار إلى السبب والمسبب ذكر آية أرضية، وأشار إلى السبب والمسب"[73].

ثم يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

"لما ذكر الله أن في ذلك لآيات ذكر أن الكل معترفون به غير أن البصير يدركه أولا ومن في بصره ضعف لا يدركه أولا، فإذا غشيه موج ووقع في شدة اعترف بأن الكل من الله ودعاه مخلصاً"[74].

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لاَّ يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

---

[71] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد 13، ج25، ص138.

[72] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص184.

[73] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد 13، ج25، ص 140.

[74] المصدر السابق، ص141.

"لما ذكر الدلائل من أول السورة إلى آخرها وعظ بالتقوى لأنه تعالى لما كان واحداً أوجب التقوى البالغة فإن من يعلم أن الأمر بيد اثنين لا يخاف أحدهما مثل ما يخاف لو كان الأمر بيد أحدهما لا غير، ثم أكد الخوف بذكر اليوم الذي يحكم الله فيه بين العباد"[75].

ثم يختم الله سبحانه هذه السورة بمفاتيح الغيب فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وأخلص إلى أن آيات هذه السورة كلها متناسقة ومترابطة مع بعضها البعض فقد تكون الأولى مجملة والأخرى مفسرة، وقد تكون الأولى مخبرة والثانية مدللة ومبينة للحجة، وقد تكون الآيات مبينة حال المعرض عن الله، والأخرى مبينة سعادة المقبل على الله، كل هذا التناسق العجيب يدعوا إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى، والاهتداء بآيات الذكر الحكيم.

[75] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد 13، ج25، ص142.

التعريف بالفصل الأول:

عنون هذا الفصل بـ الاهتداء بآيات الكتاب الحكيم ودلائل توحيد الألوهية، ويشتمل على المقطع الأول من هذه السورة المباركة؛ من الآية الأولى من مطلع السورة إلى الآية الحادية عشر(11) ﴿أَلٓمٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ... بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

يضم هذا الفصل في طياته خمسة مباحث تحت كل مبحث مطالب.

فالمبحث الأول حول كتاب الله عز وجل، وأراء المفسرين في الأحرف المقطعة في أوائل السور، وضرورة العودة إلى كتاب الله، ذلك لأنه كتاب هداية ورحمة للمحسنين.

أما المبحث الثاني فيتحدث عن أبرز أوصاف المحسنين التي ذكرت في السورة والتي تتمثل في إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والتصديق الجازم باليوم الآخر الذي يعد ركنا من أركان الإيمان بعد الإيمان بالله عز وجل.

بينما المبحث الثالث فيتعرض لأوصاف المسيئين كما جاءت في السورة من الاشتغال بلهو الحديث، وعن صاحب هذا الإضلال وعن الإعراض والاستكبار عن آيات الكتاب الحكيم.

ويأتي المبحث الرابع ويبين جزاء المحسنين المهتدين بالقرآن الكريم، وجزاء المسيئين المعرضين عنه ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[76]. والجزاء دائما من جنس العمل.

وفي الختام يأتي المبحث الخامس يتحدث عن الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته مثل خلق السماوات والأرض وإنزال الماء وإنبات النبات لنصل إلى النتيجة الحتمية إلى أن الكون كله مخلوق لله عز وجل، وأنه كتاب حكيم، منزل من رب حكيم يستوجب هذا إفراده سبحانه بالربوبية والألوهية وإثبات العجز والنقص لكل ما سوى الله سبحانه.

الهدف من هذا المقطع:

- أن يعلم المسلم عظم مكانة آيات الله عز وجل.
- أن يشعر المسلم بطلاقة القدرة الإلهية وأن يلامس قلبه حلاوة الإيمان.
- أن يمضي المسلم حاملا دعوة الله للناس جميعا .
- أن يحذر المسلم من الإعراض والاستكبار عن آيات الله.

[76] الزلزلة: الآيتان 7-8.

- إفراد الله سبحانه وتعالى في الربوبية والألوهية

تمهيد:

في مطلع سورة لقمان ينوه سبحانه بآيات الكتاب الحكيم، والتي تهدي للطريق المستقيم، كما يبين حال المتمسك بها المقبل عليها، وما مصيره؟ أنه سعادة في الدنيا بالحياة الطيبة، وسعادة بالدخول إلى جنات النعيم.

وبالمقابل يبين سبحانه حال المعرض عن الله عز وجل وعن آياته وما مصيره؟ إنه شقاوة في الدنيا بالإهانة والحياة التعيسة، وشقاوة في الآخرة بالعذاب الأليم.

ولما كان القرآن الكريم هو طريق من الطرق المؤدية إلى الإيمان بالله عز وجل وتوحيده سبحانه اقتضت حكمة الله عز وجل أن يبدأ بهذه المقدمات التي تثمر في النهاية توحيد المولى سبحانه، لكن لما كان التوحيد لابد أن يظهر في سلوك الإنسان من حيث خضوعه وتذلله للمولى سبحانه وإقامة الفرائض فقد ذكر سبحانه أهم العبادات وهذا إن دل على شيء إنما يدل على وجوب توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

جاء في كتاب فهرس رسالة التوحيد: "صار الإنسان بالتوحيد عبدا لله خالصا حرا من العبودية لكل ما سواه، فكان له من الحق ما للحر على الحر، لا علي في الحق ولا وضيع، ولا سافل ولا رفيع، ولا تفاوت بين الناس إلا بتفاوت أعمالهم ... "[77].

بالإضافة إلى أن رسالة القرآن الكريم تشمل وتتلخص في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، والتصديق والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وإتباع ما شرعه الله تعالى، والدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر.

"تتلخص رسالة القرآن الكريم في المقاصد الثلاثة الآتية:

1. الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له
2. الحث على التصديق بوحي الرسالة المحمدية وإتباع ما شرعه الله تعالى ...
3. الدعوة إلى الإيمان بالبعث وأن الله تعالى كما أنشأ الناس أول مرة في الحياة الدنيا فإنه سيبعثهم بعد الموت يوم القيامة وعدا عليه حقا ..."[78]

أسأل الله أن يوفقنا للاهتداء بهدي القرآن الكريم، والإقبال عليه حفظا وفهما وعملا وتدبرا.

---

[77] محمد عبده، **فهرس رسالة التوحيد**، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار إحياء العلوم، سنة 1986)، ص156.

[78] أحمد حنفي، **التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن**، ط03 (مصر، دار المعارف، بدون سنة الطبع)، ص24.

المبحث الأول: القرآن الكريم كتاب حكيم.

يقول الله عز وجل في مطلع هذه السورة: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿أَلٓمٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٢ ٱلذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤتُونَ

ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

هذه السورة المباركة كغيرها من السور المبدوءة بالأحرف المقطعة، والتي تباينت أراء العلماء في تفسيرها والمراد بها، من قائل أنها معقولة المعنى ومن قائل أنها لا معنى لها. إذن فما هي آراء العلماء في الأحرف المقطعة في فواتح السور؟

المطلب الأول: الأحرف المقطعة.

افتتح ربنا سبحانه سور القرآن الكريم بأنواع من الكلام، ومن بينها استفتاح السور بحروف التهجي، أو ما يسمى بالحروف المقطعة، وكانت سورة لقمان من بين السور التي افتتحها الله سبحانه بذلك وهي: ألم.

"استفتاح السور بحروف التهجي نحو: ألم، ألمص، ألمر، كهيعص، طه، طس، طسم، حم، حم عسق، ق، ن[79]. وذلك في تسع وعشرين سورة"[80].

وكما سبق معنا أن العلماء اختلفوا في تفسيرها وتباينت آراؤهم في ذلك وهذا ما يبينه الزركشي: "وقد اختلف الناس في الحروف المقطعة أوائل السور على قولين:

أحدهما: أن هذا علم مستور، وسر محجوب استأثر الله به، ولهذا قال الصديق رضي الله عنه: (في كل كتاب سر، وسره في القرآن أوائل السور). قال الشعبي: "إنها من المتشابه نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل"[81].

"واعلم أن المتكلمين أنكروا هذا القول، وقالوا لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يكون مفهوما للخلق"[82].

القول الثاني: أن المراد منها معلوم[83] وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجها فمنها البعيد والقريب.

---

[79] في النسخة لم يذكر "ص" لكن التسعة والعشرين لا تتم إلا بها.

[80] بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، خرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، ط01(بيروت، دار الكتب العلمية، سنة1428-2007)، ص99.

[81] نفس المصدر السابق، ص103.

[82] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد1، ص4، سورة البقرة.

"الرأي الثاني في فواتح السور: إن لها معنى مقصودا معلوما قالوا لأن القرآن كتاب هداية والهداية لا تتحقق إلا بفهم المعنى خصوصا أننا أمرنا بتدبر القرآن والاستنباط منه وهذا لا يكون إلا إذا فهم المعنى أيضا.

غير أن أصحاب هذا الرأي تشعبت أقوالهم في بيان هذا المعنى المقصود بفواتح تلك السور"[84].

الحكمة من الافتتاح بها: ثمة حكم جليلة وفوائد قيمة، من ذلك ابتلاؤه سبحانه لعباده، وتنبيهه على كمال ربوبيته، والقصور بالنسبة للمخلوق.

"وهي ابتلاؤه سبحانه وتمحيصه لعباده، حتى يميز الخبيث من الطيب، وصادق الإيمان من المنافق، بعد أن أقام لهم أعلام بيانه ودلائل هدايته وشواهد رحمته في غير تلك الفواتح من كتابه بين آيات وسور كثيرة لا تعتبر تلك الفواتح في جانبها إلا قطرة من بحر أو غيضا من فيض"[85].

فأما الذين ءامنوا فيعلمون أن هذه الفواتح حق من عند ربهم ولو لم يفهموا معناها، ولم يدركوا مغزاها ثقة منهم بأنها صادرة من لدن حكيم عليم. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[86].

ويبين محمود شلتوت أسرار هذا القول: "فلا بأس من أن يرد فيه بعض ما استأثر الله بعلمه تنبيها على القدرة التامة في جانب الربوبية، والقصور في جانب العبودية، وتلك سنة الله في خلقه وتكاليفه ...

وعلى هذا فنحن نؤمن بأن في القرآن سرا لا يدركه البشر هو معاني هذه الأحرف التي جاءت في فواتح السور، ولكن لا ينبغي أن تتوسع ..."[87].

---

[83] نسب هذا القول إلى المتكلمين، ينظر: محمود شلتوت، **تفسير القرآن الكريم العشرة أجزاء الأولى**، ط11(القاهرة، دار الشروق، سنة 1408هـ-1988م)، ص54.

[84] محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق فواز أحمد زمرلي، ط04(بيروت، دار الكتاب العربي، سنة 1423هـ-2002م)، ج1، ص228.

[85] نفس المصدر السابق، ج1، ص226.

[86] آل عمران: من الآية 7.

[87] محمود شلتوت، **تفسير القرآن -جزء العشرة الأولى-**، ط11 (القاهرة، دار الشروق، سنة 1408هـ-1988م)، ص56-57.

"وقد أفادت هذه الحروف فائدة عظيمة، وذلك من جهتين: **الأولى** أنه لما كان المشركون يمنعون سماع القرآن خشية التأثر به، فيهتدي إلى الحق من يحصل له ذلك، وقالوا: ﴿لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[88] كانت هذه الحروف بنغمها الخاص، ومُدودها العجيبة، تضطر المشرك إلى الإصغاء والاستماع، فحصل ضد مقصودهم، وكفى بهذه فائدة. **والثانية** أنهم لما ادعوا أن القرآن سحر وكهانة وشعر وأساطير الأولين، كأنما قيل لهم هذا القرآن الذي ادعيتم فيه كذا وكذا، قد تألف من هذه الحروف، ص، ن، ق، يس، طس، ألم، فألفوا سورة مثله واتوا بها للناس، فيصبح لكم ما تدعون، فإن عجزتم، فسلموا أنه كلام الله أنزله على عبده ورسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– فآمنوا ووحدوا واستقيموا على ذلك تعزوا وتكرموا وتكملوا وتسعدوا"[89].

وأخلص في نهاية هذا المطلب إلى أن هذه الأحرف سواء أدركنا معناها، أولم ندركه، فإنها من كلام الله عز وجل وأنها من القرآن الكريم وثمة كلام جميل للزرقاني: "وعلى كلا هذين الرأيين يتضح لنا أن اشتمال القرآن على هذه الألفاظ، ليس من قبل اشتماله على لغو الكلام، أو إظهار القرآن بمظهر عميق مخيف، ولا يفهم منه أنها رموز للمصاحف ألحقها مرور الزمن بالقرآن إلى غير ذلك من الهذيان، بل ثبوت هذه الفواتح لا يقدح في كون القرآن من عند الله، سواء أفادت معنى ظاهرا، أم لم تفد على ما بيناه من حكمة الله البالغة في إيرادها والله هو الحكيم العليم"[90].

"وكثير من هذه السور، إذا تأملته، فهو من أوله إلى ءاخره مبني على لزوم حجة القرآن، والتنبيه على وجه معجزته"[91].

المطلب الثاني: تحديد الكتاب لمعالم المحسنين (تفسير بعض المفردات).

---

[88] فصلت: من الآية 25.

[89] أبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط03 (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، سنة1409هـ)، ج4، ص140.

[90] الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، ص236.

[91] ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، **إعجاز القرآن للباقلاني**، ط01 (بيروت، دار مكتبة الهلال، سنة1993م)، ج1، فصل في أن نبوة النبي معجزتها القرآن، ص9.

يقول الله عز وجل: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴿ٱلٓمٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

ألفاظ هذه الآية هي بمثابة معالم للمحسنين لذلك يحسن التعرف على مدلولها فمنها:

﴿ءَايَـٰتُ﴾: آيات القرآن جمع آية.

"آيات القران جمع آية والآية تطلق في لسان اللغة بإطلاقات، أولها المعجزة، وثانيها العلامة، وثالثها العبرة، ورابعها الأمر العجيب، وخامسها الجماعة، وسادسها البرهان والدليل"[92].

"﴿ءَايَـٰتُ﴾ والآيات مفردها: آية، وهي في الأصل العلامة. ومنه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[93]. وأطلقت بعد ذلك على كل جزء من الأجزاء التي تتألف منها سور القرآن؛ لأنها علامة على صدق الرسول في دعواه أنه من عند الله"[94].

﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾: "الكتاب له معان منها: كتاب الله المتلو المنزل على رسله، كما يطلق أيضا على قضاء الله، وأيضا ما كتب علينا من الشرائع"[95].

"والكتاب في الأصل مصدر قال تعالى: ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[96]. وقد يراد به المكتوب. قال الشاعر: بشرت عيالي إذ رأيت صحيفة *** أتتك من الحجاج يتلى كتابها.

... قال ابن الخطيب[97]: "واتفقوا على أن المراد من الكتاب القرآن. قال تبارك وتعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ﴾[98].

---

[92] الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، ص338.

[93] آل عمران: من الآية 41.

[94] إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان في تفسير سورة لقمان**، بدون رقم وتاريخ الطبعة (مصر، مكتبة الجنيدي)، ص8.

[95] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط01 (دمشق، دار القلم-وبيروت، الدار الشامية، سنة 1417هـ-1996م)، بتصرف، ص233.

[96] النساء: من الآية 24.

[97] "يحيى بن علي بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني أبو زكرياء ابن الخطيب التبريزي كان إماما في النحو واللغة والآداب ... من مصنفاته تفسير القرآن وكتاب في إعراب القرآن وسماه الملخص وكانت ولادته سنة 421هـ، توفي 502". أحمد بن محمد الأنروي، **طبقات المفسرين**، ص151، رقم 198.

[98] ص: من الآية 28.

والكتاب جاء في القرآن على وجوه منها الفرض، ومنها الحجة والبرهان، ومنها الأجل، ومنها مكاتبة السيد عبده، والكتاب هنا المراد به القرآن"[99].

وحسب الطاهر بن عاشور: "والأظهر أن المراد به القرآن"[100].

- وجه تسميته:

"وتسمية القرآن كتابا إشارة إلى وجوب كتابته لحفظه، وكتاب القرآن فرض كفاية على المسلمين"[101].

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: جاء في لسان العرب مادة حكم: "وفي الحديث في صفة القرآن وهو الذكر الحكيم أي الحاكم لكم وعليكم، أو هو المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب"[102].

ويوضح الألوسي وصف الكتاب هنا بالحكيم، وما المراد بالحكيم فيقول: "... ووصف الكتاب بذلك عند بعض المغاربة مجاز، لأن الوصف بذلك للتملك، وهو لا يملك الحكمة، بل يشتمل عليها ويتضمنها، فلأجل ذلك وصف بالحكيم بمعنى ذي الحكمة ... ويجوز أن يكون الحكيم من صفاته عز وجل ووصف الكتاب به من باب الإسناد المجازي فإنه منه سبحانه بُدأً، وقد يوصف الشيء بصفة مبدئه كما في قول الأعشى :

وغريبة تأتي الملوك حكيمة *** قد قلتها ليقال من ذا قالها.

وأن يكون الأصل الحكيم منزله أو قائله"[103].

"﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾. الكتاب لا يوصف بالحكمة وإنما يوصف بالحكمة من يعلم، فالمعنى الكتاب الحكيم أي الموصف بالحكمة، أو الحكيم قائله، أو الحكيم منزله، ومعنى حكيم هو الذي يضع الشيء موضعه ولا يضع الشيء في موضعه إلا الله لأنه هو الذي يعلم صدق الشيء في موضعه"[104].

---

[99] أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، **تفسير اللباب في علوم الكتاب**، بدون رقم وتاريخ الطبعة (بيروت، دار المكتبة العربية)، ج1، ص49، باختصار.

[100] محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص128.

[101] المصدر السابق، ص128.

[102] ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد 05، ص4331، مادة حكم.

[103] الألوسي، **تفسير الألوسي**، ج1، ص404.

[104] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج 1، ص160.

﴿هُدىً وَرَحْمَةً﴾: "والهدى في كلام العرب معناه الرشد والبيان أي فيه كشف لأهل المعرفة ورشد وزيادة بيان وهدى"[105].

"الهدى هديان: هدى دلالة، وهو الذي تقدر عليه الرسل وأتباعهم، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[106]. وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[107]. فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه، وتفرد هو سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[108]"[109].

فإذا تحليت بهداية الله عز وجل تجلتك رحمة الله سبحانه، فالبداية الهداية، والنهاية الرحمة، إذن فما معنى الرحمة؟

﴿ وَرَحْمَةً﴾: "(رَحِمَ) الرَّحْمة الرقة والتعَطف والمرْحَمَةُ مثله وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه وتَراحَمَ القومُ رَحِمَ بعضهم بعضاً والرَّحْمَةُ المغفرة وقوله تعالى في وصف القرآن ﴿هُدىً وَرَحْمَةً﴾ لقوم يؤمنون أَي فصلناه هادياً وذا رَحْمَةٍ وقوله تعالى أَي هو رَحْمةٌ لأَنه كان سبب إِيمانهم ..."[110].

والرحمة في القرآن الكريم جاءت بمعان عدة حسب السياق الذي ذكرت فيه.

وقال بعضهم: "سماه هدى لما فيه من الدواعي إلى الفلاح والألطاف المؤدية على الخيرات فهو هدى ورحمة للعابدين، ودليل وحجة للعارفين"[111].

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾: جمع محسن وهو الذي اتصف بالإحسان وقد جاء في لسان العرب في مادة حسن: "الحسن ضد القبح ونقيضه ... والإحسان ضد الإساءة ورجل محسن. وفسر النبي صلى

---

[105] المصدر السابق، ص160.

[106] الرعد: من الآية 8.

[107] الشورى من الآية 49.

[108] القصص: من الآية 56.

[109] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج1، ص160.

[110] محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، باب رحم، ج12، ص230.

[111] إسماعيل حقي بن مصطفى الأستانبولي، **روح البيان**، بدون رقم وتاريخ الطبعة (لبنان، دار إحياء التراث العربي)، ج07، ص62.

الله عليه وسلم الإحسان حين سأله جبريل صلوات الله وسلامه عليه فقال: «... قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[112]..."[113].

"ومعنى المحسنين الفاعلون للحسنات. وأعلاها الإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولذلك خصت هذه الثلاث بالذكر بعد إطلاق المحسنين لأنها أفضل الحسنات، وإن كان المحسنون يأتون بها وبغيرها"[114].

ويبين الرازي الفرق بين قوله تعالى ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وبين قوله ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ حيث يقول: "المسألة الثانية: قال هناك ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وقال ههنا ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنه لما ذكر شيئا آخر قال ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي يهتدي به من يتقي الشرك والعناد والتعصب، وينظر فيه من غير عناد، ولما زاد رحمة هاهنا قال ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ أي المتقين الشرك والعناد الآتين بكلمة الإحسان، فالمحسن هو الآتي بالإيمان، والمتقي هو التارك للكفر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلذِينَ ٱتَّقَواْ وَّالذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[115]. ومن جانب الكفر كان متقياً وله الجنة، ومن أتى بحقيقة الإيمان كان محسناً وله الزيادة، لقوله تعالى﴿لِّلذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[116] ولأنه لما ذكر أنه رحمة قال ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ لأن رحمة الله قريب من المحسنين"[117].

المطلب الثالث: آيات الكتاب الحكيم هي السبيل للاتصاف بالحسنى.

إن كتاب ربنا سبحانه كتاب هداية للبشرية، ونور وفرقان ورحمة لكل من أقبل عليه تلاوة وسماعا وحفظا وعملا وتدبرا حيث يقول المولى جل وعلا: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِے لِلتِے هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُومِنِينَ ٱلذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ۝ وَأَنَّ

---

[112] أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم (الجامع الصحيح)**، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1421هـ-2001م)، ج1، باب الإسلام والإيمان، ص27-28، حديث رقم 8/1.

[113] ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد 05، ص541-543، مادة حسن.

[114] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص141.

[115] النحل: الآية 128.

[116] يونس: من الآية 26.

[117] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج25، ص123.

أُلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً آلِيماً﴾[118]. ويقول أيضا: ﴿وَكَذَالِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ آمْرِنَاۖ مَا كُنتَ تَدْرِى مَاٱلْكِتَبُ وَلاَ ٱلإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۖ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلاَرْضِۗ أَلآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلاُمُورُ﴾[119].

ولما كان القرآن الكريم هو كتاب هداية وإعجاز ونور وفرقان، فقد وصف ربنا آياته بالحكمة في قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

"واختيار وصف الكتاب هنا بالحكمة، لأن موضوع الحكمة مكرر في هذه السورة، فناسب أن يختار هذا الوصف من أوصاف الكتاب في وجوه المناسب على طريقة القرآن الكريم. ووصف الكتاب بالحكمة يلقي عليه ظلال الحياة والإرادة، فكأنما هو كائن حي متصف بالحكمة في قوله وتوجيهه، قاصد لما يقول، مريد لما يهدف إليه. وإنه لكذلك في صميمه. فيه روح. وفيه حياة. وفيه حركة. وله شخصية ذاتية مميزة. وفيه إيناس. وله صحبة يحس بها من يعيشون معه ويحيون في ظلاله، ويشعرون له بحنين وتجاوب كالتجاوب بين الحي والحي، وبين الصديق والصديق!"[120].

ويقول صاحب الأساس: "وكيف لا يكون حكيما وهو كتاب الله الحكيم، فهو حكيم في أحكامه، وحكيم في معالجته، وحكيم في ترتيب آياته، وحكيم في ترتيب سوره، وحكيم في ألفاظه، وحكيم في طريق مخاطباته، وحكيم فيما تحتمله آياته من وجوه، وحكيم في مرونة ألفاظه حتى تسع الزمان والمكان، وحكيم في كونه يضع كل شيء في محله ويجعل أهله يضعون الأشياء في مواضعها"[121].

وقد شرف سبحانه وأكرم المقبل على القرآن الكريم بأكرم العطايا ذلك لأنه أقبل على خيري الدنيا والآخرة. فربنا يصف كتابه بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍۚ﴾[122].

---

[118] الإسراء: الآية 10.

[119] الشورى: الآيتان: 50/49.

[120] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط10(بيروت، دار الشروق، سنة1402هـ-1982م)، ج6 ص3.

[121] سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ط2(دار السلام للطباعة والنشر، سنة1409هـ-1989م)، المجلد8، ص4308-4309.

[122] الأنعام: من الآية 39.

فقد جاء في الحديث: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول يا رب ارض عنه، فيرضى عنه فيقال له اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة»[123].

دعوة إلى القرآن الكريم:

علينا أن نعود إلى كتاب ربنا حفظا وتلاوة وتدبرا وعملا، فإن الأمة اليوم تعاني هجرا لكتاب الله عز وجل، وهذا ما شكا أو يشكوا منه الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[124].

لذلك علينا أن نتساءل عن واجبنا نحو كتاب ربنا. هل أنزله الله ليعلق على الجدران وكفى؟ أم أنزله ليقرأ على الأموات فقط؟ أم أنزله ليهديه الأمراء إلى بعضهم البعض؟ كلا، بل أنزله الله لتسعد به البشرية في الدنيا والآخرة، أنزله ليقيم به أمة، أنزله ليحيي به أمة، أنزله لتعيش الأمة في راحة وطمأنينة واستقرار، فالله سبحانه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ طَٰهَٰ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[125]. وواجبنا يتمثل في الأمور التالية باختصار:

1. الإقبال على تلاوته: على المؤمن خصوصا أن يكون له ورد يومي من القرآن الكريم كي يؤدي واجبه، وينتفع بنور القرآن الكريم، ويملأ صحيفة عمله بالحسنات. يقول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[126]. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:«من قرأ حرفا من كتاب

---

[123] رواه **الترمذي** عن أبي هريرة، وقال حديث حسن، ج1، باب ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، ص157، رقم الحديث 2839. **المستدرك على الصحيحين**، ج1، باب أخبار في فضائل القرآن، ص738، حديث رقم 2029. ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، **سنن الدارمي**، ج2، باب فضل من قرأ القرآن، ص523، حديث رقم 3312. البيهقي، **شعب الإيمان**، ج2، فصل في إدمان تلاوة القرآن، ص346، حديث رقم 1996-1997.

[124] الفرقان: الآية 30.

[125] طه: الآية 1.

[126] البقرة: الآية 120.

الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول﴿ أَلَمٓ﴾ حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[127]. ويقول أيضا: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»[128].

2. الإقبال على سماع القرآن: خصوصا بالنسبة لمن لا يحسن التلاوة بقول المولى سبحانه: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[129].

"وعن عبد الله بن مسعود قال: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقرأعلي القرآن» قال: فقلت يارسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري» فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[130] رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعت رأسي، فرأيت دموعه تسيل)"[131]

3. التدبر والعمل به: وهذا من أعظم الواجبات. يقول سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[132]. ويقول أيضا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[133]. فالأمة اليوم ما أدى بها إلى هذا الضعف إلا بعدما تركت العمل بكتاب ربها. يقول بن عمر –رضي الله عنهما–: (كانت تنزل علينا الآية في عهد رسول الله فنحفظ حلالها وحرامها، وأمرها وزجرها قبل أن نحفظها)[134].

---

[127] أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود وقال حديث حسن صحيح، **سنن الترمذي**، ج5، باب ما جاء في من قرأ حرفا من كتاب الله، ص531، حديث رقم 2835. البيهقي، **شعب الايمان**، ج2، فصل في إدمان تلاوة القرآن، ص341، حديث رقم 1983–1984. الطبراني، **المعجم الكبير**، حديث عوف بن مالك، ج18، ص76، حديث رقم 141.

[128] **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ص290، حديث رقم 804/252.

[129] الأعراف: الآية 204.

[130] النساء: الآية 41.

[131] **صحيح البخاري**، ج3، كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره، حديث رقم 5049، ص1298.**صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن، رقم الحديث 800/247، ص289.

[132] ص: الآية 28.

[133] محمد: الآية 25.

[134] **المستدرك على الصحيحين**، ج1، ص91، حديث رقم 101، عن ابن عمر، وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

4. الفهم الصحيح للقرآن: حيث ينبغي أن ندرك جيدا أن القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح للنفوس البشرية. قال تعالى: ﴿ أَلٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾. فيه هداية للمتقين، فيه هداية للمحسنين الذين تنوروا بنوره.

إن القيام بواجب القرآن الكريم ينعكس على المتمسك به بما يلي:

- سعادة الدنيا والآخرة: لاشك أن الإنسان يسعى لأن يكون سعيدا بتحقيق الحياة الطيبة في الدنيا، وبالنجاة يوم القيامة من النار، وبالدخول إلى الجنة، وهذا لن يتأتى إلا بالقرآن الكريم فالبعض من الناس اليوم لما أدبروا على كتاب الله والعمل به أصابهم هم وقلق وتعاسة وشقاء.
- الهداية والتوفيق لكل خير: من أراد الهداية نحو الخير والإيمان فليقبل على آيات الكتاب الحكيم ذلك لأنها آيات هداية ورحمة.
- التمكين في الأرض وتيسير أسباب الاستقرار وعدم الإضطراب، من سنن الله في كونه أنه ينصر من نصره، ويهدي من جاهد في سبيله ويمكن في الأرض من تمسك بكتابه.
- الأمن من الخوف: ذلك لأن القرآن الكريم يغرس طمأنينة في القلب، واعتمادا وتوكلا على الخالق سبحانه.

المبحث الثاني: أوصاف المحسنين المهتدين بالقرآن كما جاءت في السورة

قال تعالى: ﴿... ٱلذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

جاءت هذه الآيات كوصف للمحسنين فهل هذه صفات كل المحسنين؟

والجواب عن ذلك أنها ليست كل صفاتهم، إنما هي أبرز صفاتهم، والتي تعد بمثابة الأسس للأعمال الأخرى والتي إن قام بها المسلم بصدق وإخلاص مؤديها وفق ما جاءت به السنة فإنها تدفعه إلى التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

المطلب الأول: من أبرز صفات المحسنين إقامة الصلاة.

الإيمان لا يكمل ولا يتم إلا بالعمل الصالح، إذ لا يكفي الإنسان أن يدعي أنه يؤمن بالله. عز وجل، ويؤمن بالرسالة المحمدية من غير عمل ظاهر يصدق هذا الإدعاء. فأعمال الجوارح

شرط في كمال الإيمان. قال ابن أبي زيد القيرواني: "ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل ولا قول ولا عمل إلا بموافقة السنة"[135].

إذن من أعظم صفات المحسنين إقامة الصلاة، فما مفهوم الصلاة؟ ولماذا خصها الله دون سائر العبادات؟ وما هي صفات المخلين بالصلاة؟ وما هي مواصفات العاملين بوصية الصلاة؟ وما فضل العمل بها؟

- **تعريف الصلاة:**

"(صلا) الصلاة: الركوع والسجود ... والصلاة الدعاء والاستغفار"[136]

لغة: من حيث المعنى: جاء في تفسير القرطبي: "الصلاة أصلها في اللغة الدعاء مأخوذة من صلى يصلي إذا دعاه ومنه قوله عليه السلام: «إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطرا فليطعم وإن كان صائما فليصل»[137] أي فليدع. وقال بعض العلماء: إن المراد الصلاة المعروفة، فيصلي ركعتين وينصرف، والأول أشهر وعليه من العلماء الأكثر. (ولما ولدت أسماء عبد الله بن الزبير أرسلته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قالت أسماء: ثم مسحه وصلى عليه، أي دعا له)[138]. وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[139] أي ادع لهم"[140].

---

[135] أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي، **الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني**، ضبط وتحقيق عبد الوارث محمد علي، ط01 (بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1418هـ-1997م)، المجلد 1، ص144ـ146.

[136] ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد06، ص329، مادة صلا.

[137] **صحيح مسلم**، من حديث أبي هريرة، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوته، ص536، حديث رقم 1432.

[138] **صحيح مسلم**، من حديث عروة ابن الزبير، كتاب الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، ص851، حديث رقم 2146. ابو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول لله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، بدون رقم وتاريخ الطبعة(بيروت، دار الفكر، سنة 1427هـ-2007م)، ج2، ص955، حديث رقم 3909، بمعناه.

[139] التوبة: من الآية 104.

[140] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج1، ص168.

والصلاة لها معان كثيرة كما بينها القرطبي في تفسيره: "والصلاة الدعاء، والصلاة الرحمة ومنه: «اللهم صل على محمد»[141]. والصلاة: العبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾[142]، أي عبادتهم. والصلاة: النافلة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَامُرَ اَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[143] والصلاة التسبيح، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾[144] أي من المصلين. ومنه سبحة الضحى. وقد قيل في تأويل: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾[145] نصلي. والصلاة: القراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾[146] فهي لفظ مشترك"[147].

شرعا: "ثم استعملت الصلاة **في** الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة، بشروطها المعروفة، وصفاتها، وأنواعها المشهورة"[148].

جاء في تفسير التحرير والتنوير: "فأما الصلاة المقصودة في الآية فهي العبادة المخصوصة المشتملة على قيام وقراءة وركوع وسجود وتسليم"[149].

إذن ثمة علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، ذلك لأن كلا منهما يفضي إلى معنى الدعاء والاستغفار والتراحم.

- **حقيقة الصلاة:** التذلل والخضوع لله سبحانه وإظهار الافتقار، والخشية منه سبحانه.

"الصلاة إظهار الحاجة والافتقار إلى المعبود بالقول أو العمل أو كليهما"[150].

---

[141] **صحيح البخاري**، ج3، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾، ص1211، حديث رقم 4797-4798. **صحيح مسلم**، من حديث ابن مسعود، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، ص159، حديث رقم 405/65.

[142] الأنفال: من الآية 35.

[143] طه: من الآية 130.

[144] الصافات: الآية 143.

[145] البقرة: من الآية 29

[146] الإسراء: من الآية 109.

[147] القرطبي، **تفسير القرطبي**، مجلد01، ص137.

[148] عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير ابن كثير**، ط01 (بيروت، دار ومكتبة الهلال، سنة 1415هـ-1995م)، ج1، ص169.

[149] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص229.

وكما جاء في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فلا يكون الإنسان محسنا إلا إذا أقام الصلاة.

فما المراد بإقامتها؟

"أي يجعلونها كأنها قائمة بفعلها بسبب إتقان جميع ما آمر بعد فيها وندب إليه، وتوقفت بوجه عليه، على سبيل التجديد في الأوقات المناسبة لها والاستمرار"[151].

"... ولم يقل يصلون وفرق بينهما فإن الصلاة متى حددت بكيفية مخصوصة يقال لمن يؤديها بتلك الكيفية إنه صلى وإن كان عمله هذا خلوا من معنى الصلاة وقوامها المقصود من الهيئة الظاهرة فاحتيج إلى لفظ يدل على هذا المعنى الذي به قوام الصلاة وهو ما عبر عنه بالقرآن بلفظ الإقامة. وقد قالوا إن إقامة الصلاة عبارة عن الإتيان بجميع حقوقها من كمال الطهارة واستيفاء الأركان والسنن وهو لا يعدوا وصف الصورة للظاهرة، وإنما قوام الصلاة الذي يحصل بالإقامة هو التوجه إلى الله تعالى والخشوع الحقيقي له، والإحسان بالحاجة إليه"[152].

ملاحظة: يرى محمد رشيد رضا أن من قال بأن إقامة الصلاة تتمثل في الإتيان بجميع حقوقها من كمال الطهارة واستيفاء الأركان والمحافظة على الأوقات، فإن هذا لا يتجاوز الوصف الظاهر فقط.

لكن ينبغي أن نعلم أن الصلاة إذا حافظ على جميع شروطها وفروضها وسننها، واجتنب كل مكروهاتها ومبطلاتها، وأداها بخشوع وتذلل لله سبحانه أثمرت هذه الصلاة ثمرتها من تعلق بالله سبحانه ومراقبته والخشية منه والابتعاد عن كل ما يغضب الله ورسوله. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[153].

---

[150] محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)، ج01، ص128.

[151] برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر**، ج6، ص336.

[152] محمد رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**، ط02 (بيروت، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بدون تاريخ الطبع)، ج1، ص128-129.

[153] العنكبوت: من الآية 45.

"وإقامة الصلاة وأداؤها على وجهها وفي وقتها أداء كاملا تتحقق به حكمتها وأثرها في الشعور والسلوك، وتنعقد به تلك الصلة الوثيقة بين القلب والرب، ويتم به هذا الأنس بالله وتذوق حلاوته التي تعلق القلوب بالصلاة"[154].

ولعل الجمع بين القولين أن محمد رشيد رضا يرى الإقامة في تحقيق الهدف المنشود منها مباشرة. بينما الآخرون يرون أن تحقيق تلك الشروط وتلك الفرائض، يؤدي لا محالة إلى هذا الهدف.

وقد أمر الله بأدائها في كثير من الآيات: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾[155]، ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[156]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[157].

- **لماذا خص الله سبحانه الصلاة دون سائر العبادات:**

ذلك لما للصلاة من خصائص ومميزات وأهمية على غيرها من العبادات، يقول البقاعي: "ولما كانت الصلاة التزام عهد العبادة، مبنياً على تقدم الشهادة متممة بجماع الذكر وأنواع التحيات لله من القيام له تعالى والركوع له والسجود الذي هو أعلاها والسلام بالقول الذي هو أدنى التحيات، كانت لذلك تعهداً للإيمان وتكراراً، ولذلك من لم يدم الصلاة ضعف إيمانه وران عليه كفر فلا إيمان لمن لا صلاة له"[158].

وقد جاء في الحديث: «رأس الأمر كله الإسلام وعموده الصلاة»[159].

بالإضافة إلى أنها الفريضة الوحيدة التي فرضها الله علينا بلا واسطة ليلة الإسراء والمعراج، بينما باقي التكاليف فقد فرضت بواسطة الأمين جبريل عليه السلام.

---

[154] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مجلد5، ص 2783.

[155] العنكبوت: من الآية 45.

[156] النساء: من الآية 161.

[157] البقرة: من الآية 42.

[158] بر هان الدين البقاعي، **نظم الدرر**، ج1 ص10.

[159] **سنن ابن ماجه**، باب كف اللسان في الفتنة،ج02، ص231، حديث رقم 3973. **سنن الترمذي**، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ج5، ص11، حديث رقم 2825، وقال حديث حسن صحيح. **مسند الإمام أحمد**، ج05، ص231، حديث معاذ، حديث رقم 22665. **سنن النسائي**، كتاب التفسير، ج6، ص428، حديث رقم 11394. الطبراني، **المعجم الكبير**، حديث معاذ، حديث رقم96. **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الجهاد، ج02، ص86، حديث رقم2408، قال الذهبي حديث صحيح على شرط الشيخين.

كما أن الصلاة أعظم قواعد الإسلام، وأرفع أعمال الإيمان، وأقرب وسيلة إلى الرحمن، وهي مفزع التائبين، وملجأ الخائفين، ذلك لأن الصلاة مشتملة على الثناء والحمد والتمجيد والتسبيح والتكبير وشهادة الحق والقيام بين يدي الرب مقام الذليل الخاضع. والصلاة أفضل الأركان بعد الشهادتين كما جاء في الحديث الوارد في الصحيحين: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، ... »[160].

ولما كانت الصلاة بهذه الأهمية فقد بين سبحانه عظيم آثارها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[161]. وجعلها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عماد الدين فقال: «الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام»[162]. وقد أمر الله بإقامتها بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[163]، وبالمحافظة عليها وإدامتها﴿ٱلذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[164]، ﴿وَالذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[165]. وبأدائها في أوقاتها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ كِتَٰباً مَّوْقُوتاً﴾[166]، وبأدائها في جماعة بقوله: ﴿وَارْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[167]. وبالخشوع فيها بقوله: ﴿قَدَ اَفْلَحَ ٱلْمُومِنُونَ ۝١ ٱلذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[168].

- **صفات المخلين بالصلاة:** ومن صفاتهم:

---

[160] **صحيح البخاري**، باب الإيمان، ج1، ص22، حديث رقم2/2. **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام»، ص31، حديث رقم 16/22.

[161] العنكبوت: من الآية 45.

[162] الطبراني، **المعجم الاوسط**، تحقيق ابي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبي الفضل عبد المحسن بن ابراهيم الحسيني بدون رقم الطبعة(دار الحرمين، سنة 1415هـ-1995م)، ج8، ص380، حديث رقم8937، من حديث ابي الدرداء وقال حديث ضعيف. البيهقي، **شعب الايمان**، ج 3، باب21، ص39، حديث رقم 2807، عن عكرمة عن عمر وقال حديث ضعيف،

[163] البقرة: من الآية 42.

[164] المعارج: الآية 23.

[165] المومنون: الآية 9.

[166] النساء: من الآية 102.

[167] البقرة: من الآية 42.

[168] المومنون: الآيتين 1و2.

- الخيانة لله ورسوله: فربنا سبحانه يأمرنا بإقامة الصلاة في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام- فإن استجاب الإنسان لهذه الأوامر كان من المفلحين وإلا كان من الخائنين، وقد نها الله عن ذلك بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[169].

والخيانة تتنافى والإحسان، فالخائن لا يمكن بأية حال أن يكون من المحسنين إلا إذا تاب وأقلع عن ذنبه وعاد إلى الله سبحانه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

- القلق والجزع: فإقامة الصلاة تبعث على الاطمئنان والاستقرار. قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ ...﴾[170]. أما إضاعتها فتبعث على القلق والجزع والحياة المنغصة التي لا راحة معها ولا استقرار. ويكفي ما جاء من الوعيد كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[171]. وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾[172].

"فكل مستخف بالصلاة مستهين بها، فهو مستخف بالإسلام مستهين به، وإنما حظهم من الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة فاعرف يا عبيد الله، واحذر أن تلقى الله، ولا قدر للإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك"[173].

ويتصف العاملون بها بأنهم حافظون للأمانات، صابرون على الطاعات، شاكرون للنعم.

- **فضل العمل بالصلاة:**

الصلاة إن صلحت صلح سائر العمل، وإن فسدت فسد سائر العمل. ففي حديث أنس الثابت في الجامع الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة

---

[169] الأنفال: الآية 27.

[170] البقرة: من الآية 44.

[171] مريم: الآية 59.

[172] الماعون: الآيتين 4و5.

[173] أبو الحسين بن أبي يعلى محمد بن محمد، **طبقات الحنابلة**، تحقيق محمد حامد الفقي، ط01 (بيروت، دار المعرفة، 1371هـ)، باب رسالة الصلاة، ص353.

الصلاة فأن صلحت صلح سائر العمل، وإن فسدت فسد سائر العمل»[174]. وكذلك حديث عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن غفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه»[175].

الصلاة مدرسة روحية: إن الصلاة مدرسة قائمة بنفسها نتعلم فيها أمورا كثيرة، من ذلك:

1. قراءة القرآن الكريم، فكم من الناس لا يقرءون القرآن إلا في الصلاة لانشغالهم بالدنيا، أو لجهلهم بالدين، فالصلاة فرصة لقراءة القرآن وسماعه وضبطه والتعبد بتلاوته.

2. ذكر الله عز وجل، بما أن الصلاة تشتمل على التكبير والتسبيح، والتحميد والاستغفار فإن المؤمن يتعود من خلال ذلك على هذا الذكر الذي تطمئن به القلوب وتتعطر به الألسن، وتتجمل به القلوب وتتعطر به الألسن، وتتجمل به الأوجه.

3. الطهارة، ونتعلم من هذه المدرسة الربانية الطهارة بمفهومها الواسع، فهي طهارة للقلب من أوساخ الذنوب وتكفير السيئات خصوصا، وأن الإنسان مطالب بتكرارها في اليوم خمس مرات. وقد أشار النبي–صلى الله عليه وسلم– إلى هذا المعنى بهذا المثل العظيم: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[176].

---

[174] **سنن الدارمي**، باب اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، ج4، ص175، حديث رقم 1406. ابو داوود سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي، **سنن بن ابي داوود**، تعليق عزت عبيد الدغانس وعادل السيد، ط1(بيروت، دار ابن حزم، سنة 1418هـ–1997م)، ج1، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه»، ص322، حديث رقم 864، من حديث ابي هريرة. **سنن ابن ماجه**، ج1، باب ما جاء في اول ما يحاسب به العبد الصلاة، ص457، حديث رقم 1426. **سنن الترمذي**،ج2، باب ما جاء ان اول ما يحاسب به العبد ...، ص221، حديث رقم 415، وقال حديث ابي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه. **سنن النسائي**، ج1، باب المحاسبة على الصلاة، ص332، حديث رقم 465.

[175] مالك بن انس، **موطأ الامام مالك** على رواية يحيى بن يحيى، بدون رقم وتاريخ الطبع(الجزائر، دار الكتب)، باب الأمر بالوتر، ص54، حديث رقم268. **صحيح بن حبان**، ج5، باب فضل الصلوات الخمس، ص23، حديث رقم 1732. **سنن ابي داوود**، ج2، باب في المحافظة على وقت الصلاة، ص80، حديث رقم 425. **سنن ابن ماجه**،ج1، باب ما جاء في فرض الصلاة، ص449، حديث رقم 1401 . **مسند الامام احمد**، حديث عبادة بن الصامت، ج ، ص ، حديث رقم23372.

[176] **صحيح البخاري**، ج01، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، ص138،حديث رقم 528. **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضيع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، ص242، حديث رقم666/282.

كما نتعلم الاهتمام بالطهارة الحسية من حيث التنظيف والتزين، أكثر أعضاء الوضوء عرضة للأوساخ والأمراض، فجاءت الصلاة تأمر بتطهير هذه الأعضاء حتى يكون المؤمن دائما في صحة جيدة، قويا في إيمانه، قويا في صحته، تتمثل هذه النظافة في مشروعية الوضوء ومشروعية الغسل بل وفي مشروعية التيمم، لكن للأسف البعض من الناس لا يبالي بأمر الصلاة ولا يتزين إن أراد القيام بها، حيث يقبل على ربه بثياب وسخة، وهيئة محتشمة، لا يرضى بها العباد عن ربهم.

4. التحرر الكامل، ذلك لأن المصلي يتصل مباشرة بربه فيستمد القوة والعون منه فلا يضعف أبدا، ومن ثم يتحرر من الخوف ومن التبعية فيستقيم تصوره، فلا يسأل إلا ربه، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يعبد إلا إياه.

5. اكتساب الأخلاق العالية، فالمؤمن يتعود على هذه الأخلاق، حيث لا يتكلم إلا فيما يعنيه من قراءة للقرآن وذكر الله عز وجل، ولا يطلق بصره ولا يستمع إلا لذكر الله عز وجل، ولا يتعدى على جسمه فضلا عن جسم غيره، ولا يشغل فكره بدنيا زائلة، أو شهوة فاتنة. وبذلك يتعود المسلم على فعل الخير ومجانبة الشر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[177].

6. احترام الوقت، فبالمحافظة على أوقات الصلاة يدرك الإنسان مفهوم الوقت فلا يصرفه إلا فيما ينفعه لأن الوقت هو الحياة.

7. النظام، من حيث التوجه إلى القبلة وتسوية الصفوف، والتزام السكون، والقيام بحركات خاصة.

8. كما نتعلم منها الطاعة، من حيث اتباع الإمام والاقتداء به في إطار الشرع.

9. إعطاء الجسم حقه من الرياضة البدنية، فالقيام بالحركات الرياضية التي تتمثل في القيام والركوع والسجود والجلوس، نتعلم منه هذا الدرس.

[177] العنكبوت: من الآية 45.

"وهكذا تكون الصلاة حركة وعملا يشمل جوانب الشخصية كلها، فالجسم في الصلاة يعمل قائما قاعدا، راكعا ساجدا، واللسان يعمل قارئا مكبرا، مسبحا مهللا، والعقل يعمل متدبرا متفكرا فيما يتلى عليه من قرآن، والقلب يعمل مستحضرا رقابة الله وخشيته وحبه والشوق إليه"[178].

10. كيفية تغذية الأرواح، وكيفية التغلب على مصائب الحياة، فبها يستعان على كل مشاغل الدنيا والآخرة، ذلك لأن الانسان في الصلاة يشكو إلى الله حوائجه يسأله الهداية والتوفيق "إنها تقوم بتغذية ذلك الجزء العلوي الإلهي في كيان الإنسان، لا يكفي لتغذيته علم العلماء، ولا أدب الأدباء، ولا فلسفة المتفلسفين، ولا يغذيه إلا معرفة الله وحسن الصلة به وهذه الصلوات الخمس هي وجبات الغذاء اليومي للروح، كما أن للمعدة وجباتها اليومية، ففي مناجاة العبد لربه في صلاته شحنة روحية تنير قلبه، وتشرح صدره، وتأخذ بيده من الأرض إلى السماء، وتدخله إلى الله بلا باب، وتقف بين يديه بلا حجاب، فيكلمه بلا ترجمان ويناجيه فيناجي قريبا غير بعيد، ويستعين به، فيستعين بعزيز غير ذليل، ويسأله فيسأل غنيا غير بخيل"[179].

إذن فالصلاة هي مناجاة العبد لربه، ومفتاح القلوب، وكفارة للذنوب، وملجأ الخائفين، وراحة وطمأنينة، وضياء ونور، ومدرسة للمخلصين، وطريق إلى الجنة.

وأصل في نهاية هذا المطلب إلى أن جميع أعمال الصلاة توحيد وتعظيم لله سبحانه.

"لا عمل بعد توحيد الله أفضل من الصلاة لله لأنه افتتحها بالتوحيد والتعظيم لله بالتكبير ثم الثناء على الله وهي قراءة الفاتحة، وهي حمد لله وثناء عليه وتمجيد له ودعاء وكذلك التسبيح في الركوع والسجود والتكبيرات عند كل خفض ورفع كل ذلك توحيد له وتعظيم له، وختمها بالشهادة له بالتوحيد ولرسوله بالرسالة"[180].

المطلب الثاني: من صفات المحسنين أداء الزكاة.

حيثما ذكرت الصلاة إلا وذكر معها الركن الثالث من أركان الإسلام المتمثل في الزكاة ذلك لأن الصلاة صلة بين العبد وربه، والزكاة صلة بين العبد وأخيه فالزكاة تعتني بالمجتمع عموما

---

[178] يوسف القرضاوي، **العبادة في الإسلام**، بدون رقم الطبعة (باتنة، دار الشهاب، 01 ربيع الثاني 1391هـ-26ماي 1971م)، ص219.

[179] يوسف القرضاوي، **العبادة في الإسلام**، ص216.

[180] محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، **تعظيم قدر الصلاة**، تحقيق عبد الرحمان عبد الجبار الفريوائي، ط01 (المدينة المنورة، مكتبة الدارسنة 1406هـ)، ج01، 268.

وبالفئات الضعيفة خصوصا فيا ترى ما معنى الزكاة؟ وما المراد بها في الآية الكريمة؟ ولماذا كانت من أعلى صفات المحسنين بعد الصلاة؟

جاء في كتاب معجم مقاييس اللغة: "(زَكَى) الزاي والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال. قال بعضهم سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضُهم: سميت زكاةً لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قولُهُ جلَّ ثناؤه: ﴿خُذْ مِنَ اَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[181]. والأصل في ذلك كلِّه راجع إلى هذين المعنيين، وهما: النَّماء والطهارة"[182].

"وقد اختلف العلماء في المراد بالزكاة فهناك من ذهب إلى أنها الزكاة المفروضة ذاك لأنها ذكرت مع فريضة الصلاة، وهناك من ذهب إلى أنها النفقة على الأهل والولد وثالث يرى أنها صدقة التطوع"[183].

ويرى الطاهر بن عاشور: "والزكاة هنا الصدقة، وكانت موكولة إلى همم المسلمين غير مضبوطة بوقت ولا بمقدار"[184].

ويقول محمد رشيد رضا: "هذا الوصف من أقوى أمارات الإيمان بالغيب لأن كثيرا من الناس يأتون بضروب العبادات البدنية كالصلاة والصوم، ومتى عرض لهم ما يقتضي بذل شيء من المال لله تعالى يمسكون، ولا تسمح أنفسهم بالبذل، وليس المراد هنا ما يكون على الأهل والولد، ولا ما يسمونه بالجود والكرم كقرى الضيوف ابتغاء عوض كالشهرة والجاه، أو الإنس بالأصحاب، لأن هذا ليس من آثار الإيمان بالغيب. وإنما هو الإنفاق الناشئ عن شعور بأن الله تعالى هو الذي رزقه وأنعم عليه به، وأن الفقير المحروم عبد لله مثله، وأنه حرم من سعة العيش لضعف، أو حرمان من الأسباب التي توصل إلى الرزق، أو عن إحساس كبير بأن مصلحة من مصالح المسلمين، ومنفعة من منافعهم العامة لا تقوم أو لا تصل إليهم إلا ببذل المال وقد أوجب الله على من أوتي المال أن ينفق منه في ذلك السبيل وهو أفضل سبل الله فمن يجد نفسه داعية لبذل أحب الأشياء إليه – وهو ماله– ابتغاء مرضات الله تعالى وقياما بشكره

---

[181] التوبة: من الآية 104.

[182] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1399هـ-1979م)، ج3، ص17.

[183] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج1، ص144، باختصار.

[184] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص140.

ورحمة لأهل العوز واليائسين من خلقه، فهو لاشك مستعد لقبول هداية القرآن أتم الاستعداد حتى إذا ما دعي إليه لبى وأجاب، وأسلم إلى الله تعالى وأناب"[185].

أسرار الزكاة:

والإسلام عندما شرع الزكاة كان يسعى لتحقيق أهداف وآثار جد عظيمة. وإن كانت كلمة الزكاة من الناحية اللغوية تحمل معنى الطهارة والنظافة ومعنى النماء والزيادة، فإن الزكاة الشرعية فعلا هي طهارة ونظافة وهي نماء وزيادة.

– فهي تطهر صاحبها من الشح والبخل، وتحرره من عبودية المال، وهذان مرضان خطيران يصاب بهما الإنسان ﴿وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[186].

– الزكاة تدريب على الإنفاق في سبيل الله فهي مدرسة يتعلم فيها خلق الكرم والبذل والعطاء.

– هي طهارة للآخذ –المستحق– من الحسد والبغض الذي قد يمتلئ به قلبه تجاه الأغنياء.

– وهي تحرير للآخذ من ذل الحاجة سواء كانت مادية كالأكل والشرب والمسكن أو كانت معنوية كالزواج وغيره.

"وهي طهارة للمجتمع كله –أغنيائه وفقرائه– من عوامل الهدم والتفرقة والصراع والفتن الهوج"[187].

كما يشعر الفقير بوجوده ومكانته في المجتمع وأنه عضو حي وأن هذه الفوارق بين الناس ما هي إلا ابتلاءات وامتحانات.

– هي تطهير للمال: بما أن الإسلام عد المال من الضروريات التي تتوقف الحياة بدونها، فهو يعمل على تطهيره وصيانته من الضياع.

– هي نماء للمال وبركة فيه: قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[188].

– الزكاة هي شكر لله سبحانه على نعمة المال، فالإنسان مطالب بشكر الله عز وجل على جميع النعم التي أسداها إليه، ومن أسباب دوام النعم وزيادتها شكر المنعم سبحانه.

---

[185] محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج1، ص130.

[186] الحشر: من الآية 09.

[187] يوسف القرضاوي، **العبادات في الإسلام**، ص259.

[188] الروم: الآية 37.

– والزكاة هي عبادة فردية ونظام إجتماعي، فالزكاة أول تشريع منظم يحقق الضمان الإجتماعي بشكل كامل وشامل، فهو يعتني بالفقراء والمساكين وذوي العاهات والمقعدين. فهاته الفئة من الناس لها حظ كبير في الزكاة.

والزكاة تحقق التوازن الإجتماعي في فئات المجتمع.

– الزكاة مجلبة للحب والاحترام والتواصل مع الغير، فهي تجعل الغني يحس بما يعانيه غيره من الفقر والحاجة، ويرتبط بمجتمعه في إطار التعاون والمودة، والنفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وهذا يجلب للغني الدعاء بالخير والبركة والقبول والثبات.

– كما أنها تهدف إلى محاربة الفقر وتشجيع التنمية الإقتصادية، ذلك لأن الفقر آفة إجتماعية خطيرة تخلق آثارا وخيمة على البنية الإجتماعية، ويتجسد ذلك في مظاهر الإنحراف والأمراض، والآفات الإجتماعية، من سرقة، وغضب، ونهب، وقتل، ومخدرات، هروبا من الواقع المرير الذي يعيشه الفقير، وهذا يؤدي إلى عدم الاستقرار وفقدان الأمن، وينعكس سلبا على التنمية الإقتصادية.

فالزكاة تسعى إلى استئصال آفة الفقر، وهي إحدى الركائز المهمة في محاربة الفقر والتسول.

فما أحوجنا أن نجسد إيماننا إلى أفعال وتطبيق، وإلى أن نطهر أموالنا وننميها إلى أن نحسن إلى إخواننا الفقراء والمساكين كل هذا بغية مرضات الله عز وجل. وتحقيق وعد الله للمحسنين قال سبحانه: ﴿لِّلذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[189].

المطلب الثالث: من صفات المحسنين اليقين بالآخرة.

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل: «... قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتومن بالقدر خيره وشره»[190]. فما معنى اليقين، وما المراد باليقين بالآخرة؟

جاء في لسان العرب :"(يقن) اليَقِينُ العِلْم وإزاحة الشك وتحقيقُ الأَمر وقد أَيْقَنَ يُوقِنُ إيقاناً فهو مُوقِنٌ ويَقِنَ يَيْقَن يَقَناً فهو يَقِنٌ واليَقِين نَقيض الشك والعلم نقيضُ الجهل"[191]

---

[189] يونس: من الآية 26.

[190] سبق تخريجه، ينظر في ص35.

[191] ابن منظور، **لسان العرب**، ج13 ص457.

نعم اليقين وهو العلم وإزاحة الشك إلا أن إزاحة الشك تحتاج إلى دليل نقلي أو عقلي أو هما معا وهذا ما أشار إليه محمد أحمد حادي المولى بقوله: "لفظ اليقين يقن الأمر ووضح، ويقن فلان الأمر وتحققه، فاليقين إزاحة الشك ولا يزاح الشك إلا بالدليل القطعي الذي لا شبهة فيه ولذلك قال صاحب المصباح المنير: اليقين العلم الحاصل عن نظر واستدلال"[192].

أما المراد بقوله تعالى: ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ فهذا ما يوضحه لنا أحمد مصطفى المراغي حيث يقول: "الدار الآخرة هي دار الجزاء على العمل، والإيمان بها يتضمن الإيمان بكل ما ورد فيها بالنصوص المتواترة كالحساب والميزان والصراط والجنة والنار.

واليقين هو التصديق الجازم الذي لا شبهة فيه ولا تردد، ويعرف اليقين بالله واليوم الآخر بآثاره في الأعمال فمن يشهد الزور أو يشرب الخمر أو يأكل حقوق الناس يكن إيمانه بها خيالا يلوح في الذهن، لا إيمانا يقوم على اليقين إذ لم تظهر آثاره في الجوارح واللسان، وهو لا يكون إيمانا حقا إلا إذا كان مالكا لزمام النفس مصرفا لها في أعمالها"[193].

ويقول محمد رشيد رضا: "أما لفظ الآخرة فقد ورد في القرآن كثيرا، والمراد به الحياة الآخرة أو الدار الآخرة حيث الجزاء على الأعمال ويتضمن كل ما وردت به النصوص القطعية من الحساب والجزاء على الأعمال ...

وأكد الإيقان بالآخرة بقوله: ﴿هُمْ﴾ اهتماما بشأنه، وليبين أن الإيقان بالآخرة خاصة من خواص الذين ءامنوا بالقرآن، وبما أنزل قبله من الكتب لا يشركهم فيه سواهم"[194].

درجات اليقين: واليقين على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علم اليقين: ويتمثل في قبول ما ظهر من الحق سبحانه من أوامره ونواهيه، ودينه وشرعه، وقبول ما غاب للحق، وهو الإيمان بالغيب من الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والميزان والحساب، والوقوف على ما قام بالحق سبحانه من أسمائه وصفاته وأفعاله.

"الدرجة الأولى: علم اليقين، وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق"[195].

---

[192] محمد أحمد حادي المولى، **الخلق الكامل**، ط03 (مصر، مكتبة محمد علي صبيح، سنة 1385هـ-1965م)، ص281.

[193] أحمد مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار إحياء التراث العربي، أول محرم 1365هـ)، ج1، ص44.

[194] محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج1، ص133، 135.

الدرجة الثانية: عين اليقين: وهو رؤية الشيء عيانا، وهو غني عن الاستدلال، فالذي يؤمن بأن ثمة جنة ونارا إنطلاقا مما أخبر الله به على لسان رسله، هو علم اليقين، فإذا شاهد الإنسان يوم القيامة الجنة أو النار عندئذ عين اليقين.

الدرجة الثالثة: حق اليقين: وهي أعلى درجات اليقين، وهي مباشرة الشيء والإحساس به، كما إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأدخل أهل النار النار فذلك حينئذ حق اليقين. "اعلم أن هذه الدرجات لا تنال في هذا العالم إلا للرسل –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– فإن نبينا صلى الله عليه وسلم رأى بعينه الجنة والنار، وموسى عليه السلام سمع كلام الله منه إليه بلا واسطة، وكلمه تكليما، وتجلى للجبل وموسى ينظر فجعله دكا هشيما"[196].

ومثال ذلك: أشبه الدرجات الثلاث، بوجود البحر، فالإنسان بداية يتعلم بأن هناك بحر، ثم بعد ذلك شاءت الأقدار ورأى هذا البحر بأم عينيه، ثم بعد ذلك دخل إليه وذاق طعمه، فالأول علم اليقين، والثاني عين اليقين، والثالث حق اليقين.

اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، فاليقين روح أعمال القلوب، التي هي روح أعمال الجوارح، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ بمحبة الله عز وجل والخوف منه، والرضا به والشكر له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والتوجه إليه، والأنس به، وعدم الإلتفات إلى غيره.

فإذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة، والرخاء عنده مصيبة، لأن البلاء يرده إلى معبوده، والرخاء يشغله عن معبوده غالبا.

وفي ختام هذه الصفات يختم الله سبحانه للمحسنين بوصفين جليلين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ وفي ذلك إشارة إلى أن هدايتهم من الله سبحانه وحده.

وهذا ما ينبغي لكل مؤمن موحد بالله عز وجل أن يعتقد أن هداية التوفيق لا تكون إلا من الله عز وجل، والنفع والضر لا يكون إلا من الله عز وجل وهذه النعمة تستوجب منا شكر المنعم سبحانه، كما بين سبحانه ويخبر أن من اتصف بهذه الصفات العالية هو من الطائفة الفالحة

---

[195] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج02، ص123.

[196] المصدر السابق، ص125.

الناجحة. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[197].

"والوصف بهذه الأوصاف كما ترى إشارة إلى أمهات الأعمال البدنية والمالية من الأفعال والتروك، فالإيمان أساس الأمر والصلاة مشار بها إلى التحلي بكل خير والتخلي عن كل شر ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾[198]. وكلاهما من أعمال البدن، والنفقة عمل مالي، فحصل بذلك حصر الفعل والترك الضابطين لجميع الأعمال ... ولما أخبر عن أفعالهم الظاهرة والباطنة أخبر بثمرتها فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي الموصوفون بتلك الصفات الظاهرات، ولما تضمن ما مضى أن إيمانهم كان من أعظم استدلال فأثمر لهم التمسك بأوثق العرى من الأعمال استحقوا الوصف بالاستعلاء الذي معناه التمكن فقال: ﴿عَلَىٰ هُدىً﴾ أي عظيم، وزاد في تعظيمه بقوله: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي المحسن إليهم بتمكينهم منه ولزومهم له تمكين من علا على الشيء، ولما لم يلازم الهدى الفلاح عطف عليه قوله مشيراً بالعاطف إلى مزيد تمكنهم في كل من الوصفين ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي العالو الرتبة ﴿هُمُ﴾ أي خاصة ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الكاملون في هذا الوصف الذين انفتحت لهم وجوه الظفر"[199].

"وهؤلاء المحسنون هم الذين يكون الكتاب لهم هدى ورحمة لأنهم بما في قلوبهم من تفتح وشفافية يجدون في صحبة هذا الكتاب راحة وطمأنينة؛ ويتصلون بما في طبيعته من هدى ونور، ويدركون مراميه وأهدافه الحكيمة"[200].

إذن هذه صفات المحسنين المهتدين بالقرآن الكريم العاملين بما جاء فيه، ولنتساءل عن حال من لم ينتفع بهدي القرآن الكريم، ولم يكن من أولئك المحسنين وهذا ما سنتعرف عليه في المبحث التالي.

---

[197] النحل: الآية 97.

[198] العنكبوت من الآية 45.

[199] البقاعي، **نظم الدرر**، ج1، ص11، تفسير سورة البقرة.

[200] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مجلد5، ص2784.

المبحث الثالث: فضلها وأهم القراءات فيها وأهدافها.

للقرآن الكريم مكانة ومنزلة لا يبلغها أي كلام من كلام البشر، كما أن آياته تزداد مكانة ومنزلة من حيث المحاور التي تتحدث عنها ومن حيث الأهداف التي ترمي إليها، ومن حيث

التنوع في أوجه قراءاتها لأن ذلك كله يدفع إلى مزيد الاهتداء بهدي القرآن الكريم. فما فضل سورة لقمان؟ وما هي أهم أوجه القراءات التي جاءت فيها؟ وما هي الأهداف الكبرى التي تتضمنها سورة لقمان؟

المطلب الأول: فضل سورة لقمان.

بالإضافة إلى ما تحتويه هذه السورة من المحاور التربوية التي تهدف إلى غرس عقيدة التوحيد، ونفي الشرك، والإيمان باليوم الآخر والتزود لهذا اليوم بالعمل الصالح. فقد جاءت بعض الآثار التي تدل على فضل هذه السورة.

عن البراء رضي الله عنهما قال: (كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم الظهر ونسمع منه الآية من سورة لقمان)[201].

وعن الزهري: "أكثروا قراءة سورة لقمان، فإن فيها أعاجيب"[202].

المطلب الثاني: أهم أوجه القراءات التي جاءت في السورة.

بما أن هناك قراءات متنوعة تتشابه فيما بينها ولا تختلف إلا في قليل من الألفاظ مع توحيد المعنى بين كل القراءات أو اجتماعها. فيا ترى ما هي أهم أوجه القراءات التي جاءت في سورة لقمان؟

جاء في كتاب إرشاد المريد إلى مقصود القصد في القراءات العشر: "﴿هُدىً وَرَحْمَةً﴾ قرأها حمزة في أول لقمان بالرفع والباقون بالنصب.

قرأ غير حمزة والكسائي وحفص: ﴿وَيَتَّخِذُهَا هُزُوًا﴾ برفع الذال وهم قرأوا بنصبها. ﴿وَلاَ تُصَـٰعِرْ﴾ قرأ حمزة ونافع والكسائي وأبو عمرو: ﴿وَلاَ تُصَـٰعِرْ﴾ ألف بعد الصاد وتخفيف العين، والباقون بتشديد العين وترك الألف.

---

[201] أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، **سنن النسائي**، تحقيق مكتبة تحقيق التوراة، بدون رقم الطبعة، باب القراءة في الظهر، ج04، ص59. حديث رقم 971. **سنن ابن ماجه**، ج3، ص62، حديث رقم 830. محمد ناصر الدين الألباني، **السلسلة الضعيفة**، ج9، ص221. وقال هذا إسناد ضعيف.

[202] علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، **تفسير الخازن** المسمى **لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه التفسير النسفي**، بدون رقم وتاريخ الطبعة (دمشق، دار الفكر)، ج03، ص445.

قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾. قرأ حفص وأبو عمرو ونافع: ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ بفتح العين وهاء مضمومة غير منونة على التذكير، والجمع، والباقون بسكون العين وتاء منونة منصوبة على التأنيث الإفراد .

﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ قرأ غير أبي عمرو: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ برفع الراء، وأبو عمرو بنصبها"[203].

هذه أهم القراءات التي أشرت إليها باختصار، وثمة قراءات أخرى لمن أراد المزيد من المعرفة والإطلاع الأوفر فليرجع إلى أمهات كتب القراءات، كما يرجع إلى تفسير القرطبي.

المطلب الثالث: الأهداف الكبرى لهذه السورة.

تمثلت الأهداف الكبرى لهذه السورة في:

1) تربية الأبناء على منهج الله تعالى تربية شاملة لكل ما يحتاجه الأبناء في دينهم ودنياهم.
2) الاهتداء بهدي القرآن الكريم، والتحذير من الإعراض عنه.
3) شكر الله عز وجل باعتقاد ربوبيته ووحدانيته، وطاعته وعدم معصيته.
4) الإيمان بالبعث والنشور والاستعداد لذلك اليوم.
5) التعريف بحقيقة الدنيا.
6) علم الله عز وجل وقدرته.

كل هذه الأهداف تهدف إلى هدف أسمى وأعلى ألا وهو اعتقاد ربوبية الله سبحانه وتوحيد ألوهيته وأسمائه وصفاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وهذا من خلال الاهتداء بآيات الكتاب الحكيم، ولن يتأتى ذلك إلا بالنظر في جميع أجزائها على أنها كتلة واحدة. قال الشاطبي: "فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما، لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها"[204].

---

[203] علي محمد الضباع، **إرشاد المريد إلى مقصود القصد في القراءات العشر**، بدون رقم الطبعة (طنطا، دار الصحابة، سنة 1423هـ-2002م)، ص332. ابن الجزري الشافعي الدمشقي، **تقريب النشر في القراءات العشر**، تحقيق علي عبد القدوس عثمان، ط01 (بيروت، دار إحياء التراث العربي، سنة1421هـ-2002م)، ص322.

[204] أبو إسحاق إبراهيم اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، **الموافقات في أصول الأحكام**، بدون رقم وتاريخ الطبع (دمشق، دار الفكر)، ج3، ص250، المسألة13.

خلاصة الفصل:

إن سورة لقمان من السور المكية التي تركز على غرس العقيدة، وقد سميت بسورة لقمان لأنها اشتملت على قصة لقمان الحكيم، وتعد هذه السورة السابعة والخمسون في تعداد نزول السور، وقد نزلت بعد سورة الصافات، وقبل سورة سبأ.

والسورة مترابطة ومتناسقة فيما بينها، ومع ما قبلها، ومع ما بعدها، مما يدل دلالة قاطعة على أنه كلام العليم الحكيم.

وقد دلت نصوص على فضل هذه السورة وعلى التأمل والنظر فيها، وعلى أنها باقة لو تأملناها جيدا لامتلأت قلوبنا حكمة وإجلالا، ونفوسنا خشية وتعظيما، وجوارحنا طاعة واستقامة.

المبحث الثالث: أوصاف المسيئين المعرضين عن القرآن الكريم كما جاءت في السورة.

بعد الحديث عن الطائفة الأولى التي خلص إيمانها فأقامت فريضة الصلاة وأدت فريضة الزكاة وتطوعها، وآمنت إيمانا جازما بالبعث والنشور اقتضت المناسبة التحدث عن الطائفة المقابلة التي لم تؤمن بالله عز وجل، ولم تؤمن برسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فيقول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّشْتَرِے لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذُهَا هُزُوًاۚ اوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

"بعد أن بين حال السعداء الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ

تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[205] أردف ذلك بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلت الطرب"[206].

المطلب الأول: من صفات المسيئين الاشتغال بلهو الحديث عن آيات الكتاب الحكيم.

ثمة طائفة من الناس عمت بصيرتهم، وقلدوا آباءهم وأجدادهم تقليدا أعمى فأعرضوا عن القرآن الكريم والاستماع إليه كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[207]. وأقبلوا عن كل ما يلهي عن الحق والاستماع إلى القرآن فانشغلوا بلهو الحديث عن الحكمة. فما المقصود بلهو الحديث؟ وما أثره على عقيدة الإنسان؟

جاء في لسان العرب: (لها) اللهو ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما ... وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾. جاء في التفسير أَن لهو الحديث هنا الغناء لأنه يلهى به عن ذكر الله عز وجل وكل لعب لهو"[208].

"اللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه يقول لهوت بكذا، ولهيت عن كذا اشتغلت عنه بلهو"[209].

وقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى مثل هذه المعاني السامية بقوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[210].

ويقول الزمخشري: "في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها،

---

[205] الزمر: من الآية 22.

[206] المراغي، **تفسير المراغي**، ج19، ص73.

[207] فصلت: الآية 25.

[208] ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد6، مادة لها، ص5632.

[209] الراغب الأصفهاني، **ألفاظ القرآن الكريم**، ج02، باب كتاب اللام، ص349.

[210] **موطأ مالك**، باب ما جاء في حسن الخلق، ص903، حديث رقم 1638. **سنن ابن ماجه**، ج2، باب كف اللسان في الفتنة، ص1315، حديث رقم 3976. **سنن الترمذي**، باب في من تكلم بكلمة يضحك ...، ص558، حديث رقم 2487. **صحيح ابن حبان**، ج1، باب ما جاء في صفات المؤمنين، ص466، حديث رقم 229. **مسند الإمام احمد**، ج4، حديث الحسين بن علي، ص276، حديث رقم 1558.

والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام، وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار، وما أشبه ذلك"[211].

إذن هؤلاء المشتغلون بلهو الحديث المشتغلون بما لا يعنهم بما لا ينفعهم لا في دينهم ولا في دنياهم بل ولا في آخرتهم يتعجب من حالهم، حيث أنهم يشترون ذلك ليصدوا عن سبيل الله، ويتحملوا مشقة الطلب، ويتحملوا غرم الثمن، ولا شك أن من كان حاله هكذا كان من الطائفة الخاسرة لأنه رضي بسلعة دنيئة مخسسة خصوصا الأمر في مقابلة الإعراض عن الحق.

"﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّشْتَرِے لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ ... يشتريه بماله، ويشتريه بوقته، ويشتريه بحياته. يبذل تلك الأثمان الغالية في لهو رخيص، يفني فيه عمره المحدود الذي لا يعاد ولا يعود، يشتري هذا اللهو"[212].

وهذا ما يطرح التساؤل التالي: ما هو اللهو الذي اشتروه؟ ومن هو صاحب هذا الإضلال وما هدفه من ذلك؟ وهو ما سنتحدث عنه في المطلب الموالي.

المطلب الثاني: اللهو الذي اشتروه ومن هو صاحب هذا الإضلال.

بما أن اللهو يشمل كل ما لا يعني وكل ما يلهي عن ذكر الله عز وجل وكل ما يصرف الإنسان عن توحيده لخالقه وإيمانه الجازم برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإقامة شعائر دينه وتعظيمها فما نوع هذا اللهو الذي اشتراه هؤلاء، ومن الذي اشتراه خصوصا وأن القرآن الكريم عبر بمن التبعيضية في رأي بعض المفسرين في قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

وهذا ما يجيبنا عنه الشعراوي في تفسيره بقوله: "لكن ما اللهو الذي اشتروه ليصرفوا الناس به عن الحق وعن دعوة الإسلام؟ إنهم لما سمعوا القرآن فيه قصصاً عن عاد وثمود، وعن مدين وفرعون ... الخ ، فأرادوا أنْ يشغلوا الناس بمثل هذه القصص.

وقد ذهب واحد منهم وهو النضر بن الحارث إلى بلاد فارس وجاءهم من هناك بقصص مسلية عن رستم وعن الأكاسرة وعن ملوك حِمْيَر، اشتراها وجاء بها، وجعل له مجلساً يجتمع الناس فيه ليقصّها عليهم، ويصرفهم بسماعها عن سماع منطق الحق في رسول الله.

وآخر يقول بل جاء أحدهم بمغنية تغنيهم أغاني ماجنة متكسرة"[213].

---

[211] الزمخشري، **الكشاف**، مجلد3، ص229.

[212] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2784.

وإن كانت ثمة أقوال في صاحب هذا الإضلال إلا أن أكثر المفسرين على أنه النضر بن الحارث. يقول الطاهر بن عاشور: "والأصح في المراد بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّشْتَرِے لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أنه النضر بن الحارث فإنه كان يسافر في تجارة إلى بلاد فارس فيتلقى أكاذيب الأخبار عن أبطالهم في الحروب المملوءة أكذوبات فيقصها على قريش في أسمارهم ويقول: إن كان محمد يحدثكم بأحاديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم واسفنديار وبهرام. ومن المفسرين من قال: إن النضر كان يشتري من بلاد فارس كتب أخبار ملوكهم فيحدث بها قريشا، أي بواسطة من يترجمها لهم. ويشمل لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ أهل سامره الذين ينصتون لما يقصه عليهم كما يقتضيه قوله تعالى إثره﴿ا۟وَلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾"[214].

"والتحقيق أن المقصود به النضر بن الحارث"[215].

إذن قصة النضر بن الحارث هي بمثابة نموذج للانحراف عن الحسنى وعدم الاهتداء بالقرآن الكريم. وما ذهب إليه المفسرون هو الذي يتناسب مع أسباب النزول المتقدمة للآية السادسة من السورة المباركة[216].

ومن التصرفات ما يعد لهوا كالغناء ولذلك بعض المفسرين يرى أن الآية نازلة في الغناء المحرم وهذا ما ذهب إليه مجاهد فيما تقدم معنا في أسباب النزول في الفصل التمهيدي.

"ويرى بعض المفسرين أن الآية نازلة في الغناء وما كان قبيحا من الغناء فهو مذموم، وكل حديث يصرف عن الحق ويشغل عن مطالبه فهو باطل"[217].

ويقول القرطبي في تفسيره: "و﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الغناء في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما. ... هذه إحدى الآيات الثلاث التي استدل بها العلماء على كراهة الغناء والمنع منه. والآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ﴾[218] قال ابن عباس: هو الغناء بالحميرية؛ اسمدي

---

[213] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج1، ص7237-7238.

[214] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص90.

[215] محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، ج2، ص287.

[216] ينظر الفصل التمهيدي، ص 15.

[217] محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن**، ج2، ص287.

[218] النجم: الآية 60.

لنا؛ أي غني لنا. والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[219] وحلف على ذلك ابن مسعود بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات إنه الغناء. ... وعن ابن عمر أنه الغناء؛ ... قال عبد الله بن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب؛ وقاله مجاهد، وزاد: إن لهو الحديث في الآية الاستماع إلى الغناء وإلى مثله من الباطل"[220].

وروى ثور بن أبي فاختة[221] عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال هو الرجل يشتري الجارية تغنيه ليلا ونهارا. وقال بن أبي نجيح[222] عن مجاهد هو اشتراء المغنين والمغنيات بالمال الكثير والاستماع إليه، وإلى مثله من الباطل وهذا قول مكحول وهذا اختيار بن أبي إسحاق"[223].

وقد جاءت أحاديث كثيرة في الغناء المحرم تحمل في مضمونها ذما للغناء نفسه، وطردا وبعدا للمغنيين والمغنيات وتهديدا ووعيدا للمشتغلين بالغناء المحرم.

"**وضابط الغناء المحرم** هو الذي يحرك نفوسها ويبعثها على الهوى والغزل والمجون وذلك لما يشتمل عليه من كلام فاحش ومعازف ومنكرات فهذا لا يختلف في تحريمه لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق أما من سلم من ذلك كله فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند التنشيط على الأعمال الشاقة"[224].

وإن مما ابتلي به الكثير اليوم الإدمان على الغناء المحرم وشراؤه بأثمان باهضة والاشتغال به عن الله وذكره طوال الوقت، ونظرا لكثرته أصبح شيئا مألوفا في الأسرة التي تعد المسؤول الأول، وصار جهارا في الشوارع والمحلات والسيارات، والأدهى والأمر من ذلك أنه يقع في

---

[219] الإسراء: من الآية 64.

[220] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج14، ص15-52.

[221] "سعيد بن علاقة مولى أم هانئ بنت أبي طالب، وقيل مولى جعدة بن هبيرة المخزومي، التابعي، روى عن علي وابن مسعود ...، وروى له الترمذي وابن ماجه وتوفي في حدود التسعين". أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، **تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق علي شبري، ط01 (لبنان، بيروت، دار الفكر، سنة 1419هـ-1998م)، ج21، ص265.

[222] "هو عبد الله بن أبي نجيح المكي، التابعي، مفسر صاحب مجاهد توفي سنة 131هـ". أحمد بن محمد الأدنروي، **طبقات المفسرين**، ص16، رقم 26.

[223] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، بدون رقم الطبعة (بيروت، المكتبة الثقافية، 1403هـ-1983م)، ج1، ص186، فصل اللهو، ولهو الحديث.

[224] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج7، ص46، بتصرف.

جمع مختلط بين نساء متبرجات ورجال فساق، والمسلمون والمسلمات وأولادهم يستمتعون ويطربون ولا يبالون بأحكام الله.

وبعدما عرفنا المراد بلهو الحديث، ومن هو صاحب هذا الإضلال، فنتساءل ما الذي حمل هؤلاء أن يكلفوا أنفسهم ويشتروا لهو الحديث؟

والجواب عن ذلك في قول الحق جل وعلا: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ "أنه يفعل ذلك ليلهي قريشا عن سماع القرآن فإن القرآن سبيل موصل إلى الله تعالى، أي إلى الدين الذي أراده، فلم يكن قصده مجرد اللهو، بل تجاوزه إلى الصد عن سبيل الله وهذه زيادة في تفظيع عمله وقرأ الجمهور ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياء. وقرأه ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، أي ليزداد ضلالا على ضلالة إذ لم يكشف لنفسه بالكفر حتى أخذ يبث ضلاله للناس، وبذلك يكون مآل القراءتين متحد المعنى"[225].

ويزداد الأمر فظاعة عندما يدعو الإنسان إلى باطل على غير بصيرة بل على جهل مطبق ومع جهلة المغلق، يتخذ آيات الله هزؤا ويسخر ويحقر كل من كان على الحق متبعا لما جاء به القرآن الكريم وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. يقول سيد قطب: "فهو جاهل محجوب، لا يتصرف عن علم، ولا يرمي عن حكمة؛ وهو سيء النية والغاية، يريد ليضل عن سبيل الله. يضل نفسه ويضل غيره بهذا اللهو الذي ينفق فيه الحياة. وهو سيِّئ الأدب يتخذ سبيل الله هزواً، ويسخر من المنهج الذي رسمه الله للحياة وللناس"[226].

تنبيه: والآية وإن كانت قد نزلت في النضر بن الحارث إلا أن حكمها يعم الجميع ذلك لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. "ولا يأبى نزولها فيمن ذكر الجمع في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ أي لهم ولأمثالهم، فحكم الآية عام ينسحب على الذين نزلت بهم وعلى أمثالهم وما أكثرهم في عصرنا الحاضر"[227].

المطلب الثالث: من أوصاف المسيئين الاستكبار عن آيات الله.

---

[225] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص143.

[226] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص4.

[227] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن في سورة القصص– العنكبوت– الروم– لقمان**، ط01 (دمشق، دار القلم–وبيروت، الدار الشامية، سنة 1417هـ–1996م)، ص10.

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾.

التولية والاستكبار من صفات المسيئين وتزداد فظاغة وقبحا عندما تكون التولية عن آيات الله عز وجل، عن كتاب الله عز وجل عن استبدال الباطل بالحق أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير أفلا تبصرون.

"وإذا تتلى على أحد هؤلاء آياتنا أعرض عنها مبالغا في إظهار التكبر والتفوه منها كأن في أذنيه صمما مانعا له من السماع، إذ لا يتصور ممن يسمع آيات القرآن الكريم الإعراض والاستكبار لأنها تدعو إلى الخشوع والخضوع كما في قوله تعالى: ﴿لَوَ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[228]"[229].

"ثم أشار سبحانه إلى أن هذا داء قد استشرى في نفسه فكلما تليت عليه آية ازداد إباء ونفورا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ ونحو الآية قوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلذِينَ ءَامَنُواْ هُدىً وَشِفَآءٌ وَالذِينَ لاَ يُومِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾[230]"[231]

"ولما كان السامع لآياته سبحانه جديراً بأن تكسبه رقة وتواضعاً، قال تعالى دالاً على أن هذا الشقي كان حاله عند سماعه وبعده كما كان قبل: ﴿كَأَن﴾ أي كأنه، أي مشبهاً حالة بعد السماع حاله حين ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾. فدل ذلك على أنه لم يزل على حالة الكبر لأنه شبه حاله مع السماع بحاله مع عدم السماع، وقد بين أن حاله مع السماع الاستكبار فكان حاله قبل السماع كذلك .

---

[228] الحشر: الآية 21.

[229] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن في سورة القصص– العنكبوت– الروم– لقمان**، ص8.

[230] فصلت: من الآية 43

[231] المراغي، **تفسير المراغي**، ج21/19، ص75.

ولما كان من لم يسمع الشيء قد يكون قابلاً للسمع، فإذا كلم من قد جرت العادة بأن يسمع منه سمع، بين أن حال هذا كما كان مساوياً لما قبل التلاوة فهو مساو لما بعدها، لأن سمعه مشابه لمن به صمم"[232].

فالكبرياء والعظمة صفة من صفات الله عز وجل وحده لا شريك له فإذا ما تلبس بها المخلوق، كان سقيما مريضا وعند ربه سبحانه ممقوتا وبغيضا. يقول النبي صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في نار جهنم ولا أبالي»[233]. وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بقوله: «الكبر بطر الحق وغمض الناس»[234].

"وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ إلى قوله ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[235]. ثم قال: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[236]. ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا على الله تعالى فقال: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾[237]. وقال تعالى: ﴿وَٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[238] وقال عز وجل: ﴿يَقُولُ ٱلذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُومِنِينَ﴾[239]. وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[240]. وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ

---

[232] البقاعي، **نظم الدرر**، ج6، ص339.

[233] **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، ص1012، حديث رقم 2619/136 بلفظ العز إزاره والكبرياء رداؤه.

[234] **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص54، حديث رقم 91/147.

[235] الأنعام: الآية 94.

[236] غافر: الآية 75.

[237] مريم: الآية 69.

[238] النحل: من الآية 22.

[239] سبأ: من الآية 31.

[240] غافر: من الآية 60.

أَلذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[241] ... والكبر ثلاثة أقسام، الكبر على الله عز وجل، والكبر على رسله، والتكبر على العباد"[242].

وأعظمها خطرا القسم الأول والثاني، ولا شك أن كفار قريش مثل النضر بن الحارث وأشباههم حجبهم هذا الكبر عن الانقياد للحق والإقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة.

وقد سجل القرآن الكريم عليهم ذلك فقال الحق جل وعلا على لسانهم: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُومِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ﴾[243]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ﴾[244]. وقال أيضا: ﴿وَقَالَ ٱلذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيۤ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً﴾[245]. وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[246].

"والتاريخ يحدثنا أن الكافرين برسالته صلى الله عليه وسلم كانوا على أنماط مختلفة ومعان متباينة فمنهم الذي لا يشك في صدقها ... إلا أنه غلب عليه كبرياء الرياسة ... ولم يرض أن يكون هو وغيره تحت لواء دين يجعل أتباعه كأسنان المشط في الاستواء ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وفريق آخر غير هذا اكتفى بالتقليد واقتنع بالوراثة ورضي بأن يحكي ما كان عليه الآباء ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[247]"[248].

مظاهر الكبر: إن الكبر له مظاهر شتى، فهو يظهر في شمائل الرجل في وجهه وجلوسه متربعا أو متكئا وفي أقواله، بل حتى في صوته ونغمته، وفي مشيته وتبختره وسائر حركاته،

---

[241] الأعراف: من الآية 146.

[242] أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج03، ص448-451، بتصرف.

[243] المومنون: الآية48.

[244] المومنون: الآية 34.

[245] الفرقان: الآية 21.

[246] الزخرف: الآية 30.

[247] البقرة: من الآية 169.

[248] ابراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان**، ص12-13، باختصار.

وما أقبحه إن كان من الابن على الوالدين، ومن الطالب على الاستاذ والمعلم، ومن الزوجة على الزوج!

آثار التكبر: إن الكبر له آثار سيئة وعواقب وخيمة منها:

- جحود الحق وعدم الإصغاء إليه، ذلك لأنه لا يقبل النصيحة من غيره بل يرفضها لأنه معجب بنفسه يرى الكمال في نفسه، وهذا ما وقع فيه مشركو مكة، حيث يعلمون أن ما جاء به الرسول حق، ولكن كيف لهم أن يستجيبوا وهم متكبرون متجبرون؟!
- عدم الاستفادة من الآخرين: ذلك لأن المتكبر عادة ما يسخر من الناس ويحتقرهم ويهينهم، ويشتغل دائما بعيوب الآخرين ونقائصهم، مما يجعله لا ينشغل بإصلاح نفسه لظنه أنه بلغ الكمال في كل شيء.
- الخذلان وعدم التوفيق: فالمتكبر في غالب الأحوال يقف عند ذاته معجبا بها معتمدا عليها في كل شيء ناسيا أو متناسيا خالقه وصانعه فيكون مآله الحرمان والخذلان.
- النفور والكراهية من الآخرين: فالمتكبر قد عرض نفسه لبغض الله له، ومن أبغضه الله أبغضه أهل السماوات، ثم يوضع له البغض في الأرض فترى الناس ينفرون منه ويكرهونه ولا يطيقون رؤيته، بل ولا سماع صوته.
- الإنهيار في أوقات المحن والشدائد: فمن لم يتعرف إلى الله في الرخاء لم يعرفه في الشدة، وعندئذ يصاب بالقلق والإضطراب النفسي.
- العقاب والإنتقام الإلهي عاجلا أو آجلا: ذلك لأن الكبرياء من صفات الجبار جل وعلا، فمن نازع الله فيهما ألقاه في جهنم ولا يبالي.

* وخير علاج لهذه الآفة الخطيرة أن يتذكر الإنسان دائما حقيقة نفسه وأن يعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأنه مهما طال عمرها فإنها إلى زوال، وأن الآخرة هي دار القرار.

ومن العلاج أيضا: الإكثار من تلاوة القرآن الكريم، والمداومة على حضور مجالس العلماء، ودوام النظر في سيرة السلف الصالح، وتذكير النفس دائما بعواقب الكبر، واللجوء إلى الله بواسطة الدعاء.

وللسلامة لابد للإنسان أن يتحلى بخلق التواضع، بحيث يستسلم للحق ويقبله من أي إنسان، ويتعامل مع الناس بلين ورقة، ذلك لأن الرفعة في التواضع، والوضعة في التكبر، والتواضع

خلق الأنبياء والصالحين، وهو مرجو النفع في الدنيا والآخرة يقوي الثقة بين الناس، ويشيع فيهم روح الألفة والمودة والرحمة والتعاون.

وأخلص في نهاية هذا المبحث إلى أن أوصاف المسيئين كما جاءت في السورة الاشتغال بلهو الحديث، وأكثر المفسرين على أن لهو الحديث يفسر بالمفهوم العام الذي يشمل الغناء وغيره من كل ما يلهي عن ذكر الله عز وجل ويزداد الأمر فظاعة وقبحا؛ عندما يكون الهدف من اشتراء لهو الحديث الصد عن سبيل الله، مع أنه لا برهان له ولا دليل يعتمد عليه في دعوته إلى هذا الباطل، ومع هذا كله يسخر ويحقر آيات الله ويقولون: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[249]. ومن أوصاف المسيئين أيضا التولية والاستكبار عن آيات الله ذلك لأن الكبر داء مهلك يجعل صاحبه يعرض عن القرآن الكريم ويقبل على جميع أنواع الملاهي كما كان كفار قريش، مثل النضر بن الحارث، وأبي جهل، وأبي لهب، وعتبة، وغيرهم.

المبحث الرابع: جزاء المسيئين والمحسنين.

وبعدما عرفنا أوصاف المحسنين المهتدين بهدي القرآن الكريم العاملين بتعاليمه ومبادئه وبالمقابل عرفنا أوصاف المسيئين المعرضين عن القرآن الكريم المنشغلين بلهو الحديث عنه عنادا واستكبارا يتبادر إلى الذهن التساؤلات التالية:

ما موقف القرآن الكريم على من لم يهتد بهديه؟ وما جزاء من انشغل باللهو واللعب عن آيات الله؟ ما جزاء من يتخذ آيات الله هزؤا؟ ما جزاء من يعرض عن آيات الله عنادا واستكبارا؟ وبالمقابل ما جزاء تلك الطائفة المحسنة الآمنة بآيات ربها؟ ما مصيرها غدا بين يدي ربها؟

والإجابة على هذه الأسئلة تتمثل في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: جزاء المسيئين كما جاء في السورة.

من سنن الله سبحانه في خلقه أن الجزاء من جنس العمل إن كان صالحا، فالسعادة والربح والتنعم بالحياة الأبدية في دار النعيم. وإن كان طالحا فالخيبة والخسارة والشقاوة والعذاب المهين، ومن الجزاء الذي ذكره الله عز وجل لأولئك المكذبين بآياته، المضللين غيرهم عن سبيله، المتكبرين عن منهجه، المتكبرين عن سماع الحق ما يلي:

---

[249] الفرقان: من الآية 5.

- العذاب المهين: يقول الحق جل وعلا في شأن هؤلاء المكذبين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ "أولئك لهم عذاب فيه إهانة وإذلال، لأنهم فضلوا الباطل على الحق واستهزؤوا بآياته"[250].

فالكافر لما أهان كتاب الله عز وجل وأهان المحسنين الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويؤمنون بالآخرة إيمانا جازما، أهانه الله سبحانه في الدنيا والآخرة بالعذاب المهين، وأثبت له الخزي الدائم ضد ما كان للمحسنين من الرحمة. وقد قال سبحانه في آية أخرى في سورة أخرى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾[251].

"ومن ثم يعالج القرآن هذا الفريق بالمهانة والتهديد قبل أن يكمل رسم الصورة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ... ووصف العذاب بأنه مهين مقصود هنا للرد على سوء الأدب والاستهزاء بمنهج الله وسبيله القويم ... ويتمم هذه الإشارة المحقرة بتهكم ملحوظ: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فما البشارة في هذا الموضوع إلا نوع من التهكم المهين؛ يليق بالمتكبرين المستهزئين"[252].

"وقد ترتب على هذه الأعمال التي وصف بها أن أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوعده بعذاب أليم. وإطلاق البشارة هنا استعارة تهكمية، كقول عمرو بن كلثوم: فعجلنا القِرى أن تشتمونا.

وقد عذب النضر بالسيف إذ قتل صبرا يوم بدر، فذلك عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة أشد"[253].

آثار الذنوب والمعاصي: للذنوب والمعاصي آثار سلبية لها عواقب خطيرة منها:

- أنها سبب في ذهاب الخيرات وزوال النعم، وجلب المصائب. فالأمة اليوم تعاني من كثرة المعاصي والتجاهر بها، قلة المياه وفسادها، وقلة الزروع والثمار والحبوب وفسادهم، كما تعاني

---

[250] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن**، ص09.

[251] طه: الآيات 124/123/122.

[252] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2785.

[253] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21 ص92.

من تلوث الهواء، وكثرة الأمراض، كما تعاني كثيرا من المشكلات التي لا يمكن التخلص منها إلا بالاصطلاح مع الله عز وجل والإنابة إليه.

- الحرمان من العلم، ذلك أن العلم نور وفضل من الله سبحانه يرزقه من يشاء من عباده، والنور لا يستحقه إلا الأتقياء.

إننا اليوم مع وفرة الوسائل المعينة على تعلم العلم نلحظ أن الإنسان تراجع بكثير عن المستوى العلمي بالمقارنة مع أسلافه.

- أنها تطبع على قلب صاحبها فيموت ويفسق، وحينئذ يصير من الغافلين، فيزداد هما وقلقا وضيقا في الصدر، وتعسيرا في كل الأمور، ذلك لأن العاصي يغفل عن الله سبحانه واللجوء إليه مما يجعله يلجأ إلى معاص أخرى بحثا عن الخروج من مشكلته مثل المخدرات، والانتحار وما إلى ذلك من المنكرات.
- المعاصي تورث الذلة والصغار، فلا عزة لغير المؤمنين الطائعين، ولا عزة إلا في التمسك بكتاب الله، وسنة رسوله، وإلا كان الإنسان ذليلا حقيرا، فأعداء الإسلام اليوم مهما بلغوا من القوة المادية إلا أنهم لا زالوا أذلاء أمام القوة الإيمانية، ذلك لأنه لا ناصر إلا الله، ولا معز إلا الله، ولا مذل إلا الله.
- تؤثر على البدن والجوارح، فيصاب الجسم بكثير من الأمراض والأسقام المستعصية، والتي لم تكن معروفة عندهم.
- تحدث عدم الغيرة في القلوب، ونظرا لكثرة المعاصي وائتلافها رأيت كثيرا من الآباء لا يبالون بانحراف أبنائهم وبناتهم، ولا يبالون بفساد زوجاتهم، لا يبالون بضياع الصلوات، ولا يبالون بأخلاقهم السيئة، همهم أنهم يأكلون ويشربون وكفى!.
- ومن آثارها على المجتمع اختلاف الناس فيما بينهم، مما يجعلهم يتفرقون ويتباغضون ويتحاسدون، وهذا جلي في واقعنا اليوم، المسلمون كثرة، لكنهم متفرقون، مما ساعد أعداء الإسلام على الاستحواذ على مقدساتهم والنيل من خيراتهم.
- محق بركة العمر، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة.
- الهلاك والهزيمة والشقاء، فمشركوا مكة مع أنهم كانوا كثرة ولكنها ما أغنتهم، ذلك لأنهم حادوا الله ورسوله، وقبلهم الأمم السابقة الذين كذبوا رسلهم أهلكهم الله منهم من أرسل الله عليه الريح العقيم، ومنهم من خسف الله به الأرض، ومنهم ....، ومنهم ...

- عدم استجابة الدعاء، ذلك لأن من موانع الإجابة اقتراف المعاصي والذنوب، ذلك لأن الله سبحانه لا يستجيب دعاء العاصي.
- ومن عظيم آثارها ذلك الانتقام والعقاب الإلهي الذي تقدم معنا، والذي يكون مآله العذاب المهين.

فما علينا بعد هذا التوضيح إلا أن نخشى عقاب الله سبحانه، ولنعلم أن المعرض المدبر عن آيات الله معرض لعذاب الله في الدنيا والآخرة. يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[254].

المطلب الثاني: جزاء المحسنين كما جاءت في السورة.

يقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٧ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

"بعد أن بين حال الكافرين به، المارقين عنه، المستهزئين بآياته المستهزئين بوحيه تصدى لبيان حال أوليائه الذين استجابوا لرسوله وصدقوا بكتابه وأخلصوا دينهم له، ووقفوا عمرهم على طاعته وحياتهم لرضاه، وأفنوا أيامهم في البر والمعروف، والإصلاح والنفع، والعمل الذي يعود على الإنسانية كلها بالتقدم والنهوض والرقي والعمران"[255].

"وبمناسبة الحديث عن جزاء الكافرين المستكبرين المعرضين يتحدث عن جزاء المؤمنين العاملين، الذين تحدث عنهم في صدر السورة؛ ويفصل شيئاً من أمر فلاحهم الذي أجمله هناك : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٧ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ....

وحيثما ذكر الجزاء في القرآن الكريم ذكر قبله العمل الصالح مع الإيمان. فطبيعة هذه العقيدة تقتضي ألا يظل الإيمان في القلب حقيقة مجردة راكدة معطلة مكنونة؛ إنما هو حقيقة حية فاعلة متحركة، ما تكاد تستقر في القلب ويتم تمامها حتى تتحرك لتحقق ذاتها في العمل والحركة

---

[254] النور: من الآية 61.

[255] إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان في تفسير سورة لقمان**، ص14.

والسلوك؛ ولتترجم عن طبيعتها بالآثار البارزة في عالم الواقع، المنبئة عما هو كائن منها في عالم الضمير.

وهؤلاء الذين آمنوا وحققوا إيمانهم بالعمل الصالح ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٧ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ ... لهم هذه الجنات وهذا الخلود تحقيقاً لوعد الله الحق. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاۚ﴾ فقد بلغ من فضل الخالق على العباد أن يوجب على نفسه الإحسان إليهم جزاء إحسانهم لأنفسهم لا له سبحانه! وهو الغني عن الجميع!"[256].

ويذكر ابن كثير هذا الجزاء وهذا النعيم بشيء من التفصيل والتوضيح فيقول: "هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة، الذين آمنوا بالله وصَدّقوا المرسلين، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسارّ، من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والمراكب والنساء، والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائما فيها، لا يظعنون، ولا يبغون عنها حولا.

وقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاۚ﴾ أي: هذا كائن لا محالة؛ لأنه من وعد الله، والله لا يخلف الميعاد؛ لأنه الكريم المنان، الفعال لما يشاء، القادر على كل شيء، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾، الذي قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾، في أقواله وأفعاله، الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين"[257].

آثار الطاعات:

للطاعات آثار طيبة في حياة المسلم الدنيوية، وآثار عظيمة في حياته الأخروية منها:

- زيادة الإيمان، فالإيمان يتقوى بالطاعات، ويضعف ويتلاشى بالتكاسل عنها ذلك لأن الطاعة تجعل الإنسان دائما مع الله عز وجل مراقبا إياه في كل شيء، محاسبا نفسه على كل صغيرة وكبيرة.
- صلاح القلوب، فالطاعة تورث صلاحا في القلب مما يجعل الطائع منشرح الصدر، مطمئن البال، مقبلا بكليته على ربه. وهذا بدوره يجعله ذا أخلاق عالية.

---

[256] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2785.

[257] ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج6، ص332.

- تحقيق الحياة الطيبة: وهي حياة العز والإطمئنان والطاعة والرضا وتحقيق الإطعام والخيرات، والتحقيق في كنف الأمن والإستقرار.
- مغفرة الذنوب في الآخرة، ذلك لأن الحسنات يذهبن السيئات، والله كريم مفضال على عباده.
- نيل محبة الله ورضاه والجنة، وهذا لا يكون إلا للطائعين المخلصين، وما أكثر آي القرآن الكريم التي تشير إلى أن مآل الطائعين لله ورسوله الدخول إلى جنة النعيم.

فالجزاء على العمل الصالح الذي يعد كالثمرة للإيمان الصادق يتمثل في الهداية والتوفيق من الله عز وجل لعبده مما ينعكس عليه بالفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، ويزيد الكريم في إكرامه وتفضله على المؤمنين المخلصين العاملين الصالحات بالدخول إلى جنته دار أوليائه وأحبائه دار النعيم الذي لا يماثله نعيم في الدنيا وفي النهاية الخلود الأبدي في هذا النعيم وهذا وعد حقا من المولى سبحانه للمحسنين من عباده ذلك لأنه سبحانه عزيز حكيم غني عن الجميع.

وأخلص في نهاية هذا المبحث أن مصير المعرضين عن الكتاب الحكيم المنشغلين بالغناء واللهو والعبث هو الخسارة والشقاوة في الدنيا والآخرة، والعذاب المهين في الدار الآخرة، وأن جزاء المصدقين العاملين بأحكام القرآن؛ المحلين لحلاله، المحرمين لحرامه، هو السعادة في الدنيا والآخرة، والدخول إلى جنة النعيم التي أعدها الله للطائعين من عباده. قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[258].

المبحث الخامس: مظاهر قدرة الله وإنعامه وأحكامه الدالة على أنه وحده واجب العبادة.

الله سبحانه وتعالى وضع في كونه كله آيات تنطق بوجوده وتنطق بعظمته، وتنطق بأنه

[258] يونس: الآية 26.

هو الخالق، فالإنسان يشهد أن لا إله إلا الله، والجماد يشهد أن لا إله إلا الله، والحيوان يشهد أن لا إلـــه إلا الله. قـــال تعـــالى:﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[259].

وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه الواحد.

"بعد أن أبان فيما سلف كمال قدرته وعلمه وإتقان علمه أردف ذلك الاستشهاد لما سلف بخلـق السماوات والأرض وما بعده مع تقرير وحدانيته وإبطال أمر الشرك وتبْكيت[260] أهله"[261].

فالله سبحانه في هذه السورة يلفت الإنسان إلى التأمل والتبصر في الكـون الفسـيح سـماواته وأراضيه وهو تنوع في الدعوة، فالمحسنون يزدادون بهذا التفكر إيمانا ورسوخا وثباتا.

أما المسيئون فتقام عليهم الحجة بهذه المظاهر الكونية فعندئذ لا يسعهم إلا الإقرار بوحدانيـة الله تعالى ونبذ ما سواه وإلا كانوا ظالمين في ضلال مبين.

"إن هذا الكون هو المسرح الأول لفكرنا وهو الينبوع الأول لإيماننا والذهول عن الكون سـقوط إنساني ذريع، وحجاب عن الله غليظ، وفشل في أداء رسالتنا التي خلقنا من أجلها، وعجز عـن التجاوب مع وصايا القرآن التي تكررت في عشرات السور!!"[262]

المطلب الأول: خلق السماوات من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته.

قال الله عز وجل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

"فالسماوات[263] وهي ذلك البساط الأزرق الجميل يحيط بالعالم ويمده بالـدفء والبـرد والنـور والظلمة، والماء والهواء والليل والنهار والشمس والقمر والرعد والبرق، وفيه النجوم والكواكب

---

[259] الإسراء: من الآية 44.

[260] " بَكَتَه يَبْكُتُه بَكْتاً وبَكَّتَه ضربه بالسيف والعصا ونحوهما والتَّبْكِيتُ كالتقريع والتعنيف ... وبَكَتَه بالحجة أي غلبه". ابن منظور، **لسان العرب**، ج01، ص586، مادة يكت، حرف التاء.

[261] المراغي، **تفسير المراغي**، ج21/19، ص77.

[262] محمد الغزالي، **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**، بدون رقم الطبعة، (باب الواد-الجزائر، دار المعرفة، سـنة 1409هـ-1989م)، ص56.

[263] السماوات: جمع سماء وهي كل ما يعلو على غيره أو كل ما علاك فسقف البيت يقال له سماء. ينظر **التفسير العلمي للآيـات الكونية**، ط3(مصر، دار المعارف،بدون تاريخ الطبع) ص126.

على تلك الرسوم البديعة والأبعاد المتناسقة، والحركة الدائبة، والتسخير الذي تحار فيه الأوهام والظنون والعقول والأفئدة، يقوم على شأنها، ويدير أمرها، ويعلم سرها وجهرها، وغيبها وحاضرها ونهاية مصيرها هو وحده لا شريك له"[264].

فالسماء كما جاء في القرآن الكريم أنها قبل تكوينها مادة دخانية وأنه تعالى كونها وخلقها. قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ﴾[265]. كما أنه سبحانه وتعالى كون أولا أجزاءها ثم ربط بعضها ببعض برباط ما فصارت كالبناء. قال سبحانه: ﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[266]. وقد زينها ربنا سبحانه بضياء الكواكب فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾[267].

"وقد دللنا على أن هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى وحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى فنتج أن يقال إنه رفع السماء بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي وأنهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك"[268].

"فقد بين القرآن الكريم أنها جرم خلقه الله تعالى بناه ورفعه وأنها محكمة في صنعها ليس فيها خلل ولا تصدع ﴿فَارْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[269] مرفوعة بأمر خالقها محفوظة بقدرته، وأنها آية من آيات الله الكبرى المعروضة للأنظار المصاحبة للواقع المشهود للنظر فيها بعين البصيرة لا بالبصر المجرد حتى يأخذ منها المخاطب الدليل على وحدانية خالقها ومتقن

قال ابن كثير: "قال الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية، ولا غير مرئية وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: "لها عمد لا ترونها".ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مجلد 4، ص470.

[264] إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان في تفسير سورة لقمان**، ص17.

[265] فصلت: من الآية 10.

[266] الذاريات: الآية 47.

[267] الحجر: الآية16.

[268] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج18، ص186، تفسير سورة الرعد.

[269] الملك: من الآية 3.

صانعها يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[270]. ويقول: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾[271].

ولكونها آية دالة على وحدانية خالقها فقد أثنى على المتفكرين فيها فقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[272،273].

إذن فربنا سبحانه هو وحده القادر الذي خلق السماوات والأرض بغير عمد ترونها هو وحده الذي يستحق الإفراد في العبودية والإقرار له بالوحدانية، وأنه سبحانه حكيم في صنعه وإبداعه وأن الإنسان إذا أمعن النظر والتفكير ببصيرة وقلب واعي وصل إلى هذه الحقيقة التي لا ثانية لها وهي إفراد الله عز وجل بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، أما إذا عاند واستكبر وتولى وأعرض كما فعل مشركوا العرب فإنه يبقى في ظلام دامس وشقاء دائم وضلال مبين.

المطلب الثاني: خلق الأرض من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته.

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

فالإنسان بطبيعته كائن مفكر منذ وجد على الأرض، وهو دائم التفكير فيما حوله وسيظل كذلك طالما هو موجود عليها، والقرآن الكريم يوجه العقل دائما إلى النظر والتأمل في الكون ليصل العبد في النهاية إلى شكر الخالق المنعم والاعتراف بالعبودية والافتقار إلى الله عز وجل.

---

[270] ق: من الآية6.

[271] النازعات: الآيتين 28/27.

[272] آل عمران: الآيتين 191/190.

[273] أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، **التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد**، تحقيق علي يسين بن محمد بن ناصر الفقهي، بدون رقم وتاريخ الطبع (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية)، ج1، ص121، خلق السماء.

"الله سبحانه له آيات تملأ الأرض والسماء ولكننا غافلون عنها ومن الإعجاز الإلهي أن آيات الله لا تنتهي، فإذا مشيت في الطريق فهناك آيات، وإذا صعدت إلى الجبل فهناك آيات، وإذا نزلت إلى قاع البحر وجدت آيات، وإذا صعدت إلى السماء كانت هناك أكثر من آية"[274].

فالأرض كل ما يقع أسفل غيره[275].

"والأرض وهي هذا الكوكب السيار الملتهب فيه قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل"[276].

وها هو ابن القيم يذكر كلاما لطيفا شاملا حول هذه الآيات الكونية فيقول عن خلق الأرض: "ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهادا ومستقراً للحيوان والنبات والأمتعة، ويتمكن الحيوان والإنسان من السعي عليها في مآربهم والجلوس لراحتهم والنوم لهدوئهم والتمكن من أعمالهم. ولو كانت رجراجة متكفئة لم يستطيعوا على ظهرها قراراً ولا هدوءاً، ولا يثبت لهم عليها بناء، ولا أمكنهم عليها صناعة ولا تجارة، وكيف كانوا يتهنون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم؟ واعتبر بما يصيبهم من الزلازل على قلة وقتها، كيف تضطرهم إلى ترك منازلهم والهرب عنها؟ وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾[277].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾[278]... وفي جامع الترمذي وغيره من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد

---

[274] محمد متولي الشعراوي، **الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله**، أشرف عليه أحمد الزغبي، (دار القلم، سنة2000)، ص61.

[275] قال أحمد حنفي: "وردت الأرض بجميع الآيات بصيغة المفرد دائما لحكمة منه تعالى في التنزيل مع أنه خلق أرضين متعددة، وذلك أن الناس لا يرون سوى الأرض التي يعيشون عليها فلو وردت بصيغة الجمع حين يكون المقصود منها مجموع الأرضين لتولى الناس الدهشة، ولو وجدوا تعارضا بين ما يشاهدونه من أرض واحدة وما يذكره تعالى من أرضين كثيرة لذلك أنزلت بصيغة المفرد دائما، ليكون لظاهرها معنى مناسب لعقول عامة الناس. ولذلك = قال تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ وقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ كي يفهم عامة الناس أن الأرض بمعنى أرضهم التي يعيشون عليها، ويفهم منه أهل اللغة أنها سبعة أرضين مثل أرض الإنسان، ويفهم منه أهل العلم بالكائنات أنها أجرام أرضية متعددة مثل أرض الإنسان" أحمد حنفي، **التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم**، ص132.

[276] إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان في تفسير سورة لقمان**، ص18.

[277] غافر: من الآية 64.

[278] طه: من الآية 52.

فخلق الجبال عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من شدة الجبال، فقالوا: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، النار. قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال نعم: الريح. قالوا: يا رب فهل من خلقك أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله»[279،280].

فالمتأمل في خلق الأرض وما أودع الله فيها من منافع وأسرار لا يعلم قدرها إلا خالقها سبحانه لا يجد بدا من الإقرار بأن لها خالقا قادرا حكيما في صنعه يستحق وحده الشكر والإخلاص في العبادة وإلا كان أعمى ومعرضا عن هدي القرآن الكريم وجاحدا لنعم ربه كفاه أنه مقلد لآبائه وأجداده فيا حسرتاه ويا خيبتاه!!

"وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها خلقها سبحانه فراشا ومهادا وذللها لعباده وجعل فيه أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم وأرساها بالجبال فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم ووسع أكنافها ودحاها فمدها وبسطها وطحاها فوسعها من جوانبها وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء وكفاتا للأموات تضمهم في بطنها إذا ماتوا فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات وقد أكثر تعالى من ذكر الأرض في كتابه ودعا عباده إلى النظر إليها والتفكر في خلقها فقال تعالى﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[281] ... ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾[282] ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[283] ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[284] ... ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات

---

[279] **سنن الترمذي**، باب أشد مخلوقات الله، ج05، ص454، حديث رقم 3695، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه. **مسند أحمد**، ج03، ص624، حديث انس بن مالك، حديث رقم 12585.

[280] محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة**، تحقيق محمد أحمد عيسى، ط01 (المنصور-مصر، دار الغد الجديد، سنة 1426هـ-2005م)، ص255.

[281] الذاريات: الآية 48.

[282] البقرة: من الآية 21.

[283] الغاشية: الآيات 17ـ20.

[284] الجاثية: من الآية 2.

الشوامخ الصم الصلاب وكيف نصبها فأحسن نصبها وكيف رفعها وجعلها أصلب أجزاء الأرض لئلا تضمحل على تطاول السنين وترادف الأمطار والرياح بل أتقن صنعها وأحكم وضعها وأودعها من المنافع والمعادن والعيون ما أودعها"[285].

"﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ أي وذرأ فيها من أصناف الحيوان ما لا يعلم عددها، ومقادير أشكالها وألوانها إلا الذي فطرها"[286].

فما على العبد الضعيف إلا أن يقبل على آيات ربها ليدرك من خلالها عظمة خالقها ومبدعها مما يجعله يقبل على هدى القرآن والاتصاف بالحسنى والابتعاد عن السيئة.

المطلب الثالث: إنزال المطر وإنبات النبات.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَامِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

جعل الله الماء أصل حياة كل شيء حي على سطح الأرض، فالنبات والحيوان والإنسان يرتبط وجودهم بوجود الماء، ومن دون الماء لا يمكن لخلايا الجسم أن تحصل على الغذاء وقد جاء في القرآن الكريم ما يثبت ذلك فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[287].

"لما قرر سبحانه أنه الخالق نبه على أنه الرزاق بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَامِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾

يقول المراغي عند تفسير قوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَامِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾

أي وأنزلنا من السماء مطرا فكان ذلك سببا لإنبات كل صنف كريم من النبات ذي المنافع الكثيرة"[288].

---

[285] ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، ص236.

[286] المراغي، **تفسير المراغي**، ص77.

[287] الأنبياء: من الآية 30.

[288] المراغي، **تفسير المراغي**، ص77.

ويقول ناصر علي عائض حسن الشيخ: "وقد لفت القرآن أنظار العباد إلى النظر في إنزال المطر من السماء في مواضع كثيرة من كتابه فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَاماً﴾[289]....

قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتجري السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر)"[290].

وقد أثبت الله عز وجل صفة الزوجية لكل شيء فقال سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[291]. يقول محمد لطفي في معنى هذه الآية: "يؤكد ــ القرآن الكريم ــ حقيقة علمية لم تكن معروفة عند العرب قبل الإسلام، وهي أن النبات عالم كعالم الحيوان فيه الذكر والأنثى للتكاثر والبقاء، وأن هذا النبات فروع متنوعة، ويسقى بماء واحد، ومع ذلك يختلف في اللون والرائحة والشكل والحجم والمذاق. وهذا من أعظم الدلائل على قدرته سبحانه وتعالى. ولذلك قال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[292]"[293].

"ودورة المياه بين الأحياء جديرة بالنظر، فنحن نشرب ودوابنا تشرب، وزروعنا تشرب، نشرب كلنا من الأنهار والينابيع التي جاءت بها السحب الهامية القادمة من البحار الكبرى ثم تذوى الأجسام والزروع، ويتسرب ما بها من ماء عائدا من حيث جاء، سالكا ألف فج ليتكون مرة أخرى سحبا وأمطارا وينابيع وأنهارا، وهكذا دواليك تبقى الحياة مع قدر مضبوط من الماء لا يزيد ولا ينقص وقد أشار القرآن إلى هذه الدورة المتجددة في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[294]"[295].

---

[289] النور: من الآية 42.

[290] ناصر علي عائض حسن الشيخ، **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، ط1(مكتبة الرشد، 1995م)، ص326، باختصار.

[291] و[2] الرعد: من الآية 3.

[3] محمد لطفي جمعة، **نظرات عصرية في القرآن الكريم**، بدون رقم الطبعة (القاهرة، 1411هـ-1991م)، ص247.

[294] الحجر: الآيات 23/22/21.

فإذا علم ابن آدم أن الماء هو نعمة، وأن الحياة بدونه لا يمكن وأن فيه منافع شتى من بينها إنبات الزرع والثمار وجميع الحبوب، دفعه هذا إلى التساؤل عن مصدر هذه النعم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

ولا ريب أنه الله الخالق القادر المنعم على عباده، وهذا الاعتراف يدفع بدوره إلى شكر هذه النعم وشكر خالقها وبارئها ومبدعها:

- شكر خالقها بعدم الإشراك به وتوحيده في ربوبيته وألوهيته والإقبال على هدي القرآن الكريم والبعد عن كل ما من شأنه يؤدي إلى الإعراض عن الاستماع إلى القرآن الكريم.
- أما شكر هذه النعمة فعلى الإنسان أن يستفيد منها بالقدر الذي يكفيه ولا يبذر قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[296]، وأن لا يسرف فيها. قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[297]. كما على الإنسان أن يسعى إلى إعمار الأرض ومنع الفساد فيها.

وأخيرا على الإنسان أن يتدبر في ما خلق الله من أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات والعلاقة بين أجناسها والدعوة للتعامل معها بتعقل والاستفادة منها في حدود الحاجة والحفاظ عليها والرفق بها وعدم الإضرار بها، كما عليه أن لا يقف عند النعمة مع نسيان خالقها، كما كان مشركوا العرب أمثال أبي لهب، وأبي جهل، والنضر بن الحارث، وكحال الكثير في عصرنا ممن استمتعوا بالنعمة دون النظر إلى المنعم، وهذا ما جعلهم يحيدون عن الطريق المستقيم إلى غيره من الطرق الملتوية. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[298].

المطلب الرابع: كل ما في الكون مخلوق لله سبحانه.

بعدما أثبت الحق سبحانه أنه خلق هذا الكون الفسيح سماواته وأراضه وما أودع فيهم من منافع للعباد، وما تفضل به من مياه وثمرات ودواب تعود عليهم بالنفع أكد سبحانه مرة ثانية أن ما في

---

[295] محمد الغزالي، **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**، ص59.

[296] الإسراء: الآية 27.

[297] الأعراف: من الآية 29.

[298] إبراهيم: الآية 9.

هذا الكون مخلوق لله سبحانه فهو القادر الحكيم المريد الذي لا يعجزه شيء كما أثبت سبحانه عجز غيره من المخلوقات.

"قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ... إلى آخرها نتيجة الاستدلال بخلق السماء والأرض والجبال والدواب وإنزال المطر"[299].

"ليس لهذا العالم إلا إله واحد يخضع له بالقهر والجبروت كل ما سواه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[300]. وإذا استقرأنا ما توهمه الناس شريكا لله في ألوهيته لم نجد أحدا من هؤلاء الشركاء المزعومين ترشحه حالته ليكون في هذا الوجود شيئا طائلا.

لقد عبد القدماء أحجارا اقتطعوها من سطح الأرض فهل يصح في خلد عاقل-أن حجرا من الأرض- بل الأرض كلها-تصلح لتكون إلها؟؟!

وعبدوا صنفا من الحيوان وقدسوا نسله ــ كما يفعل الهندوك إلى اليوم ــ فهل هناك عجل ــ مهما زاد لحمه وشحمه ــ يصلح لمنصب الألوهية؟ فما الذي يوضع بعده في أطباق الآكلين؟

إن الوثنيين سفهوا أنفسهم عندما هووا بها إلى هذا الدرك!

وقد ادعى بعض الناس الألوهية لنفسه كفرعون حاكم مصر ...

وبعض الدهماء من اليهود والنصارى ضلوا في فهم أنبيائهم ورفعوهم إلى مصاف 'الآلهة' مع أن هؤلاء المرسلين ليسوا إلا عبيدا موهوبين وقد كذبوا بها على أنفسهم وعلى الواقع.

فمن الحماقة أن تظن في بشر ــ مهما علا شأنه ــ أنه خلق كوكبا من الكواكب، ولماذا نذهب بعيدا إن أحدهم لم يخلق ذبابة أو ما دونها فكيف يعد إلها من يعجز عن أي خلق؟

بل إن جرثومة من آلاف الجراثيم التي تكمن في بطن ذبابة لو سلبت أحدهم صحته ما قدر على ردها!! فمن أين بعد هذا ينسب إلى الألوهية؟ ...

فإذا ما علمت أن كفار قريش آنذاك كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، يعبدون اللات والعزى وهذه الآلهة لا تستطيع أن تخلق حتى ذبابة، بل لا تستطيع أن تدفع حتى عن نفسها ضررا يحيم

---

[299] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص147.

[300] مريم: الآيتين 96/95.

بها علمت أن كفار قريش ومن سار على نهجهم كانوا في غاية من الحماقة والجهالة والضلالة وانطماس البصيرة"[301].

"إن انفتاح المرء على الكون وفقهه لما فيه، واستمكانه هو التوجيه القرآني الأوحد لجملة العقائد والمعالم التي يقوم الدين عليها.

هل هناك مخلوقات صنعها غير الله؟ هل هناك إله خلق الحيوان وآخر خلق الإنسان؟ هل خالق الشمس غير خالق الأرض؟ إن وحدة الكون في نظامه وغايته قاطعة في أن الخالق واحد. ولذلك يقول جل وعلا: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾"[302].

وفي ختام هذا المطلب نصل إلى أن نظام العالم يطرأ عليه فساد في سمائه وأرضه؛ لو كان هناك أكثر من إله.قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[303].

كما أن الإله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له هو الله الأحد الصمد الذي خلق الكون كله. فالملك كله لله وأن الآلهة الأخرى الموهومة ما هي إلا مجرد تخيلات وإتباعا للظن، وتقليدا للآباء والأجداد. وخشية عار ــ في عقولهم المريضة ــ يلحقهم من أشرافهم، وعنادا واستكبارا لاتباع الحق. يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[304].

وفي ختام هذا المبحث أخلص إلى أن ربنا سبحانه دعا عباده إلى التفكر في الكون الفسيح علويه وسفليه، فإذا كان هذا التفكر بعقل سليم بعيدا عن الأنانية وحب السيادة والدنيا، وبعيدا عن الانسياق وراء الشهوات وحظوظ النفس فإنه لا محالة سيرى أولو الألباب ثمرته المتمثلة في أن

---

[301] محمد الغزالي، **عقيدة المسلم**، بدون طبعة (دار المعرفة، الجزائر)، ص51-52، بتصرف.

[302] محمد الغزالي، **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**، ص61.

[303] الأنبياء: الآية 22.

[304] يونس: الآية 66.

الله سبحانه هو وحده الخالق لهذا الكون، وأنه وحده هو الذي يستحق الإفراد في العبادة وأن عبادة غيره ضرب من الجهالة والحماقة والضلال المبين.

بالإضافة إلى أن التفكر يورث المزيد من المعرفة والعلم النافع، وهذا بدوره يورث العمل الصالح وإحسانه ودوامه، ذلك لأن العلم يورث الخشية من المولى سبحانه ومراقبته في السر والعلن مما يجعله يجهر بالمعاصي بجميع أنواعها لأنه يعلم أن خالقه مطلع عليه.

ومن عظيم ثمرته، زيادة الإيمان، ونيل محبة الله عز وجل، ذلك لأن التفكير يعرف بنعم الله وإحسانه على العبد، والإنسان مجبول على حب من أحسن إليه.

إننا لو تأملنا في أحوالنا اليوم نجد البعض من الناس بعيدا كل البعد عن منهج القرآن الكريم في التفكر الصحيح الذي يثمر لصاحبه النفع الكثير، بل فيما يضر صاحبه من التفكر في شهوات محرمة، أو دنيا فاتنة.

إن أحسن ما يبذل المرء فيه فكره وجهده هو التفكر في آيات الله وعجائب صنعه، فهو من أفضل أعمال القلوب وأنفعها.

خلاصة الفصل الأول:

مما سبق توصلت إلى أن:

- سورة لقمان من السور المبدوءة بحروف التهجي، وقد تباينت آراء العلماء في مدلولها، ولعل الجمع بين هذه الأقوال أن يعتقد أن هذه الأقوال من كلام الله عز وجل، وأنها من الاعجاز القرآني، وقد تكون لها معان قد لا يدركها البعض من البشر.
- القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة لمن أحسن وأسلم وجهه لله.
- لا سعادة إلا بالإيمان والتمسك بكتاب الله عز وجل، ولا وزنا ولا مكانة الا اذا أدى المرء واجبه نحو كتاب ربه.
- من أعظم صفات المحسنين إقامة الصلاة، وأداء الزكاة، واليقين باليوم الآخر.
- الصلاة كلها توحيد وتعظيم لله سبحانه، ولذلك كانت من أمهات صفات المؤمنين.
- ضرورة التكافل الإجتماعي، ومد يد المساعدة إلى الآخرين.
- الناس حول كتاب الله عز وجل فريقان: فريق ءامن وأحسن لله، وفريق ءاخر أعرض واشتغل بالباطل عن آيات الكتاب الحكيم.

- لهو الحديث كل ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه، بحيث لا ينفع لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولربما يضر به فيهما معا.
- أكثر المفسرين على أن صاحب هذا الإضلال واللهو النضر بن الحارث.
- الغناء الذي يشتمل على كلام فاحش أو يصد عن ذكر الله والصلاة فهو الغناء المحرم.
- الكبرياء والعظمة من صفات الله عز وجل، لذلك فهي من أعظم الذنوب في حق الانسان.
- من عدل الله سبحانه انه يجازي كل إنسان على ما قدمت يداه ان خيرا فخيرا، وان شرا فشرا.
- الله سبحانه هو المتفرد في خلق هذا الكون الفسيح: سمائه، وأرضه، ...
- الماء من نعم الله والحياة بدون الماء لا تتحقق. فالواجب شكر المنعم سبحانه.
- الله سبحانه خالق هذا الكون، هو الذي يستحق وحده الإفراد في العبادة، وأن الآلهة الأخرى من دونه آلهة باطلة، لا تدفع الضرر حتى عن نفسها.

التعريف بالفصل الثاني:

عنون هذا الفصل بـــ: قصة لقمان نموذج من وصايا الحكماء وهو يشتمل على المقطع الثاني من هذه السورة بدءا من الآية 12 إلى الآية 19 ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ ... لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾.

يحتوي هذا الفصل على ثلاثة مباحث تحت كل مبحث مطالب، فالمبحث الأول حول الحكمة وشكر الله عز وجل وآراء العلماء فيهما، وعلى أن الحكمة هي محض هداية من المولى سبحانه وهي تستوجب شكر الله عز وجل. أما المبحث الثاني فيتحدث عن وصايا لقمان الحكيم لابنه، إذ هي بمثابة نموذج لرجل أكرمه ربه بالحكمة فقدرها وشكر الله إياها، فحذر ونهى عن الشرك بالله عز وجل، وأوصى بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف وحث على التحلي بصفات المحسنين، وحذر ونهى من الإتصاف بصفات المسيئين، وفي ثناياها رسخ جذور العقيدة في ابنه بإثبات صفات الكمال ونفي صفات النقص عن المولى عز وجل. أما المبحث الثالث فهو عن حق الوالدين وبيان مرتبة الأم نظرا لمعاناتها، ثم يختم بوجوب اتباع الأولين من الأنبياء والمرسلين والصحابة والصالحين.

الهدف من هذا المقطع:

- إعطاء نموذج عملي يقرر التوحيد ويندد بالشرك، ويدعو إلى الإلتزام بتعاليم الإسلام.
- بيان الحكمة المتمثلة في شكر الله تعالى وطاعته.
- أن يستشعر الإنسان فضل والديه عليه، ويستلذ حلاوة الطاعة، ويستشعر قبح المعصية.
- تعلم الأساليب المؤثرة والناجحة في الدعوة إلى الله عز وجل.

وعلى وجه الإجمال إصلاح الفرد والمجتمع.

تمهيد:

لما بين سبحانه حال أولئك الذين أعرضوا عن كتاب الله وجحدوا نعم ربهم، وجمدوا أفكارهم إتباعا للتقليد الأعمى وأعموا أبصارهم وعقولهم عن التفكر في مخلوقات الله عز وجل، ذكر هنا نموذجا عن بعض من آتاه الله الحكمة ممن كان من المحسنين ممن آمن بالله عز وجل وعمل الصالحات ودعا إليها وصبر في تبليغها وهذا شأن المقبلين على كتاب الله عز وجل المهتدين بهديه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ... لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾. قال سعيد حوى: "جاءت قصة لقمان عليه السلام بعدما تقرر أن القرآن حكيم من عند حكيم ومن ثم تأتي القصة لتعرفنا على أدب تلقي الحكمة من الله تعالى ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾. وجاءت لترينا نماذج من حكمة الحكماء كنموذج على انطباق حكمة الحكماء مع ما أمر به القرآن، وكنموذج على الحكمة في هذا القرآن أصلا، وتأتي القصة لترينا أدب الحكماء في نشر الحكمة وتعميمها، وفي ذلك إشارة إلى أن القرآن يجب أن يوصى به وأن ينشر ويبلغ"[305].

المبحث الأول: الحكمة وشكر الله عز وجل.

يبين سبحانه في هذه السورة المباركة أنه تفضل على عبده ــ لقمان ــ بالحكمة إكراما منه وإفضالا فهو حكيم يختص برحمته من يشاء من عباده.

وبما أن الحكمة هي إكراما واصطفاء من الله لبعض عباده فما مفهوم الحكمة يا ترى؟ وما مصدرها؟ وما تستوجبه الحكمة؟ وما هي ثمار الشكر لله عز وجل؟ وهذا ما نتعرف عليه في المطالب الآتية.

المطلب الأول: تعريف الحكمة.

الحكمة لغة: جاء في لسان العرب: "مادة حكم ... والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم"[306].

---

[305] سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ص4317.

[306] ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد5، ص98، مادة حكم.

فمن خلال هذا التعريف اللغوي نلحظ أنه لا يشترط في الحكمة توحيد الله عز وجل وعليه فإن هذا التعريف يصدق على كل من يتقن صناعة ما أنه حكيم حتى ولو كان غير موحد بالله عز وجل.

تعريف الحكمة في السورة الكريمة:

"الحكمة: الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾"[307].

"وإن الحكمة معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه' وأعلاها النبوءة لأنها علم بالحقائق مأمون من أن يكون مخالفا لما هي عليه في نفس الأمر"[308].

ويقول بن جرير الطبري: "ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول وبنحو الذي قلنا. قال أهل التأويل ... عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوّة"[309].

"والحكمة هي العلوم النافعة والمعارف الصائبة والعقول المسددة، والألباب الرزينة وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا وأجل الهبات"[310].

يقول البقاعي: "قال بن مليق[311] إن مدارها ــ الحكمة ــ على إصابة الحق والصواب في القول والعمل، ولهذا قال ابن قتيبة[312]: لا يقال لشخص حكيماً حتى تجتمع له الحكمة في القول والفعل، قال : ولا يسمى المتكلم بالحكمة حكيماً حتى يكون عاملاً بها"[313].

---

[307] الراغب الأصفهاني، **ألفاظ القرآن**، ص176، مادة حكم.

[308] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء21، ص150.

[309] محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ط2 (بيروت، دار المعرفة، سنة 1392هـ-1972م)، مجلد10، ج21، ص43.

[310] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمان بن معلى اللويحق، ط1 (الجزائر، دار الإمام مالك، سنة 1430هـ-2009م)، ص91.

[311] "ابن بنت المليق (731هـ-797هـ = 1331م-1395م) محمد بن عبد الدائم بن محمد أبو المعالي ناصر الدين المعروف بابن بنت المليق، ويختصر فيقال ابن المليق، قاض مصري، كان شافعيا شاذليا، واعظا بليغا. من كتبه: الأنوار اللائحة في أسرار الفاتحة". خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج06، ص188.

فمن مجموع هذه التعاريف يتضح أن توحيد الله عز وجل ركن أساسي في مفهوم الحكمة، وفي الاتصاف بها، فإصابة الحق لا تتأتى إلا إذا كانت بعد توحيد الله عز وجل وهذا لن يتأتى إلا بعد العلم الصحيح الموافق للعقل السليم.

وقد فسرت الحكمة في أكثر آي القرآن الكريم بالنبوة، وهذا صريح في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[314]. وهذا في حق نبي الله داوود عليه السلام.

"... ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي النبوة والعلم العظيم"[315].

وفي قوله: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[316].

وأيضا: ﴿وَءَاتِيهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ...﴾[317]

وثمة كلام جميل لإبراهيم علي أبو الخشب: "الحكمة يراد بها سداد الرأي وبعد النظر، وسلامة الفكر وصدق الظن، وإصابة الحق. وفي تفسير أبي السعود أنها استكمال النفس الإنسانية، وتمام الملكة العقلية. ولا يعنينا أن نعلم أنها صفة تبعد صاحبها عن مواطن الزلل ومدارج السوء ليكون نافعا لنفسه وللناس"[318].

إذن فالحكمة هي التصرف الرشيد الذي توضع به الأمور بإعطاء كل ذي حق حقه والاعتراف لكل ذي فضل فضله، والحكمة هي العلم الصحيح الذي يكون صفة محكمة في النفس حاكمة على الإدارة توجهها إلى العمل ومتى كان العمل صادرا عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح الطيب النافع الموصل إلى السعادة.

فليس المحصل لصور كثيرة من المعلومات حكيم، فكم من خازن للعلم في رأسه لا تفيده هذه الصور التي تسمى علما في التمييز بين الحقائق والأوهام ولا في التمييز بين الوسوسة

---

[312] "(213هـ-276هـ = 828م-889م) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد من أئمة الأدب، ولد ببغداد، من كتبه مشكل القرآن، والمشتبه من الحديث والقرآن، وتفسير غريب القرآن". المصدر نفسه، ج04، ص137.

[313] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ص11.

[314] ص: من الآية 19.

[315] عبد الرحمن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص667.

[316] النساء: من الآية 53.

[317] البقرة: من الآية 249.

[318] إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان في تفسير سورة لقمان**، ص18.

والإلهام، ذلك لأنها لم تتمكن في النفس تمكنا يجعل لها سلطانا على الإرادة، وإنما هي تصورات تغيب عند العمل وتحضر عند المراء والجدل.

والتفسير الذي ترتضيه النفس لفضيلة الحكمة هو أنها فضيلة تمنع صاحبها من الجهل في القول والعمل وتصده عن سوء التصرف، وتحذره من رذيلة العجلة وتدفعه إلى العمل الصالح والدعوة إليه والخشية من الجبار جل جلاله. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «رأس الحكمة مخافة الله»[319].

وقال بعض السلف: {ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله وتعمى بصيرة قلبه، وتحجب مواد الهداية عنه}[320].

"فتوحيد الله رأس الحكمة ولبها، ولا يكون الإنسان حكيما إذا لم يكن موحدا. قال الغزالي رحمه الله: من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله لم يستحق أن يسمى حكيما"[321].

وبناء على ذلك فإن الحكمة فضل وإكرام من المولى سبحانه على عباده. قال تعالى: ﴿يُؤتِي ٱلْحِكْمَةَ مَنْ يَّشَآءُ وَمَنْ يُّؤتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ اوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَـٰبِ﴾[322].

وثمة قواعد ترتكز عليها الحكمة، إذ لا يمكن للإنسان بدونها أن يكون حكيما.

"ولها ثلاثة أركان، العلم، والحلم، والأناة"[323].

يضاف إلى ذلك الإخلاص والتجرد من الدنيا، والاستشارة نظرا لمنزلتها العظمى، ولما يترتب عليها من الآثار الحميدة، ضف إلى ذلك الاستفادة من الخبرة والتجربة، وأن يكون للإنسان بعدا في النظر بحيث دائما يعمل للغد البعيد، لا للغد القريب، بالإضافة إلى رجاحة العقل، ذلك لأن العقل هو مكان الحكمة وبيتها إلا أن الحكمة أعم من العقل.

---

[319] البيهقي، **شعب الإيمان**، باب الخوف من الله تعالى، ج01، ص470، حديث رقم 147، حديث ضعيف من طريق ابن مسعود.

[320] ابن القيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، بدون رقم الطبعة (بيروت، دارالندوة الجديدة، سنة 1405هـ-1984م)، ج01، ص39.

[321] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن الكريم**، ص13.

[322] البقرة: الآية268.

[323] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، ج02، ص181.

ومن القواعد العدل في الأقوال والأفعال، والتثبت في جميع الأمور، إذ العجلة من الشيطان بالإضافة إلى التحلي بالصبر فإنه مفتاح الفرج.

"وآفاتها وأضدادها: الجهل والطيش، والعجلة. فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول"[324].

فالحكمة لا يملكها الإنسان ولكن يملك أسبابها فليعمل جاهدا على تحقيق تلك القواعد، وليبتعد عن كل ما من شأنه أن يكون من خوارم الحكمة كالجهل، واتباع الهوى والشيطان،وعدم ضبط النفس، والخلط في المفاهيم، واستعمال الغلظة والعنف، وما إلى ذلك.

ولعل من الآثار التي تثمر الحكمة ما يلي:

- تزيل الأمراض عن القلوب، فالقلب إن سلم من الأمراض عاش صاحبه في سعادة واطمئنان، وأن أبرز ما يجعله سالما هو اتصاف صاحبه بالحكمة، فالحكيم لن يكون حقودا، ولن يكون بغيضا ...
- العلم النافع، ذلك لأن الحكيم دائما يستفيد من الآخرين من علمهم و تجاربهم مما يجعله دائما نحو المزيد من المعرفة والعلم.
- الإتصاف بالأخلاق الحميدة، حيث يتعلم الإنسان خلق التثبت والأناة، وخلق الصبر، وأخلاقا كثيرة، وعندئذ يعلو مقام الإنسان حيث أن ديننا يأمر بالإتصاف بالأخلاق الحميدة.
- السلامة من كثير الأخطاء لأن ذلك لأن تثبته، وحلمه، ونظرته البعيدة مما يساعده على وضع الأمور في موضعها، ولا شك أنه في حاجة إلى السلامة من الأخطاء وما يترتب عليها من بغض وعداوة.
- العمل الصالح والدعوة إليه، ذلك لأن الحكيم يعزف عن الدنيا ويتنزه عنها مما يساعده على الاشتغال بكل ما يقربه من خالقه صانع هذا الكون. فلقمان الحكيم عمل عملا صالحا وهو توحيد الله عز وجل وشكره، ثم دعا إلى هذا العمل الصالح.
- الراحة والطمأنينة والاستقرار، ذلك لأن قوة إيمانه ورجاحة عقله يجعلانه دائما يعتقد أنه لن يكون إلا ما قدره الله عز وجل.
- الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، فحكمته تبعث به إلى توحيد الله عز وجل، والعمل الصالح، ولا شك أن العمل الصالح يثمر الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

---

[324] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، ج02، ص181.

فما على الإنسان إلا أن يوحد ربه ويدعوه آناء الليل وأطراف النهار، ويقبل على كتاب ربه ويدعو إليه ويسأل ربه هذا الخير الكثير فإنه كريم مفضال ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَّشَآءُۗ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[325]. وقد امتن على عبده لقمان بهذا الخير الجزيل فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾. ولنتساءل كيف قابل لقمان هذه الحكمة؟ وهذا ما سنتعرف عليه في المطلب الموالي.

المطلب الثاني: شكر الله عز وجل على الحكمة.

من الحكمة التي أوتيها لقمان الحكيم شكر الله على ما آتاه من فضله. فأساس العلاقة بالله شكره على نعمة الإيجاد والإمداد والهداية والتوفيق.

"الشُّكْرُ تصور النعمة وإظهارها ... والشُّكْرُ ثلاثة أضرب: شُكْرُ القلب، وهو تصور النعمة. وشُكْرُ اللسان، وهو الثناء على المنعم. وشُكْرُ سائر الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه"[326].

وقال بن منظور: "الشُّكْرُ عِرْفانُ الإِحسان ونَشْرُه وهو الشُّكُورُ أَيضا ... والشُّكْرُ من الله المجازاة والثناء الجميل ... وشكره لعباده مغفرته لهم ... وأَما الشَّكُورُ من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأَدائه ما وَظَّفَ عليه من عبادته ... والشُّكْرُ مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية فيثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أَنه مُولِيها ... والشُّكْرُ الثناءُ على المُحْسِنِ بما أَوْلاكَهُ من المعروف يقال شَكَرْتُه وشَكَرْتُ له"[327]

الشكر في الاصطلاح: عرفه صالح المنجد بقوله: "هو ظهور أثر النعم الإلهية على العبد في قلبه إيمانا، وفي لسانه حمدا وثناء، وفي جوارحه عبادة وطاعة"[328].

يقول الطاهر بن عاشور: "إذ الشكر قد عرف بأنه صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من مواهب ونعم فيما خلق لأجله.

فكان شكر الله هو الأهم في الأعمال المستقيمة فلذلك كان رأس الحكمة لأن من الحكمة تقديم العلم بالأنفع على العلم بما هو دونه، فالشكر هو مبدأ الكمالات علما، وغايتها عملا"[329].

---

[325] البقرة: من الآية 104.

[326] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص343.

[327] ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد 2، ص693، مادة شكر.

[328] محمد صالح المنجد، **سلسلة أعمال القلوب**، ط1(الأزهر، دار الفجر، سنة1426هـ-2005م)، ص154.

ويعرب عبد الحميد محمود طهماز عن نوع الحكمة التي تفضل الله بها على عبده الصالح قائلا: "وقد بين سبحانه الحكمة التي أكرمه بها: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ فشكر الله تعالى رأس كل عبادة، وجميع العبادات والمعتقدات دائرة على شكره تعالى وما يتفرع عنه.

ولا يكون العبد شاكرا لله تعالى إذا لم يتقه بطاعته وترك معصيته فحقيقة الشكر الاعتراف بنعمة المنعم، وأنه تعالى وحده المنعم المتفضل، واستعمال النعمة في طاعته تعالى والثناء عليه وحمده"[330].

وللشكر أهمية كبرى حيث ما وصل السعداء إلى أعلى المنازل إلا بشكرهم لله عز وجل. فالإيمان نصفان: نصفه شكر، ونصف صبر. كما أنه سبحانه قرن ذكره بشكره في كثير من الآيات. فقال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[331]. كما أنه سبحانه أثنى على الشاكرين ووعدهم بإدامة نعمه والمزيد من الأجر الجزيل. فقال سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[332]. وقال أيضا: ﴿وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[333].

والناس أمام نعم الله أقسام:

قسم شاكر لنعمة ربه مثن بها، وذلك مثل لقمان الحكيم وأمثاله من المحسنين.

وقسم جاحد لنعمة ربه كافر بها وكاتم إياها، وذلك مثل النضر بن الحارث وأمثاله من مشركي العرب وأمثالهم من الجهلاء الحمقى.

وقسم يتظاهر بالشكر ويدعيه، إلا أنه في حقيقة الأمر جاحد لنعمة ربه وذلك كأمثال المسرفين على أنفسهم في المحرمات والشبهات المضيعين للواجبات كالصلاة والزكاة.

المطلب الثالث: الشكر لله وشكر الناس.

الشكر في الأصل ينبغي أن يكون لله تعالى أولا والطاعة له سبحانه وحده، وشكر الوالدين والناس يأتي بعد شكر الله تعالى. وقد قال الله عز وجل: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ

---

[329] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21 ص152.

[330] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن الكريم**، ص13-14.

[331] البقرة: الآية 151.

[332] آل عمران: من الآية 144.

[333] آل عمران: من الآية 145.

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾. "أي ووصينا الإنسان أن يشكرني أولا، ويشكر والديه فالشكر له تعالى أولا، لأنه هو المنعم الحقيقي، وشكر الوالدين من شكره سبحانه لأنهما سبب وصول كثير من نعمه تعالى إلى الإنسان"[334].

فشكر الله عز وجل هو الأصل وشكر الناس هو الفرع، وليس ثمة تعارض بينهما. يقول الشيخ محمد صالح المنجد: "وليس هناك تعارض بين شكر الله وشكر الناس، لأن الله أمر بشكر الناس وهو سبحانه الذي أرشدنا إلى شكر الناس إذا صنعوا لنا معروفا أن نكافئهم وأولهم الوالدين. وهو الذي قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[335].

فليس شكر المخلوق قادحا في شكر الخالق ولا ينقص منه، بل المشكلة فيمن يشكر المخلوق ولا يشكر الخالق وهذه هي المصيبة ... وهناك فرق بين شكر العبد وشكر الرب، فشكر الرب فيه خضوع وذل وعبودية، ولا يجوز لشكر العبد أن تعبده، وإنما تعطيه شيئا مقابل شيء وتقول جزاك الله خيرا تدعو له بظهر الغيب وتثني عليه.

وشكر الله أيضا يختلف عن شكر الناس من جهة العبودية والدرجة وما فيه من أنواع الطاعة له. والشخص الذي لا يشكر الناس إنسان لئيم وحري به أن لا يشكر الله"[336].

وبما أن الله سبحانه أمرنا بشكره بالخضوع والتذلل والعبودية له سبحانه وصرف جميع نعمه في ما يرضيه سبحانه، فلا شك أن لهذا الشكر ثمارا تعود على العبد الضعيف في دنياه وأخراه وهذا ما نتعرف عليه في المطلب التالي.

المطلب الرابع: ثمرة شكر الله عز وجل.

المطلوب من الإنسان أن يشكر الله عز وجل على نعمه كما سبق معنا، ويعلم أنه سبحانه غني عن جميع ثناء العباد، وعن جميع أفعالهم وتصرفاتهم الحسنة. فإذا ما جحد الإنسان وكفر

---

[334] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن**، ج31 ص19.

[335] **مسند الإمام احمد**، حديث ابي هريرة، وابي سعيد الخدري، حديث رقم 7715، 11584، ج02، ص258. **سنن الترمذي**، ج4، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم 2082 بلفظ: من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال حديث حسن صحيح، ج4، ص339. **سنن أبي داوود**، باب في شكر المعروف، ج02، ص671، حديث رقم4811.

[336] محمد صالح المنجد، **سلسلة أعمال القلوب**، ص168.

نعم ربه فإنه قد أساء إلى نفسه وأضر بها، أما إذا شكرها فلا شك أنه أحسن إلى نفسه وفاز بثمرة الشكر. ومن أهمها:

1. الهداية والتوفيق الإلهي إلى الأعمال الصالحات.

يقول عبد الحميد محمود طهماز: "وأول ثمار الشكر أن يوفق تعالى الشاكر ويسدده إلى الحق في أقواله وأفعاله فيكون بهذا حكيما. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[337]. وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[338]. ولا شك أن لقمان الحكيم كان صالحا، فنور الله تعالى بصيرته وقلبه وسدده ووفقه، وجعل له فرقانا يفرق به بين الحق والباطل وكان بهذا حكيما"[339].

وقال سبحانه في شأن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۦٓۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[340].

2. زيادة النعم وإدامتها.

شكر الله سبحانه على نعمه موجب لدوامها وسبب للمزيد منها. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾[341].

قال القرطبي: "والآية نص في أن الشكر سبب المزيد"[342]. والكفر بالنعمة سبب العذاب والزوال.

3. رضا الله عز وجل.

---

[337] البقرة: من الآية281.

[338] الأنفال: الآية 29.

[339] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن**، ج31، ص18.

[340] النحل: الآيات 122/121/120.

[341] إبراهيم: الآية 9.

[342] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج6، ص06.

بما أن الشكر من الأعمال الصالحة وأنه رأس الحكمة وأن ربنا أمرنا بالعمل الصالح ورضيه لنا وجعله سببا لنا في نيل محبته ورضاه. قال سبحانه: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[343]. فلا شك أن الشاكر ينال رضوان الله.

4. الوعد بالأجر الجزيل والدخول إلى جنة النعيم.

قال سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فلم يعلق سبحانه جزاء الشكر بالمشيئة كما علقه في غيرها. كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾[344].

إلا أنه ومع هذه الثمرات فإن الشاكرين قليلون. قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[345].

تنبيه: المقصود بالشاكرين الذين ينالون هذه الثمرات وهذا الفوز العظيم هم الذين ثبتوا على نعمة الإيمان، ولم ينقلبوا على أعقابهم إذ من الناس من لا يصمد عند الابتلاء والمحنة فيكفر ولا يثبت.

وفي ختام هذا المطلب أخلص إلى النقاط التالية:

- الشكر من أجل العبادات، وأن من لم يشكر ربه فإنه ليس من أهل عبادته. قال تعالى: ﴿وَاشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[346].
- الله غني عن طاعة الطائعين، لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطائعين.

---

[343] الزمر: من الآية 7.

[344] التوبة: من الآية 28.

[345] سبأ: من الآية 13.

[346] البقرة: من الآية171.

قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَّشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

وقال أيضا عن نبي الله سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[347].

وأخيرا أخلص في نهاية هذا المبحث إلى النقاط التالية:

-الحكمة التي بمعنى الفقه في الدين والعقل والإصابة في المعتقد والقول والعمل هي نعمة من الله سبحانه خالق هذا الكون، ومنزل آيات الكتاب الحكيم تستوجب من العبد شكر الله إياها.

- أكرم ربنا سبحانه عبده لقمان بالحكمة فشكر الله على ما آتاه من فضله.
- شكر الله عز وجل يكون بتوحيده وطاعته وصرف جميع نعمه فيما يرضيه سبحانه.
- شكر الله يعود على الشاكر نفسه بالنفع والمزيد من النعم وإدامتها.
- كفران النعم يعود على الإنسان بالهلاك والشقاء وزوال النعم.
- شكر الناس أمر مشروع ومطلوب وهو في حقيقته شكر لله تعالى.
- تعلمنا نحن المسلمين أن نشكر الله على القرآن الكريم.

[347] النمل: من الآية 41.

المبحث الثاني: وصايا لقمان.

يعرض لنا القرآن الكريم في هذه السورة نموذجا رائعا عن رجل أكرمه ربه بالحكمة فقدرها حق تقديرها فشكر الله إياها وقدم نصائح حافلة بالخير تتضمن أصول الدين كالنهي عن الشرك، والأمر بإقامة الصلاة كما تتضمن فروعه كالصبر والنهي عن الكبر، فلقمان الحكيم اختاره القرآن الكريم ليعرض بلسانه قضية التوحيد وقضية الآخرة، وفقه التعامل مع الآخرين. يقول محمد الغزالي رحمه الله: "وهي وصية حافلة بالخير، ولقمان الحكيم أبصر بالحقيقة من حكماء اليونان الذين اشتهرت أسماؤهم، ففلسفتهم فكر غامض، ونظرات خيالية. أما لقمان فقد لخص الحق الخالد في منهج وجيز، وأخذ به أبنه وتركه تراثا نبيلا"[348].

هذه الوصايا هي النموذج الأمثل للآباء في تربية أبنائهم وبناتهم على منهج الله تعالى، تربية شاملة لكل ما يحتاجه الأبناء في دينهم ودنياهم نتعلم منها الأسلوب الرائع الذي يخاطب القلوب قبل العقول كما نتعلم منها تقديم الأهم على غيره، نتعلم منها حسن الصلة بالله عز وجل أولا، ثم حسن الصلة بعباد الله عز وجل، نتعلم مها أسلوب الإقناع والتعليل.

وقد اختلف المفسرون في شخصية لقمان[349] فمن قائل أنه كان نبيا ومن قائل أنه كان رجلا حكيما وليس بنبي، وأكثر المفسرين على أنه رجل حكيم وليس بنبي.

يقول ابن كثير: "اختلف السلف في لقمان هل كان نبيا؟ أو عبدا صالحا من غير نبوة؟ على قولين الأكثرون على الثاني"[350].

وقال القرطبي بعدما تكلم عن الخلاف في نبوة لقمان: "والصواب أنه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى"[351].

---

[348] محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن**، ج2 ص.288

[349] "وهو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح، وهو آزر أبو إبراهيم؛ كذا نسبه محمد بن إسحاق. وقيل: هو لقمان بن عنقاء بن سرون وكان نوبيا من أهل أيلة؛ ذكره السهيلي. قال وهب: كان ابن أخت أيوب. وقال مقاتل: ذكر أنه كان ابن خالة أيوب. الزمخشري: وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وقيل كان من أولاد آزر، عاش ألف سنة وأدركه داود عليه الصلاة والسلام وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوى فقيل له، فقال: ألا أكتفي إذ كفيت. وقال الواقدي: كان قاضيا في بني إسرائيل. وقال سعيد ابن المسيب: كان لقمان أسود من سودان مصر ذا مشافر، أعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة؛ وعلى هذا جمهور أهل التأويل إنه كان وليا و لم يكن نبيا. وقال بنبوته عكرمة والشعبي؛ وعلى هذا تكون الحكمة النبوة. والصواب أنه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى". القرطبي، **تفسير القرطبي**، مجلد7، ص511-512.

[350] ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج4، ص471.

[351] القرطبي، **تفسير القرطبي**، المجلد7، ص512.

"وقد اختلف المفسرون في هوية هذا الرجل وفي زمنه وبلده وصنعته، ولا حاجة إلى معرفة هذه الأمور والخوض فيها فالمهم أنه تعالى أعطاه الحكمة فكان الرجل حكيما[352] ولم يكن نبيا، وقد نسبوا إليه كثيرا من الحكم المتداولة ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء، ولا ثبت إسناد صحيح إلى لقمان بشيء منها"[353].

المطلب الأول: الوصية الأولى: الإيمان بوجود الله ووحدانيته وعدم الإشراك به.

لا يكون العبد حرا لله عز وجل إلا إذا وحد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وابتعد عن عبودية ما سوى الله عز وجل. وهذا هو السر الذي جعل لقمان الحكيم يبدأ بهذه الوصية:﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

"ومن حكمة لقمان أنه بدأ بإصلاح ولده فالرجل الحكيم الذي يهتم بخاصة نفسه قبل العامة، وهذا من صفات الأنبياء، فإنهم يبدؤون بدعوة أهلهم وأولادهم وإصلاحهم كقوله تعالى: ﴿وَأَوْ صِىٰ

---

[352] "وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة، فلنذكر منها أنموذجًا ودستورًا إلى ذلك.

قال الإمام أحمد: حدثنا ابن إسحاق، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا سفيان، أخبرني نَهْشَل بن مُجَمِّع الضبي عن قزعة، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله إذا استودع شيئا حفظه"وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن موسى بن سليمان، عن القاسم [بن مُخَيْمِرة يحدث عن أبي موسى الأشعري] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني، إياك والتقنع فإنه مخوفة بالليل، مذمة بالنهار".

وقال: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عثمان، عن ضَمْرَة، حدثنا السَّرِيّ بن يحيى قال: قال لقمان لابنه: يا بني، إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.

وقال: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، أخبرنا ابن المبارك، حدثنا عبد الرحمن المسعودي، عن عَوْن بن عبد الله قال: قال لقمان لابنه: يا بني، إذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الإسلام -يعني السلام -ثم اجلس في ناحيتهم، فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا، فإن أفاضوا في ذكر الله فَأجِلْ سهمك معهم، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم.

وحدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، حدثنا ضمرة، عن حفص بن عمر، رضي الله عنه، قال: وضع لقمان جرابًا من خردل إلى جانبه، وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة، حتى نفذ الخردل، فقال: يا بني، لقد وعظتك موعظة لو وُعِظَها جبل لتفطر. قال: فتفطر ابنه.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا يحيى بن عبد الباقي المِصِّيصي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، حدثنا أبين بن سفيان المقدسي، عن خليفة بن سلام، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة: لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن".

قال أبو القاسم الطبراني: أراد الحبش". ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، مجلد4، ص475-476.

[353] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن**، ج31 ص13.

بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[354] ... ومن حكمة لقمان أيضا أنه بدأ بإصلاح عقيدة ولده فهي أهم شيء في الإنسان، وإذا ما صلحت أمكن إصلاح الإنسان عبادة ومعاملة وأخلاقا فحذر ولده من الشرك وبين له خطره الشديد، وما يترتب عليه من ظلم وفساد في الاعتقاد والسلوك"[355].

يقول إبراهيم علي أبو الخشب: "الإشراك أن تجعل للشيء شريكا يصاحبه في صفاته ويساويه في فضله، والإشراك بالله رأس الكبائر من الذنوب﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[356]. وقد قامت الأدلة من العقل والنقل على أنه وحده قيوم السماوات والأرض"[357].

فلقمان الحكيم أوصى ابنه بالتوحيد وحذره من فقد الإيمان وذلك لما في الإشراك بالله من الشقاء والخسران في الدنيا والآخرة. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[358] شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس بذاك ألم تسمع إلى قول لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»[359].

والشرك هو أن تجعل لله ندا وهو خلقك وهو من أكبر الذنوب. قال ابن القيم الجوزية: "وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ

---

[354] البقرة: الآية 131.

[355] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن الكريم**، ج31، ص16/15.

[356] النساء: من الآية 47.

[357] إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان في تفسير سورة لقمان**، ص19.

[358] الأنعام: الآية 83.

[359] **صحيح البخاري**، ج1، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، حديث رقم32، وكتاب التفسير، ج3، حديث رقم 4629. **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، ص64-65، حديث رقم 124/197.

ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[360] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم"[361].

ويقول الحافظ شمس الدين الذهبي: "فأكبر الكبائر الشرك بالله وهو نوعان: أحدهما أن يجعل لله ندا ويعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ﴾[362]. وقال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَنْ يُّشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوِيهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنَ أَنصارٍ﴾[363]. ... وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ــ ثلاثا ــ قالوا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا شهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت»[364]. وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: «اجتنبوا السبع الموبقات فذكر منها الشرك بالله»[365]. ... والنوع الثاني من الشرك الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَداً﴾[366] أي لا يرائي بعمله أحدا"[367].

---

[360] الشعراء: الآيتين 97و98.

[361] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، بدون رقم وتاريخ الطبع، دار التقوى، ج1، ص260.

[362] النساء: من الآية 47.

[363] المائدة: من الآية 74.

[364] **صحيح البخاري**، ج4، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ص1518، حديث رقم 5976. **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص53، حديث رقم 87/143.

[365] **صحيح البخاري**، ج3، كتاب الوصايا، باب رمي المحصنات، ص677، حديث رقم 2766. **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص53، حديث رقم 89/145.

[366] الكهف: من الآية 105.

[367] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **الكبائر**، تحقيق عبد المحسن قائم البزار، بدون رقم ومكان وتاريخ الطبعة، ص3، الكبيرة الأولى: الشرك بالله.

والسورة كلها تدور على محور التوحيد ونبذ الشرك فمن مشاهدة هذا الكون الفسيح والنظر في آيات الله نصل إلى إتقان الله في صنعته، إلى التعرف على عظمة الخالق سبحانه إلى توحيده سبحانه والبعد عن كل ما من شأنه يؤدي إلى الإشراك بالله سبحانه وتعالى. يقول الله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[368].

قال الباجوري: قيامه بالنفس وحدانيه ... منزها أوصافه سنيه

عن ضد أو شبه شريك مطلقا ... ووالد كذا الولد والاصدقا.

وقال ابن أبي زيد القيرواني في مطلع باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة: "من ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا شريك له"[369]

ويقنع الحكيم ابنه بهذا المنهي عنه ــ الشرك بالله ــ بأنه ظلم عظيم ــ وإن كان المفسرون اختلفوا في قوله تعالى ــ ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. هل هي من كلام لقمان لابنه، أم أنها من كلام الخبير الحكيم وعلى كلا التفسيرين فإن الشرك يكون ظلما عظيما.

"﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنه يسوي بين الخالق المنعم، وبين المخلوق الفقير الذي لا نعمة له أصلا، يسوي بين من يستحق العبادة، وبين من لا يستحقها، وهذا هو الظلم العظيم، وكل ما يتصف به المخلوق يتنزه عنه الخالق جل وعلا ولا يتصف به، فهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله"[370].

"إن الشرك بنوعيه لظلم عظيم، أي فهو ضد الحكمة، لأنه وضع الشيء في غير محله، فظلمه ظاهر من جهات عديدة جدا، أظهرها أنه تسوية المملوك الذي ليس له من ذاته إلا العدم نعمة منه أصلاً بالمالك الذي له وجوب الوجود، فلا خير ولا نعمة إلا منه، وفي هذا تنبيه لقريش وكل سامع على أن هذه وصية لا يعدل عنها، لأنها من أب حكيم لابن محنو عليه محبوب، وأن

---

[368] سورة الإخلاص.

[369] النفراوي الأزهري المالكي، **الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني**، المجلد1، ص64.

[370] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن الكريم**، ج1، ص16.

آباءهم لو كانوا حكماء ما فعلوا إلا ذلك، لأنه يترتب عليها ما عليه مدار النعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية، العاجلة والآجلة، وهو الأمن والهداية"[371].

ويبين أحمد الطاهري البسيوني البواعث التي جعلت لقمان يوصي ابنه باتقاء الشرك: "أولا: لعظم أمر التوحيد، فمن حقق التوحيد نجا، ولذا خاف الأنبياء من فقده حتى إن أبا الموحدين إبراهيم عليه السلام ليقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ﴾[372]، ومن يأمن البلاء بعد الخليل؟

ثانيا: وهي وصية من مؤمن لمؤمن ينصحه ويبذل له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكره بالله.

ثالثا: أن الإيمان بالله مرحلة سابقة على الشرك فقد يكون الإنسان مؤمنا بالله لكن يشرك معه من المخلوقات من يقسم به، أو ينذر له أو يخشاه، أو يحبه حبا شديدا وهو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون حتى قالوا عن أصنامهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[373].

وابن لقمان مؤمن بالله كما يبدو من سياق القرآن فخشي الرجل على ولده بعد رحيله أن يضل عن عقيدة التوحيد ويشرك بالله غيره فنهاه عن الشرك وأمره بالتوحيد، وبين قبح الإشراك بالله ووصفه بأنه ظلم عظيم.

رابعا: الإشراك بالله يسهل إلباسه على الإنسان من الغير بعكس الكفر بالله الذي يحتاج إلى تدخل واضح من إرادة الإنسان نفسه، أو بمعنى آخر أبواب الشرك أسهل ولوجا من أبواب الكفر، لأن الذين يزينون الشرك كثير. وإقناع العوام به أسهل من إقناعهم بالكفر بالله ولذا جاء التحذير من الشرك بالله أقوى لأن فيه تحذيرا من جلساء السوء وغيرهم ممن يسولون للآخرين الشرك بالله وخاصة في مرحلة الشباب المليئة بالمتغيرات، وفيه أيضا تحذير من أشياء قد يراها الإنسان لا غبار عليها إذا فعلت مع أنها تمثل نوعا من الشرك كالرياء وهو أخوف ما كان يخافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته والله أغنى الأغنياء عن الشرك"[374].

---

[371] البقاعي، **نظم الدرر**، المجلد6، ص13-14.

[372] إبراهيم: من الآية 37.

[373] الزمر: من الآية 3.

[374] حامد أحمد الطاهر البسيوني، **صحيح قصص القرآن**، بدون رقم الطبعة (الجزائر، دار البصائر، سنة 1426هـ-2005م)، ص397.

خطورة الشرك:

من خلال النصوص السابقة يجدر بي أن أجمل أضرار الشرك، لما لها من آثار خطيرة، وعواقب وخيمة.

أ) آثار الشرك الأكبر:

- هو من أعظم الذنوب وأقبحها، ذلك لأن فيه تنقيص لرب العالمين، فالمولى سبحانه القادر الخالق المبدع يستحق وحده العبادة دون سواه، فإشراك غيره معه في العبادة، أو في اعتقاد الخلق والنفع والضر من غيره. فلا شك أن هذا ظلم عظيم في حق المولى سبحانه كما جاء في السورة.
- هو من الذنوب التي لا يغفرها الله، فثمة ذنوب يغفرها الله لمن يشاء من عباده فضلا منه وإحسانا، لكن الشرك الأكبر لا يغفر إلا إذا تاب الإنسان منه، وعمل بعدها عملا صالحا.
- هو من المهلكات التي توقع صاحبها في النار، بحيث ينبغي للإنسان أن يكون دائما حذرا منها حتى لا يكون مصيره الهلاك والشقاء والخسران المبين.
- كما أنه محبط للعمل الصالح، فلا يبقى معه من الصالحات شيئا، ذلك لأن من نواقض الإيمان الشرك الأكبر، وما أعظمه من شقاء، فقد يكون الإنسان من المصلين، والصائمين، والمزكين، والحاجين لبيت الله الحرام، فإذا ما وقع في هذا النوع، كان كل ما قدمه هباءا منثورا إنه شقاء ما بعده شقاء!!
- العقاب الإلهي المتمثل في الخلود الأبدي في النار، وعندئذ يشعر الإنسان بالعذاب الذي لم ير معه أي نعيم، خصوصا وأن الجنة قد حرمت عليه، والأصنام والأحجار التي كان يعبدها من دون الله لا تنصره، ولا تنفعه، ولا تشفع له، والأولاد لا تشفع لهم ولا تغني عنهم من الله شيئا، والأموال لا تفدهم ولا يقبلها الله منهم.

ب) الشرك الأصغر: ومن آثاره ما يلي:

- أنه قد يؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر، فالحذر من الوقوع في الشرك الأصغر أعظم وسيلة لعدم الوقوع في الأكبر، وعندئذ يسلم الإنسان من خطرهما معا.

• لا ينتفع الإنسان بعمله، ذلك لأن الله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، فهو سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك، فقد يظن الإنسان يوم القيامة أن له أجرا على عمله، فيقال له خذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا، وما أكثر المرائين في عصرنا اليوم، حيث ينشطون في الطاعة والعبادة إذا كانوا بين الناس، ويتكاسلون إذا كان كل منهم وحده، فالرياء محبط للعمل المقترن به، فقد يكون العمل في أعين الناس كبيرا عظيما، وهو عند الله حقير، لا وزن له ولا كرامة، وقد يكون العمل عند الناس حقيرا وهو عند الله عظيم، لأن صاحبه ابتغى به وجه الله العظيم.

• من أثره أيضا: أن الله يفضح صاحبه في الدنيا والآخرة ذلك لأن الإنسان يريد أن يخدع ربه، وهو يعلم سره وعلانيته، يريد أن يهزأ بربه وهو الذي خلقه، فيفضحه الله في الدنيا قبل الآخرة، فتجد الناس يتحدثون أن فلانا مرائيا بعمله، يريد المنزلة والسمعة والشهرة والجاه عند الناس، كما يفضحه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

فالرياء مرض من أمراض القلوب، فالقلب المريض، قلب يحب الرياء، ويسكنه الرياء، وما على صاحبه إلا أن يعلم أن العباد عاجزون عن ضروریاتهم فضلا عن غيرهم، كما عليه أن يجاهد نفسه لإصلاحها وتهذيبها، وليستعين بذلك على الدعاء والتضرع لله سبحانه.

إذا كان الشرك بهذه الخطورة فالواجب على المسلم أن يعرفه ليتجنبه، فإن من لا يعرف الشرك يوشك أن يقع فيه.

وأخلص في نهاية هذا المطلب إلى النقاط التالية:

ــ على المربين أن يغرسوا أولا في أبنائهم وبناتهم عقيدة التوحيد ونبذ الشرك بالله عز وجل وليكن ذلك بأسلوب لطيف لين يصل القلوب قبل العقول كما يكون مصحوبا بالإقناع والتعليل حتى يرسخ في الأذهان أن الله إله واحد لا شريك له ولا مثيل وهو وحده سبحانه المستحق للعبادة وهو النافع والضار وحده.

ــ البدء بإصلاح النفس أولا ثم الأقرب فلأقرب ثم الأبعد فالأبعد وهذا ما أمر به المولى عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ﴾[375].

[375] الشعراء: الآية 213.

ــ من أكبر الكبائر والذنوب الإشراك بالله بحيث تجعل له ندا وهو خلقك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي وقع فيه مشركوا مكة ومن سار على نهجهم من عباد الحجر والشجر والشمس والنار والبقر وغيرهم.

ــ توحيد الربوبية وحده لا يكفي، بل لا بد من توحيد الألوهية والأسماء والصفات إليه.

لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه سبحانه فهو سبحانه أغنى الشركاء عن شركهم. يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى

الأغنياء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[376].

وبعدما قدم لابنه هذا الدرس النظري المتمثل في التحذير من الشرك انتقل به إلى الدرس العملي وهذا ما سنتعرف عليه في الوصية الموالية.

المطلب الثاني: عظمة علم الله وقدرته وأثرها على سلوك الإنسان.

وبعدما نهى لقمان الحكيم ابنه عن الشرك بالله عز وجل أضاف له نصيحة أخرى بأسلوب حكيم ولطيف يدل على حكمة قائلها. يقول الله تعالى على لسان لقمان: ﴿يَـٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ هذه النصيحة تتمثل في مراقبة الله عز وجل والعمل بطاعته مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح قل أو كثر فهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. جاء في تفسير روح المعاني للألوسي: "فقد روى أن لقمان سأله ابنه أرأيت الحبة تقع في مغاض البحر أيعلمها الله تعالى فقال يا بني إنها أي التي سألت عنها﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾"[377].

"ويعود لقمان ثانية لتعميق روح الإيمان والتوحيد في قلب ولده فيقول مناديا إياه بما يحبه الابناء من الآباء: ﴿يَـٰبُنَيَّ﴾ فيسمع الابن وينصت فيقول لقمان: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ

---

[376] **صحيح مسلم**، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، ص1141، حديث رقم 2985/46..

[377] الألوسي، **تفسير روح المعاني**، ج22/21 ص88.

خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

فقد أثبت لله العلم المطلق والقدرة المطلقة في كلماته الحكيمة"[378].

والضمير في قوله عز وجل: ﴿إِنَّهَآ﴾ يعود على الأعمال سواء كانت خيرا أم كانت شرا.

"... ﴿إِنَّهَآ﴾ أي الخصلة من الإساءة والإحسان لفهمها من السياق"[379].

"فضمير ﴿إِنَّهَآ﴾ مراد منه الخصلة من حسنة أو سيئة أخذا من المقام"[380].

فعلمه سبحانه أحاط بجميع الأشياء لا تخفى عليه خافية لا يخفى عليه قليلها أو كثيرها بعيدها أو قريبها وهذا ما تؤكده الآيات القرآنية. قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[381]. وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً﴾[382]. وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[383].

إنها آية تدل على دقة علم الله سبحانه وشموله وعن قدرته سبحانه وعن دقة الحساب وعدالة الميزان فحبة الخردل الصغيرة التي لا وزن لها ولا ترى بالعين المجردة في صخرة صلبة أو في العالم العلوي أو في العالم السفلي يحضرها الله ويعلمها ويجازى عليها إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا. يقول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُۥ﴾[384]. وهذه الآية الكريمة تدفع المؤمن إلى الإيمان دائما وأبدا بأن الله مطلع عليه وهو معه بعلمه سبحانه حيث ما كان فيراقب الله في السراء والضراء وفي السر وفي العلن، في الجهر والخفاء. "‹المراقبة›: دوام علم العبد وتيقنه بإطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين : هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه

---

[378] حامد أحمد الطاهر البيسوني، **صحيح قصص القرآن**، ص398.

[379] الألوسي، **روح المعاني**، ج22/21، ص88.

[380] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد 8، ج21 ص163.

[381] البقرة: من الآية 233.

[382] الأحزاب: من الآية 52.

[383] الحديد: من الآية 4.

[384] الزلزلة: الآيتين 8و9.

ناظر إليه سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين"[385].

ويوضح الطاهر بن عاشور معاني الآية الكريمة قائلا: "... وقد أفيد ذلك بطريق دلالة الفحوى؛ فذكر أدق الكائنات حالا من حيث تعلق العلم والقدرة به، وذلك أدق الأجسام المختفي في أصلب مكان أو أقصاه وأعزه منالا، أو أوسعه وأشده انتشارا، ليعلم أن ما هو أقوى منه في الظهور والدنو من التناول أولى بأن يحيط به علم الله وقدرته.

والحبة: واحدة الحب وهو بذر النبات من سنابل أو قطنية بحيث تكون تلك الواحدة زريعة لنوعها من النبات.

والخردل: نبت له جذر وساق قائمة متفرعة أسطوانية أوراقها كبيرة يخرج أزهارا صغيرة صفرا سنبلية تتحول إلى قرون دقيقة مربعة الزوايا تخرج بزورا دقيقة تسمى الخردل أيضا.

وقد ذكرها الله في موضع آخر في قوله: ﴿وَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[386].

والصخرة[387] جزء من الأرض لقصد تعميم الأمكنة الأرضية والإتيان ــ يات بها الله ــ كناية عن التمكن منها، وهو أيضا كناية رمزية عن العلم بها لأن الإتيان بأدق الأجسام من أقصى الأمكنة وأعمقها وأصلبها لا يكون إلا عن علم بكونها في ذلك المكان وعلم بوسائل استخراجها منه.

وجملة﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ يجوز أن تكون من كلام لقمان فهي كالمقصد من المقدمة أو كالنتيجة من الدليل، ولذلك فصلت ولم تعطف.

ويجوز أن تكون معترضة بين كلام لقمان تعليما من الله للمسلمين.

---

[385] أبن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج1، ص451.

[386] الأنبياء: من الآية 47.

[387] "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان» أخرجه الإمام أحمد. حدثنا حسن ابن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن ابن الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم". ابن كثير، **تفسير بن كثير**، مجلد4، ص474.

واللطيف: من يعلم دقائق الأشياء ويسلك في إيصالها إلى من تصلح به مسلك الرفق، فهو وصف مؤذن بالعلم والقدرة الكاملين، أي يعلم ويقدر وينفذ قدرته"[388].

أما الإمام القرطبي فقد سلك مسلكا آخر في تفسير هذه الآية حيث يرى أنها تدل على أن رزق الإنسان كيفما كان وحيثما كان يأتيه وعليه فلا يشتغل به عما طلب منه من العبادات إذ يقول: "وهذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى. وهذه الغاية التي أمكنه أن يفهمه، لأن الخردلة يقال: إن الحّس لا يدرك لها ثقلا، إذ لا ترجح ميزانا. أي لو كان للإنسان رزق مثقال حّبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه؛ أي لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض، وعن إتباع سبيل من أناب إليّ.

قلت: ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود: «لا تكثر همك ما يقدر يكون وما ترزق يأتيك»[389]. وقد نطقت هذه الآية بأن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا؛ سبحانه لا شريك له"[390].

وفي ختام هذه الوصية نصل إلى أنه يجب على المؤمن أن يثبت لله سبحانه وتعالى صفات الكمال كالعلم والقدرة والإرادة فهو سبحانه عليم خبير محيط بجميع الأشياء وأنه سبحانه قادر لا يعجزه شيء وأنه فعال لما يريد كما يجب أن ننزهه عن صفات النقص كالعجز والجهل والعجز والإكراه...

ولا شك أن هذا الاعتقاد يثمر للعبد دوام المراقبة لله عز وجل، حيث يبعث المؤمن على الخشية من المولى عز وجل والإقبال على الطاعات والبعد عن المعاصي كما يدفعه إلى الإيمان بيوم الحساب والاستعداد لهذا اليوم فيسعد هذا المؤمن في دنياه وأخراه وهذا ما كان يطمح إليه لقمان الحكيم في تقديم هذه النصيحة القيمة إلى ابنه العزيز.

---

[388] الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، المجلد8، ج21، ص162-164.

[389] البيهقي، **شعب الإيمان**، ج2، باب التوكل بالله عز وجل والتسليم لأمره تعالى، ص 68، حديث رقم 1188، من حديث ابن مسعود. محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط01 (الرياض، مكتبة المعارف، سنة 1412هـ-1992م)، ج10، ص333، حديث رقم 4792، وقال حديث ضعيف.

[390] القرطبي، **تفسير القرطبي**، المجلد7، دار البيان العربي، ص517/516.

المطلب الثالث: الوصية الثالثة: الدعوة إلى القيام بالتكاليف الشرعية كبرهان على توحيد الله عز وجل.

وبعد أن أمر لقمان الحكيم ابنه بأصول الاعتقاد وجهه وحثه على القيام بالأعمال الصالحة التي يدل على صحة الاعتقاد وفي نفس الوقت هو يقدم لنا نموذجا قيما في التربية الصحيحة حيث أن التربية ليست قاصرة على الجسمية من إعداد الطعام والشراب والمسكن إنما تتعدى إلى التربية الإيمانية وهي أهم من سابقتها إذ لولا الإيمان بالله عز وجل والسمع والطاعة له سبحانه لكان الإنسان كالدواب لا يفقه شيئا ولا يعيه وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[391].

ومن التربية الإيمانية ـ بعد غرس أصول الاعتقاد ـأن نربي أبناءنا وهم في نعومة أظفارهم على التقرب إلى الله عز وجل بعبادة الصلاة لما لها من شأن عظيم ولأنها عماد الدين، ثم نربيهم على حب الخير والهداية للآخرين والنصح لهم إذ لا يكمل إيمان المؤمن إلا إذا أحب الخير لأخيه المسلم، كما ينبغي أن نعود أبناءنا على التحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الأخلاق الرذيلة؛ إذ العبادة والحث عليها يحتاجان إلى أخلاق عالية وإلى صبر وتضحية. قال تعالى: ﴿يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٦﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٧﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

❖ من أعظم التكاليف الشرعية:

1. الصلاة: ويبدأ لقمان بالنصح لابنه بعد استقرار أمر العقيدة بالصلاة، ذلك لأنها عماد الدين ولأنها أم العبادات، ولأنها إذا صلحت صلحت باقي الأعمال، فمن أقامها فقد أقام الدين ومن ضيعها فقد ضيع الدين.

"وبعد استقرار العقيدة في القلب والنفس واستشعار رقابة الله هاهو لقمان يوصي ولده بالعبادة موجها إياه إلى أم العبادات وهي الصلاة، يأمره ليؤديها محافظا عليها فهي أعظم العبادات مكانة عند الله، وبها يصلح العمل أو يفسد وهي أكثر العبادات اتساعا فتشمل الدعاء والذكر

[391] الفرقان: الآية 44.

والقراءة والخشية والقنوت والامتناع عن الشهوات وهي زكاة الجسد، وفيها التوجه إلى الكعبة وفيها شكر الله، وأداء الأمانة وهي أيسر العبادات لا تسقط عن الإنسان إلا بسقوط عقله أو بانقطاع حياته"[392].

ولما كانت الصلاة دليلا قاطعا على إيمان العبد فقد سماها الله عز وجل إيمانا فقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[393]. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»[394].

"والصلاة بالذات من أقوى البراهين وأعظمها على صحة الإسلام فمن ترك الصلاة منكرا لوجوبها فهو كافر بلا خلاف، ومن تركها كسلا فهو فاسق يستتاب ثلاثة أيام فإن لم يصل قتل، وقيل هو كافر كالذي أنكر وجوبها والأصح أنه فاسق وليس بكافر.

والصلاة عبادة من أعظم العبادات وقربة من أعظم القربات، فهي صلة وثيقة بين العبد وربه يعبر فيها عن خضوعه لعظمته وكمال عبوديته وافتقاره إليه في سره وعلانيته"[395].

ولعل هذا هو السر في إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم للآباء أن يأمروا أبناءهم لإقامة الصلاة ويعلموهم أحكامها. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مروا أبناءكم
بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[396].

لكن للأسف الشديد بعض الآباء ــ هداهم الله عز وجل ــ لم يستجيبوا لهذا التوجيه النبوي فلم يأمروا أبناءهم بالصلاة، ولم يعلموهم أحكام الصلاة، ولم يرشدوهم إلى منزلتها ومكانتها، ولا إلى ثمراتها، وهذا مما انعكس على كثير من شبابنا. حيث كانوا تاركين للصلاة أو مضيعين لها أو متهاونين بأدائها. وقد قال الله عز وجل متوعدا لمن ضيع الصلاة أو تهاون بها: ﴿فَخَلَفَ

---

[392] حامد أحمد الطاهر البيسوني، **صحيح قصص القرآن**، ص399.

[393] البقرة: من الآية 142.

[394] سبق تخريجه، ص43.

[395] محمد بكر إسماعيل، **وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع**، دار المنار، ط01 (1419هـ-1999م)، ص94.

[396] **المستدرك على الصحيحين**، ج1، باب في مواقيت الصلاة، ص311، حديث رقم 708. **سنن أبي داوود**، ج2، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ص88، حديث رقم 418. **مسند أحمد**، ج2، ص187، حديث عبد الله بن عمرو، حديث رقم 6927.

مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[397]. وقال أيضا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾[398].

إذن علينا أن نحافظ على الصلاة في أنفسنا ونأمر بها أولادنا، لأنها هي الإيمان في أسمى صوره، وهي العبادة في أرقى معانيها وهي الصلة الوثيقة بين العبد وخالقه وهي الملاذ لكل عبد منيب يعتمد على ربه في كل شيء، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر.

2. 3. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لا يكتمل صلاح الإنسان بالاقتصار على نفسه فقط بأن يكون هو صالحا في نفسه بل لا بد أن يدعو إلى الصلاح والخير. يقول المراغي: "وبعد أن أمره ــ لقمان ــ بتكميل نفسه توفية لحق الله عليه عطف على ذلك تكميلة لغيره فقال: ﴿وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾. أي وأمر غيرك بتهذيب نفسه قدر استطاعتك تزكية لها وسعيا إلى الفلاح كما قال تعالى: ﴿قَدَ اَفْلَحَ مَن زَكَّيٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيٰهَا﴾[399،400].

وقد ورد في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آيات بينات وأحاديث نبوية. يقول الله عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ ءَامَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَاوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[401].

ويقول أيضا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ ءَامَّةٍ اخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[402]. فأثبت الله عز وجل الخيرية لهذه الأمة إن هي قامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال صلى الله عليه وسلم محذرا ومتوعدا أمته من التخلي بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم»[403].

---

[397] مريم: الآية 59.

[398] الماعون: الآيتين 4و5.

[399] الشمس: الآيتين 9و10.

[400] المراغي، **تفسير المراغي**، ج21/19، ص81.

[401] آل عمران: الآية 104.

[402] آل عمران: من الآية110.

واتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[404] انطلاقا من الآية القرآنية والأحاديث النبوية[405].

"ولما كانت هذه الدار سفينة لسفر من فيها إلى ربهم، وكانت المعاصي مفسدة لها، وكان فساد السفينة مغرقاً لكل من فيها: من أفسدها ومن أهمل المفسد ولم يأخذ على يده، وكان الأمر بالمعروف نهياً عن المنكر، صرح به فقال: ﴿وَانْهَ﴾ أي كل من قدرت على نهيه ﴿عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ حباً لأخيك ما تحب لنفسك، تحقيقاً لنصيحتك، وتكميلاً لعبادتك، لأنه ما عبد الله أحد ترك غيره يتعبد لغيره"[406].

والأمة اليوم لما تخلت عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصابها الذل والهوان وعم فيها الفساد والمعاصي، وأصيبت بالهلاك والشقاء وعدم استجابة الدعاء. كما تعرض نفسها للعنة والطرد من رحمة الله.

إن المجتمع الذي يقام فيه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهله تتنزل عليهم الرحمات، مما يجعلهم سالمين من الإنحراف الفكري والأخلاقي ... بالإضافة إلى صيانة الأخوة الإسلامية، الأمر الذي يجعلهم كالجسد الواحد متوادين، متعاطفين، متراحمين، أقوياء لا يخشون في الله لومة لائم.

فالواجب على الأمة أن تعود إلى رشدها، وإلى سنة نبيها صلى الله عليه وسلم، والواجب أن تغرس في أبنائها وبناتها القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

[403] **سنن أبي داوود**، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج04، ص213، حديث رقم 3474. **سنن الترمذي**، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج04، ص268، حديث رقم 2095. **مسند أحمد**، ج05، ص388، حديث حذيفة، حديث رقم 22212. **سنن البيهقي الكبرى**، باب ما يستدل به على أن القضاء ... ، ج10، ص93، حديث رقم 20691. الطبراني، **المعجم الكبير**، ج10، ص146، حديث عبد الله بن مسعود، حديث رقم 10267.

[404] "واختلفوا في الوجوب هل هو وجوب عيني أو كفائي. فالجمهور على أنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين". ينظر: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، **أحكام القرآن**، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار إحياء التراث العربي، سنة 1405)، ج02، ص315.

[405] ثمة قواعد يجب توفرها في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وهي: العلم بالمعروف الذي يدعو إليه والمنكر الذي ينهى عنه، والرفق، والصبر والنظر إلى المصالح والمفاسد والاستطاعة. باختصار ينظر: أحمد فريد، **مواقف إيمانية**، ط01 (الإسكندرية، الدار السلفية، سنة1423هـ- 2002م)، ص125.

[406] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6، ص19.

4. التحلي بخلق الصبر: لما كان إيصال الخير إلى الآخرين لا يمكن إيصاله إلا بعد جهد ومشقة وتعب وعناء أمره بالتحلي بخلق الصبر الذي أثنى الله على المتخلقين به، وبين عاقبة الصابرين. فقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[407]. وقال أيضا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[408]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾[409].

كما جعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين. فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[410].

وعلق سبحانه الفلاح والفوز بالصبر والتقوى. فقال جل علاه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[411].

كما أخبر سبحانه عن محبته للصابرين؛ فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[412].

والمصطفى صلوات الله وسلامه عليه حث على التحلي بخلق الصبر لما له من أثر عظيم على سلوك الإنسان وحياته، وهو –صلى الله عليه وسلم– خير نموذج في التخلق بخلق الصبر وهو يبلغ دعوة ربه، فقد رماه مشركو العرب بالضلال، والكذب، والبهتان، والسحر، والكهانة. كما آذوه بالحجارة، والنبال، وجَعْلِ التراب على رأسه الشريف وسلى الجزور على جسمه الطيب، كما جعلوا في طريقه الحجر والحطب ... ولكن كل هذا لم يثن من عزمه، بل بقي صابرا محتسبا لله عز وجل وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر»[413].

---

[407] البقرة: من الآية154 والآيتين 156/155.

[408] الزمر: من الآية 11.

[409] النحل: من الآية 126.

[410] السجدة: الآية 24.

[411] آل عمران: الآية 200.

[412] آل عمران: من الآية 146.

[413] **صحيح البخاري**، باب الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم 1376.**صحيح مسلم**، باب فضل التعفف والصبر، حديث رقم 1745، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فما أحوج الأمة اليوم إلى التحلي بفضيلة الصبر، وما أحوج الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يتصفوا بهذا الخلق العالي، إذ بدونه لا يمكن تعميم الخير للآخرين، فيعم الفساد، ويشل المجتمع، ولعل هذا هو السر في إعطاء لقمان هذه النصيحة لابنه بعد أن أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث أن الناس اليوم يرون المتمسك بدينه الداعي إليه كالقابض على الجمر، مما يجعلهم يرمونه بالأقاويل، والأكاذيب، والأباطيل. فالمؤمن الداعية إلى توحيد الله عز وجل في حاجة إلى العمل بهذه النصيحة الثمينة التي يتوقف عليها الفوز والفلاح والنجاة من عذاب الله سبحانه.

"﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ أي اصبر على ما أصابك من مكروه بسبب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووطن نفسك على مواجهة عقبات الطريق.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي إن ذلك من الأمور المقطوع بها الواجبة في الله، أو إن ذلك من الأمور المقطوع بها الواجبة في دين الله، أو إن ذلك من الأمور التي يحتاج القائمون بها إلى عزم وحزم وجد فلا ينهض بها إلا أصحاب الهمم العالية كما قيل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم *** وتأتي على قدر الكرام المكارم.

وبهذا التوجيه الكريم عمل لقمان على رفع همة ولده وشد عزمه ليتمكن من تحمل تكاليف الحياة وهو في مقتبل عمره ويواكب حياته"[414].

أقسام الصبر: ينقسم الصبر باعتبارات عدة إلى أقسام أكتفي بذكر ما تستدعي الضرورة ذكره.

ينقسم باعتبار متعلقه إلى ثلاثة أقسام، صبر على أداء الطاعة، وصبر عن ترك المهيات، وصبر عن المصائب. "الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها"[415].

• إن أداء ما أمر الله به من الطاعات يحتاج إلى صبر ومجاهدة، ففي الصلاة مثلا إتعاب للبدن وحرمان من النوم، وفي الصوم مشقة الجوع والعطش وفي الجهاد تعرض مباشرللخطر بالقتل والجراح، وهذه المشاق لا تلائم رغبة النفس، لأنها ميالة إلى الراحة والكسل، حريصة على

---

[414] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن**، ج31، ص24-25.

[415] ابن قيم الجوزية، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ط03 (السعودية، مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة، سنة 1409هـ-1989م)، ص28.

الحياة والبقاء، فهي بحاجة إلى الصبر الذي تستطيع به الثبات على الطاعة، كما أنها بحاجة إلى الإيمان الذي تدرك به حسن عاقبة الطاعة.

والصبر على طاعة الله ثلاثة أقسام: صبر قبل فعل الطاعة، وهو الصبر على إخلاص النية لله عز وجل وترك الرياء فيها.

وصبر في أثناء أداء الطاعة، بأن يؤديها على الوجه المشروع.

وصبر بعد أداء الطاعة، بأن يصبر على كتمانها وعدم إفشائها طلبا للرياء والسمعة مما يبطلها كإتْباع الصدقة بالمن والأذى.

• وأما الصبر عن معصية الله، فمن المعلوم أن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فحبسُها عن المعصية أمر ضروري، خصوصا في زمننا الذي كثرت فيه الفتن بشتى أنواعها، مما جعل كثيرا من شبابنا ينحرفون عن الجادة، ويسيرون خلف الشهوات والمشتهيات.

• والقسم الثالث هو الصبر على أداء أقدار الله المؤلمة مما يجري على العبد المصائب، حيث أن الإنسان معرض في هذه الحياة إلى كوارث تصيبه في نفسه كالمرض والفقر، أو في ماله كالضياع والسرقة ... أو في أهله أو عياله، أو أمنه وما إلى ذلك ولا شك أن هذا إن لم يُقابل بصبر وإيمان فإنه يجر إلى تمكن اليأس من القلب وإلى الجزع والقلق.

هذه المصائب هي ابتلاءات للإنسان، يتميز بها الصادق من الكاذب. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَالْجُوعِ ... هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[416].

• وينقسم باعتبار آخر من حيث الأحكام المتعلقة به: فليس كل صبر في حكم واحد فقد يكون واجبا، وقد يكون مندوبا، وقد يكون محرما، وقد يكون مكروها وقد يكون مباحا.

"وهو ينقسم بهذا الإعتبار إلى واجب ومندوب، ومحظور ومكروه، ومباح"[417].

فمن خلال التقسيمات السابقة يتضح أن الإنسان بحاجة إلى الصبر، وأنه لا يمكنه بأية حال الإستغناء عنه.

درجات الصبر: قد يكون الصبر صادرا عن إرادة وعزيمة قوية، وقد يكون عن ضرورة فقط، فالأول باختيار الإنسان والثاني اضطرارا منه. "اختياري واضطراري، والاختياري أكمل من الإضطراري يشترك فيه الناس، ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الإختياري ... فإن قيل أي

---

[416] البقرة: الآيات 154/155/156.

[417] ابن قيم الجوزية، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ص31.

أنواع الصبر الثلاثة أكمل؟ الصبر على المأمور؟، أم الصبر على المحظور؟ أم الصبر على المقدور؟ قيل: الصبر المتعلق بالتكليف، وهو الأمر والنهي أفضل من الصبر على مجرد القدر، فإن هذا الصبر يأتي به البر الفاجر، والمؤمن والكافر، فلا بد لكل أحد من الصبر على القدر إختيارا واضطرارا"[418].

فالأول والثاني صبر على ماهو كسب للعبد، والثالث صبر على ما ليس بكسب.

وثمة عوامل مساعدة على الثبات والصبر منها:

– الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

– طمع المؤمن في الجزاء الإلهي المتمثل في الأجر الجزيل.

– تذكر نعم الله والتأمل فيها، فحيثما استحضرها في ذهنه، هانت عليه المصيبة.

وتعود هذه العوامل في مجملها إلى العلم والعمل، فبالعلم يدرك الإنسان عاقبة الصابرين، وبالعمل تفعيلا لإرادته وعزيمته.

ثمرات الصبر:

من تحلى بخلق الصبر فاز بثمار يانعة تتمثل فيما يلي:

– الرضا: من أعظم ثمرات الصبر هو رضا الله سبحانه وهو من أعظم ما يسأله أهل الجنة من ربهم.

– هو طريق النصر والظفر، فلا يمكن للإنسان أن ينتصر على نفسه ويقهرها إلا بالصبر، ولا يمكن له أن ينتصر على أعدائه إلا بالصبر.

– الصبر مفتاح الفرج، فقد يقع الإنسان في عوائق ومعضلات تعوقه عن تحقيق مراده من علم مثلا، أو تحقيق نجاح في مساره الدعوي، ولكن كل ذلك بالصبر يدركه لا محالة.

– الشعور بالسعادة والطمأنينة، فبالعلم يدرك مآل الصابرين، وبفعل الطاعات، والبعد عن المحرمات ينال حلاوة الإيمان وطعمه ما يجعله يعيش سعيدا مطمئنا.

– تميز الطيب من الخبيث: فبالصبر على الابتلاء تنكشف حقيقة النفوس، فالنفوس الكاذبة القلقة ما إن ينزل عليها البلاء إلا وخيم اليأس عليها مما جعل بعض شبابنا يلجأ إلى وجود مخرج ولو في المحظورات كالسرقة والغضب، وتعاطي المسكرات والمخدرات، ولربما إلى الإنتحار والتخلص من الحياة!

---

[418] ابن قيم الجوزية، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ص33-36.

– نيل محبة الله ومعيته، فالله يحب كل من صبر من أجله، ويحوطه بعنايته وتأييده، وفي القرآن ما يدل على محبة الله للصابرين، وما يدل على إثبات معية الله للصابرين.

– النعم الأخروي: المتمثل في مضاعفة الأجر ونيل مغفرة الله عز وجل، ثم الإكرام بالدخول إلى جنة النعيم. قال تعالى: ﴿إِلاَّ ٱلذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ٱوْلَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[419]. وقال تعالى: ﴿وَجَزِيٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[420].

– الصلاة من المولى سبحانه والرحمة والهداية للصابرين، فقد جمع الله للصابرين هذه الثلاثة في آية واحدة لم يجمعها لغيرهم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٤﴾ ٱلذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ ٱوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَٱوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[421].

وفي الختام نلحظ دقة حكمة لقمان في تقديم هذه التكاليف الشرعية لابنه، حيث بدأها بالصلاة وختمها بالصبر لما لها من سبيل إلى الاستعانة على الطاعات. قال المراغي في تفسيره: "وقد بدأ هذه الوصية بالصلاة وختمها بالصبر لأنهما عمادا للاستعانة إلى رضوان الله كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾[422]"[423].

كما نلحظ أنه أوصاه بأمهات العبادات إذ العمل بالأمهات يستدعي العمل بالفروع وهذا يدل على حكمته الباهرة.

كما نلحظ أسلوب الإقناع والتعليل حتى يخاطب العقول فتثبت وتعمل بهذه النصائح.

وأخيرا علينا أن نقيم الصلاة ونأمر أبناءنا وبناتنا اقتداء بلقمان الحكيم وعملا بما أمر به رسول الهدى. كما علينا أن نقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى نكون من خير أمة أخرجت للناس، وكل ما تقدم يحتاج منا إلى صبر وتضحية وإلا بقينا في جهالة وضلالة، وهذا ما تنفر منه العقول السليمة فضلا عن العقول المؤمنة بالله عز وجل التي لا تشرك بالله شيئا.

---

[419] هود: الآية 11.

[420] الإنسان: الآية 12.

[421] البقرة: الآيات 154/155/156.

[422] البقرة: من الآية 44.

[423] المراغي، **تفسير المراغي**، ج19، ص81.

المطلب الرابع: الوصية الرابعة: النهي عن الأخلاق السيئة المذمومة.

لما أمر لقمان ابنه بإصلاح علاقته مع الله عز وجل، وإصلاح علاقته مع الآخرين وحب الخير لهم وبغض الشر عنهم، نهاه بعد ذلك عن الاستعلاء والترفع عن الناس ذلك لأن حسن علاقته مع الله عز وجل لا تتم إلا بالتخلي عن الصفات المذمومة كالكبر والعجب وغيرهما كما أن نجاحه مع الآخرين متوقف على التخلي عن الصفات الرذيلة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة. وقد بين سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن سبب نجاحه في دعوته هو اتصافه بالأخلاق العالية التي رباه عليها فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلاَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[424].

وقد نهى الحكيم لقمان ابنه عن الصفات الرذيلة الأساسية التي تتولد عنها الصفات الأخرى المذمومة مما يدل مرة أخرى على مدى حكمته ومدى فضل الله على عبده. ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلاَرْضِ مَرَحاً إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلاَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

وهذه الأخلاق السيئة:

1. الاتصاف بالكبر[425]: حب الإنسان لنفسه غريزة فيه وذلك يحمله على الإعجاب والفرح بها خصوصا إذا توفرت دواعيه.

يقول ابن كثير في تفسيره في قوله تعالى: "﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم كما جاء في الحديث: «ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة والمخيلة لا يحبها الله»[426].

---

[424] آل عمران: من الآية 159.

[425] الكلام عن الكبر قد تقدم معنا في الفصل الأول ينظر في ص57.

[426] **صحيح ابن حبان**، ج2، باب الجار، ص281، حديث رقم 522. **سنن أبي داوود**، ج4، باب ما جاء في إسبال الإزار، ص98، حديث رقم 4086. **مسند أحمد**، ج5، باب حديث رجل من قومه، ص 448، حديث رقم 17068. **السنن الكبرى للنسائي**، ج5، كتاب الزينة، ص486، حديث رقم 9692.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: "﴿وَلاَ تُصَـٰعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول لا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وكذا روى العوفي وعكرمة عنه. وقال مالك عن زيد بن أسلم ﴿وَلاَ تُصَـٰعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تتكلم وأنت معرض"[427]. "﴿وَلاَ تُصَـٰعِرْ﴾ وفي الحديث: «يأتي على الناس زمان ليس فيهم إلا أصعر أو أبتر»[428] والأصعر[429] المعرض بوجهه كبرا وفي الحديث: «كل صعار ملعون»[430] أي كل ذي أبهة"[431].

والكبر من أعظم الآفات التي تجعل صاحبها شقيا في الدنيا والآخرة. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[432].

ويقول أيضا: «بينما رجل يتبختر في مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[433].

---

[427] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مجلد4، ص474-475.

[428] أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بدون رقم الطبعة (بيروت، المكتبة العلمية، سنة 1399هـ-1987م)، ج3، باب الصاد مع العين، ص55.

[429] قال الطاهر بن عاشور: "**الأصعر** لغة ﴿وَلاَ تُصَـٰعِرْ﴾ يقال صاعر وصعر ، إذا أمال عنقه إلى جانب ليعرض عن جانب آخر، وهو مشتق من الصغر بالتحريك لداء يصيب البعير فيلوي منه عنقه فكأنه صيغ له صيغة تكلف بمعنى تكلف إظهار الصعر وهو تمثيل للاحتقار لأن مصاعرة الخد هيئة المحتقر المستخف في غالب الأحوال. قال عمرو بن حني التغلبي يخاطب بعض ملوكهم:

وكنا إذا الجبار صعر خده *** أقمنا له من ميله فتقوم. والمعنى: لا تحتقر الناس فالنهي عن الإعراض عنهم احتقارا لهم لا عن خصوص مصاعرة الخد".

ينظر الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد21، ص166.

المرح: يقول الطاهر بن عاشور: "هو تمثيل كنائي عن النهي عن التكبر والتفاخر لا عن خصوص المشي في حال المرح فيشمل الفخر عليهم بالكلام وغيره.

والمرح: فرط النشاط من فرح وازدهاء، ويظهر ذلك في المشي تبخترا واختيالا فلذلك يسمى ذلك المشي مرحا كما في الآية". الطاهر بن عاشور،**التحرير والتنوير**، ص166-167.

مختال: والمختال اسم فاعل من اختال بوزن الافتعال من فعل خال إذا كان ذا خيلاء الكبر والازدهار فصيغة الافتعال فيه للمبالغة في الوصف. الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ص167.

=الفخور: شديد الفخر ... ومعنى الآية أن لا يرضى عن أحد من المختالين الفخورين. الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ص167.

[430] أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج03، باب الصاد مع العين، مادة صعر، ص55.

[431] المراغي، **تفسير المراغي**، ج21/19، ص81.

[432] **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص54، حديث رقم91/149.

وجاء في صحيح مسلم: (أكل رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال صلى الله عليه وسلم: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع فقال صلى الله عليه وسلم: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه بعد)[434].

"والصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر-حركة الكبر والأوزار وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار!-.

والمشي في الأرض مرحا هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات يتنفس في مشية الخيلاء! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ومع النهي عن مشية المرح بيان للمشية المعتدلة القاصدة"[435].

القصد والاعتدال والتوسط من صفات المتواضعين.

"﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ والقصد[436] هنا من الاقتصاد وعدم الإسراف وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والتثني والاختيال، ومن القصد كذلك لأن المشية القاصدة إلى هدف، لا تتلكأ ولا تتخايل، ولا تتبختر إنما نمضي لقصدها في بساطة وانطلاق.

والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق!

والأسلوب القرآني يرذل هذا الفعل ويقبحه في صورة منفردة محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾. فيرتسم مشهد مضحك يدعو إلى الهزء والسخرية مع النفور والبشاعة، ولا يكاد ذو حس يتصور هذا المشهد المضحك من وراء التعبير المبدع ثم يحاول شيئا من صوت هذا الحمير"[437].

---

[433] **صحيح مسلم**، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر، ص2088/831.

[434] أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام، ص54، حديث رقم 91/149.

[435] سيد قطب، في **ظلال القرآن**، ج22/21 ص2790.

[436] القصد: الوسط العدل بين الطرفين، فالقصد في المشي هو أن يكون بين طرف التبختر وطرف الدبيب ويقال: قصد في مشـــيه، فمعنى﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ ارتكب القصد. الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص168.

[437] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج22/21، ص2790.

وقد فهم السلف الصالح هذا القصد وهذا الاعتدال فكانوا يعملون به ويحثون عليه. فها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تنظر إلى رجل كاد يموت تخافثا فقالت: (ما لهذا؟) فقيل: (إنه من القراء ــ الفقهاء العاملين بكتاب الله ــ) قالت: (كان عمر سيد القراء وكان إذا مشي أسرع وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع)[438].

وهاهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث رأى رجلا متهاونا فقال له: (لا تمت علينا ديننا أماتك الله) ورأى رجلا مطأطئا رأسه فقال له: (ارفع رأسك فإن الإسلام ليس بمريض)[439].

ويزيد عبد الحميد ابن باديس الأمر مزيدا من التوضيح والتبيين بقوله: "ولما كانت هذه العلة ناشئة عن علة العجب أعقب الله تعالى بيان الداء الذي نهى عنه بذكر الدواء الذي يقلعه من أصله فقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[440]. فذكر الإنسان بضعفه بين مخلوقين عظيمين من فوقه ومن تحته، فإذا ضرب برجليه الأرض في مرحه فهو لا يستطيع خرقها وإذا تطاول بعنقه في اختيال فهو لن يبلغ طول الجبال، فقد أحاط به العجز من ناحيتيه، وذكر الإنسان لضعفه وعجزه أنجح دواء لمرض إعجابه بنفسه.

نعم الإنسان أعظم من الأرض والجبال بعقله، ولكنه لو سار على نور عقله لما مشى في الأرض مرحا، لأن عقله يبصره بعيوب نفسه، ونقائص بشريته فلا يدعه يعجب بها فلا يكون من المرحين، فما مرح إلا وهو محروم من نور العقل مفتون بمادة الجسم فذكر بضعف هذا الجسم وصغارته"[441].

القصد: "الوسط العدل بين الطرفين، فالقصد في المشي هو أن يكون بين طرف التبختر وطرف الدبيب ويقال: قصد في مشيه، فمعنى﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ ارتكب القصد". الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ص168.

[438] أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج04، باب الميم مع الواو، ص908.

[439] أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج04، باب الميم مع الواو، ص908.

[440] الإسراء: من الآية 37.

[441] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير**، ط01 (وزارة الشؤون الدينية، سنة1402هـ-1982م)، ص144.

ويكون الاعتدال في الصوت[442] بحيث لا يرفعه حتى لا يشبه صوت الحمير، ولا يخفضه حتى لا يشبه صوت المتماوتين ولذلك أمر لقمان ابنه بهذا الخلق العظيم ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

قال ابن كثير في تفسيره: "أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ وقال مجاهد وغير واحد إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه ومع هذا هو بغيض إلى الله. وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم .. وقال النسائي عند تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر عن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا»[443،444].

وقد بين الألوسي في تفسيره الحكمة من الأمر بغض الصوت فقال: "والحكمة في غض الصوت المأمور به أنه أوفر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه"[445].

ويضيف الألوسي مزيدا من التوضيح في الآية: "قال تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ رد سبحانه به على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت ورفعه مع أن ذلك يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرق الغشاء الذي هو داخل الأذن وبين عز وجل أن مثلهم في رفع أصواتهم مثل الحمير، وأن مثل أصواتهم التي يرفعونها مثل نهاقها في الشدة مع االقبح الموحش"[446].

---

[442] قال الطاهر بن عاشور: "الغض: نقص قوة استعمال الشيء. يقال غض بصره إذا خفض نظره و لم يحدق ... فخفض الصوت جعله دون الجهر". الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد 8، ج 21، ص 168.

وجيء بـ ﴿مِن﴾ الدالة على التبعيض لإفادة أنه بغض بعضه أي بعض جهره أي ينقص من جهورته ولكنه لا يبلغ به إلى التخافت والسرار" الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص168.

[443] **صحيح البخاري**، كتاب بدأ الخلق، ج2، باب خبير ما للمسلم غنم يتبع بها شغف الجبال، ص807، حديث رقم 3303. **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الدعاء، ص1048، حديث رقم 2729.

[444] ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، مجلد 04، ص475.

[445] الألوسي، **روح المعاني**، ج22/21، ص91.

[446] المصدر السابق، ص92.

وفي ختام هذا المطلب أتوصل إلى أنه يجب على الآباء أن يربوا أولادهم على خلق التواضع وينهوهم عن التصعير والعجب والمرح ورفع الصوت لأنها أخلاق بغيضة إلى الله عز وجل ومنفرة للناس. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»[447].

وفي ختام هذه الوصايا النافعة أخلص إلى أن الإنسان ينبغي له أن يصلح علاقته مع الله عز وجل، يوحده ولا يشرك به شيئا ويثبت له سبحانه صفات الكمال كالقدرة والإرادة والعلم وينفي عنه صفات النقص كالعجز والإكراه والجهل، كما على الإنسان أن يلتزم بالتكاليف الشرعية كأداء الصلاة والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحلي بخلق الصبر كما عليه أن يجتنب كل الأخلاق السيئة.

ولا يكفي الإنسان أن يكون هو صالحا في نفسه بل لا بد من العمل على إصلاح الآخرين والدعوة إلى العمل الصالح وأن تكون بحكمة ورفق وأسلوب جميل يميل القلوب ويقنع العقول ويبعث على العمل.

إنها وصايا لو سار المربون على نهجها لسعدوا في أنفسهم ولأسعدوا أولادهم وغيرهم ولأدوا واجبهم أمام الله عز وجل ونالوا الدرجات العالية.

المبحث الثالث: الحكمة تستوجب طاعة الوالدين واتباع سبيل المؤمنين

أوصى الله عز وجل بالوالدين إحسانا وأمر ببرهما وطاعتهما والإحسان إليهما حتى يعرف الأبناء والبنات فضلهما ويعرفوا معنى الشكر لله سبحانه والشكر للوالدين وأكد سبحانه على خصوصية الأم وما تعانيه من حمل وطلق وولادة ورضاع وتربية يستحق إحسانا وطاعة وبين سبحانه أن طاعتهما فرض إذا لم تكن في معصية الخالق كالأمر بالإشراك بالله وغير ذلك من المعاصي وإلا فلا طاعة لهما لأن حق الخالق سبحانه مقدم على حق المخلوق. وختم سبحانه

[447] **صحيح مسلم**، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار،ص 1098، حديث رقم2865/64.

هذه الآيات بالحث على اتباع سبيل المؤمنين الحريصين على طاعة الله سبحانه وأن نهاية حياتكم إلي وآخر مطافكم لدي، وعلم أعمالكم عندي وسأجزي بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا. فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[448].

تنبيه: هذه الآيات كثير من المفسرين يرى أنها اعتراض بين وصايا لقمان وأنها من كلام الحكيم الخبير وهناك من يرى أنها من كلام لقمان.

قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ هاتان الآيتان اعتراض بين أثناء وصية لقمان. وقيل: إن هذا مما أوصى به لقمان ابنه؛ أخبر الله به عنه؛ أي قال لقمان لابنه: لا تشرك بالله ولا تطع في الشرك والديك، فإن الله وصى بهما في طاعتهما مما لا يكون شركا ومعصية لله تعالى"[449].

"وقد جاء في ثنايا هذا الاعتراض اعتراض آخر، هو وصية الله للإنسان بوالديه أي يبالغ في العطف والإحسان إليهما لأنهما سبب وجوده في هذه الدنيا"[450].

وقد جاء الطاهر بن عاشور بكلام جميل يشير إلى سبب الاختلاف في الآيتين فيقول :"إذا درجنا على أن لقمان لم يكن نبيا مبلغا عن الله وإنما كان حكيما مرشدا كان هذا الكلام اعتراضا بين كلامي لقمان ... فذكر الله هذا لتأكيد ما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بتعميم النهي في الأشخاص والأحوال لئلا يتوهم متوهم أن النهي خاص بابن لقمان أو ببعض الأحوال فحكى الله أن الله أوصى بذلك كل إنسان وأن لا هوادة فيه ولو في أحرج الأحوال وهي حال مجاهدة الوالدين أولادهم على الإشراك.

---

[448] هذه الآيات كما تقدم في سبب النزول أن الأولى نزلت في سعد ابن أبي وقاص وأن الثانية ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ نزلت في أبي بكر الصديق.

[449] القرطبي، **تفسير القرطبي**، مجلد 7، ص514.

[450] إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان**، ص23.

وأحسن من هذه المناسبة أن تجعل مناسبة هذا الكلام أنه لما حكي وصاية لقمان لابنه بما هو شكر الله بتنزيهه عن الشرك في الإلهية بين الله أنه تعالى أسبق منة على عباده إذ أوصى الأبناء ببر الآباء فدخل في العموم المنة على لقمان جزاء على رعيه لحق الله في ابتداء موعظة ابنه فالله أسبق بالإحسان إلى الذين أحسنوا برعي حقه. ويقوي هذا التفسير اقتران شكر الله وشكر الوالدين في الأمر.

وإذا درجنا على أن لقمان كان نبيا فهذا الكلام مما أبلغه لقمان لابنه وهو مما أوتيه من الوحي"[451].

وأكثر المفسرين على أن لقمان كان رجلا حكيما وليس نبيا قال القرطبي: "... وعلى هذا جمهور أهل التأويل إنه كان وليا ولم يكن نبيا. وقال بنبوته عكرمة والشعبي؛ وعلى هذا تكون الحكمة النبوة. والصواب أنه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى"[452].

إذن وبناء على ما ذهب إليه أكثر المفسرين أن لقمان كان رجلا حكيما يترجح لدي أن الآيتين اعتراض بين وصايا لقمان وأنها من كلام الله عز وجل والله أعلم.

ونظرا لهذا الاعتراض اخترت أن أخصها بمبحث خاص خارج عن وصايا لقمان حتى يتضح أنها ليست من وصاياه إنما هي من كلام الحكيم سبحانه.

المطلب الأول: الأمر بطاعة الوالدين عموما.

أوصى الله عز وجل في هذه السورة وفي كثير من آي القرآن الكريم بطاعة الوالدين والإحسان إليهما والعطف عليهما تأكيدا لشأنهما.

أمر الله عز وجل البنين والبنات بطاعة الوالدين وقرن سبحانه شكرهما بشكره فقال سبحانه: ﴿أَنُ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾. وقرن سبحانه طاعتهما والإحسان إليهما بطاعته وتوحيده وعدم الإشراك به فقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[453].

---

[451] الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، مجلد8، ج 21، ص102.

[452] القرطبي، **تفسير القرطبي**، مجلد 7، ص512.

[453] النساء: من الآية 36.

كما أمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بطاعتهما والإحسان إليهما فقال عليه الصلاة والسلام: «رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين»[454].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (جاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد معه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أحي والداك؟» قال: نعم قال: «ففيهما فجاهد»)[455].

فرسولنا الكريم فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد لأن برهما من أجل العبادات.

فالإحسان إلى الوالدين يشمل كل معاني الطاعة الصادقة والتفاني في الخدمة بحب وإخلاص، ويكون ذلك بكل ما يدخل عليهما السرور والغبطة فيحصل به رضاهما وتقر بذلك عينهما.

ويشمل ذلك الإحسان بالقول والفعل بحسن الكلام وبذل الإنفاق وخفض الجناح والتودد والتحبب والتزام الأدب والاحترام، والحياء منهما، والبعد عن عقوقهما وكل ما قد يسبب إزعاجهما والدعاء لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد موتهما. قال القرطبي: "من البر بهما والإحسان إليهما ألا يتعرض لسبهما ولا يعقهما، فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف، وبذلك وردت السنة الثابتة، ففي صحيح مسلم: (عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟

قال: «نعم يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه»)[456] ..."[457].

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عقوقهما ومخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما من أكبر الكبائر فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور»[458].

---

[454] **صحيح ابن حبان**، باب حق الوالدين، ج1،ص160، حديث رقم 499. **سنن الترمذي**، كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضى الوالدين، ج04، ص167، حديث رقم 1821. **المستدرك على الصحيحين**، كتاب البر والصلة، ج06، ص128، حديث رقم 7243، وقال حديث صحيح.

[455] **صحيح البخاري**، ج4، كتاب الأدب، باب الجهاد بإذن الوالدين، ص1516، حديث رقم 5972. **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين، ص989، حديث رقم2549/5.

[456] **صحيح البخاري**، ج4، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، ص1516، حديث رقم 5973، من حديث ابن عمر بلفظ: «يلعن الرجل والديه». **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر، ص53، حديث رقم 90/146.

[457] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج10، ص238.

[458] سبق تخريجه، ص94.

وما أحوج الأمة اليوم إلى القيام بواجب الوالدين حيث ظهر العقوق بجميع صوره وأشكاله، وأكثره مرارة إخراجهما إلى ديار العجزة للتخلص من مطالبهما، ولربما إرضاء للزوجة، أو خشية الفقر. يقول محمد الغزالي: "والغريب أن الحضارة العالمية المعاصرة لا تكترث للأبوين وتودعهما في شيخوختهما بعض الملا جيء حتى يقضيا مستوحشين، وليس ذلك بكثير على حضارة تكره ذكر الله وتضيق بحقوقه!"[459]

فالبار بوالديه يكون كالخادم لهما يعمل بأمرهما ويسمع لهما ويتفانى في خدمتهما ولا يتأخر عن فعل أي شيء فيه سعادتهما وسرورهما، ذلك لأنهما أسديا من الخدمة ما لا يستطيع الإنسان تقديم الجزاء عليه بالمثل فحقهما أكثر من أن يرد. (رأى ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ رجلا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال: يا بن عمر أتراني جازيتها؟ قال: ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرا)[460].

وطاعة الوالدين لا تقتصر على حياتهما بل حتى بعد مماتهما وهذا المعنى يؤكده ويقرره حديث المصطفى الذي يرويه أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما»)[461].

وأختم بذكر ثمرة بر الوالدين مما يساعد الإنسان على إحسانه لوالديه، ومن هذه الثمار ما يلي:

- البركة في العمر والرزق: من حفظ الله بطاعته حفظه الله برعايته وعنايته، فيبارك الله له في العمر حيث يغتنم جميع أوقاته فيما ينفعه في الدارين، ويتحصل على الخير الكثير الذي قد لا يدركه غيره إلا من كان مثله، بالإضافة إلى أن أبواب الرزق تفتح أمامه، فيتهيأله من أسباب

---

[459] محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن**، ج2، ص288.

[460] البخاري، **الأدب المفرد**، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار البشائر الإسلامية، سنة 1409هـ-1989م)، باب جزاء الوالدين، ج1، ص18، حديث رقم 11.

[461] **سنن أبي داوود**، باب بر الوالدين، ج04، ص500، حديث رقم 5144. **المستدرك على الصحيحين**، كتاب البر والصلة، ج06، ص132، حديث رقم 7260، وقال هذا حديث صحيح الإسناد. **صحيح ابن حبان**، باب ذكر وصف بر الوالدين، ج2، ص162، حديث رقم 418. **سنن ابن ماجه**، ج2، باب صل من كان أبوك يصل، ج02، ص1208. مسند أحمد، حديث أبي أسيد الساعدي، ج03، ص497، حديث رقم 16484.

الكسب ووسائله ما لا يدخل تحت الحصر من الحفظ من أسباب الآفات وموجبات التلف والهلكة والعسر والمشقة.

- إجابة الدعاء وجلب التيسير وزوال الهم: فمن الثمار أن البار يكون مجاب الدعوة ذلك لأنه امتثال أمر الله سبحانه، بالإضافة إلى تيسير كل الأمور وتفريج الكربات مما يجعله بعيدا عن الهموم والغموم، يشعر بالطمأنينة والراحة.

- الرفعة في الدنيا قبل الآخرة: من وفقه الله عز وجل لطاعة والديه يتبوأ منزلة ومكانة لا يضاهيه فيها أحد، فيكون محبوبا عند الله عز وجل ويكون محبوبا عند الناس، ذلك لأنه نال رضا الله عز وجل.

- تكفير الذنوب والخطايا ورفع الدرجات: لما كان بر الوالدين من أجل العبادات التي بها الإسلام، جعلها المولى سبحانه ماحية للذنوب والزلات، وهذا مما يدل على عظيم شأنها.

- بلوغ نعيم الجنة والنجاة من النار: من أعظم ثمار طاعة الوالدين هو تحقيق تلك السعادة الأخروية الأبدية جزاء على طاعة الإنسان لربه الذي أمره بالإحسان إليهما.

إن عقوق الوالدين من أفحش السيئات وأكبر الذنوب التي يعجل الله عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، كما يعرض العاق نفسه للطرد من رحمة الله وسخطه، مما يجعله مهانا عند الناس حقيرا في أعينهم، لا وزن له ولا كرامة، وحيثما أراد أن يطرق بابا إلا ويجده مغلقا، كل أمور الحياة يجدها شاقة، مما يجعله مهموما مكتئبا قلقا.

كما يعرض نفسه للعذاب الأليم في الآخرة، وغلق أبواب الجنة أمامه، كل ذلك جزاء له على كفران النعمة ومقابلة الإحسان بالإساءة.

المطلب الثاني: خصوصية الأمومة ولماذا؟

تولي الشريعة الإسلامية للأم عناية أكبر في ضرورة بر الأم والعطف عليها وذلك لما تحملته الأم من جهد ومشقة في الحمل والولادة والرضاعة وقد بين المولى سبحانه هذا الألم والتعب في كثير من الآيات فقال في هذه السورة التي نحن بصددها ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ

حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾[462]. وقال أيضا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْراً﴾[463].

لما أمر سبحانه بطاعة الوالدين عموما ذكر ما تختص به الأم من ضعف شديد وتحمل أعباء الحمل والولادة والرضاعة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ قال القرطبي: "أي حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف، وقيل المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل"[464]. دل ذلك على أن الأم لها أولوية البر والطاعة على الأب. وقال أيضا: "لما خص تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب، وللأب واحدة؛ وأشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل: (من أبرّ؟ قال: «أمك» قال ثم من؟ قال: «أمك» قال ثم من؟ قال: «أمك» قال ثم من؟ قال: «أبوك»)[465،466].

"فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب، لذكر النبي صلى الله عليه وسلم الأم ثلاث مرات وذكر الأب في الرابعة فقط، وإذا توصل هذا المعنى شهد له العيان، وذلك أن صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم دون الأب، فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب"[467].

"ولا يخفى أن مساق الحديث لتأكيد البر بالأم إذ قد يقع التفريط في الوفاء بالواجب للأم من الابن اعتمادا على ما يلاقيه من اللين منها بخلاف جانب الأب فإنه قوي ولأبنائه توق من شدته عليهم"[468].

---

[462] "الوهن ضعف من حيث الخلق أو الخلق قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ مريم: من الآية3. ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾ آل عمران: من الآية 146. ﴿وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ﴾. أي كلما عظم في بطنها زادها ضعفا على ضعف". ينظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق مصطفى بن العدوي، ط1 (المنصورة، مكتبة فياض، 1430هـ-2009م)، ص692، مادة وهن.

[463] الأحقاف: من الآية 14.

[464] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج07، ص515.

[465] **صحيح البخاري**، ج4، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ص1516، حديث رقم 5971، من حديث أبي هريرة. **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين، حديث رقم 2548/1.

[466] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج7، ص515.

[467] المصدر السابق، ج6، ص193.

[468] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد8، ص158-159.

ويوضح ابن باديس الحكمة من تفضيل الأم على الأب قائلا: "ولقد كان لها هذا من مزيد أتعابها وضعف جانبها، ورقة عاطفتها وشدة حاجتها فكان هذا الترجيح لجانبها من عدل الحكيم العليم ومحاسن الشرع الحكيم"[469].

إذاً فالآية تلفت نظر الولد إلى أن عليه أن يزيد من عنايته بأمه مقابل الضعف الذي لحقها والذي يلحقها وهي في الحمل والولادة والرضاع مع أنه لا يمكن أن يفيها حقها كله ولكن الله يجازي به على القليل الكثير ولنعلم أن الجنة تحت أقدام الأمهات، فإن كان الولد يزعم أنه يطلب الجنة فليحسن إليها وليتعطف عليها وليترحم عليها.

المطلب الثالث: ضابط طاعة الوالدين.

الله عز وجل أوصى الولد بالإحسان إلى والديه وطاعتهما لكنه سبحانه قيد هذه الطاعة وجعل حق الله مقدما على كل شيء حتى على الأبوين فقال سبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

"ولكن رابطة الوالدين بالوليد على كل هذا الانعطاف وكل هذه الكرامة إنما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة. فبقية الوصية للإنسان في علاقته بوالديه : ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ ... فإلى هنا ويسقط واجب الطاعة، وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة. فمهما بذل الوالدان من جهد ومن جهاد ومن مغالبة ومن إقناع ليغرياه بأن يشرك بالله ما يجهل ألوهيته وكل ما عدا الله لا ألوهية له فتعلم! فهو مأمور بعدم الطاعة من الله صاحب الحق الأول في الطاعة.

ولكن الاختلاف في العقيدة، والأمر بعدم الطاعة في خلافها، لا يسقط حق الوالدين في المعاملة الطيبة والصحبة الكريمة: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ فهي رحلة قصيرة على الأرض لا تؤثر في الحقيقة الأصيلة"[470].

ويبين القرطبي هذا الضابط في الطاعة بقوله: "وجملة هذا الباب أن طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات، ويستحسن في ترك الطاعات الندب؛ ومنه أمر الجهاد الكفاية، والإجابة للأم في الصلاة مع إمكان الإعادة؛

---

[469] عبد الحميد ابن باديس، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ص102.

[470] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2788.

على أن هذا أقوى من الندب؛ لكن يعلل بخوف هلكة عليها، ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون أقوى من الندب. وخالف الحسن في هذا التفصيل فقال: إن منعته أمه من شهود العشاء شفقة فلا يطعها"[471].

والنبي صلى الله عليه وسلم يقرر هذا الضابط في قاعدة عامة تشمل الوالدين وغيرهم فيقول في حديثه الشريف: «لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف»[472]. ويقول أيضا: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[473].

إذن يتضح من النصوص السابقة أن الوالدين تجب طاعتهما ما لم تؤدي إلى معصية الله عز وجل، وتجوز مخالفتهما بل وتجب إذا منعاه من واجب عيني أو أمراه بمعصية.

تنبيهان:

1. طاعة الوالدين تجب لهما حتى وإن كانا كافرين لقول الله عز وجل: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

"لا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد، قال الله تعالى: ﴿لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾[474]. وفى صحيح البخاري عن أسماء قالت: (قدمت أمي وهى مشركة في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم مع أبيها، فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي قدمت وهى راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمك»)[475]. وروى أيضا عن أسماء قالت: (أتتني أمي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه

---

[471] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج7، ص514-515.

[472] **صحيح البخاري**، ج4، كتب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، ص1820، حديث رقم 7257، من حديث علي. **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ص737، حديث رقم 1840/39.

[473] **صحيح البخاري**، ج3، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، ص 1057-1058، حديث رقم 4340. **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ص737، حديث رقم 39/ 1840.

[474] الممتحنة: من الآية 8.

[475] **صحيح البخاري**، ج4، كتاب الأدب، باب صلة أمها ولها زوج، ص1518، حديث رقم 5979، من حديث أسماء.

وسلم فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أأصلها ؟ قال: «نعم»)[476]، قال ابن عينة[477]: فأنزل الله عز وجل فيها: ﴿لاَّ يَنْهٰيكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾[478]"[479].

2. إن كان الوالدان كافرين فالصحبة والطاعة لهما في الحياة فقط لا بعد الممات.

"ويلاحظ أن الآية: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ قيدت حسن الصحبة بالدنيا فقط فإذا ماتا كافرين انقطعت الصحبة بالمعروف، فلا يجوز أن يبرهما بدعاء ولا استغفار كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيءِ وَالذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنْ يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾"[480].

المطلب الرابع: إتباع سبيل المؤمنين من الاقتداء بالمحسنين.

وبعد وصية الوالدين يأمر سبحانه باتباع سبيل المخلصين الذين رجعوا إلى الله عز وجل رجعوا بالتوحيد والإخلاص في الطاعة، وأن مرجع الأمور كلها في الآخرة إليه لا إلى غيره، وسوف يخبر عباده بجميع أعمالهم صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها. يقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. فما المقصود بسبيل المؤمنين؟ ومن هو المخاطب في الآية الكريمة؟ وهذا ما نتعرف عليه في هذا المطلب.

تقدم معنا في الفصل التمهيدي في أسباب النزول أن آية الوالدين نزلت في سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، وأن آية: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، فبناء على أسباب النزول، فالمخاطب هو سعد بن أبي وقاص، والمنيب إلى الله هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنهما-.

---

[476] **صحيح البخاري**، ج4، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، ص1518، حديث رقم 5978.

[477] "هو سفيان بن عينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي، ولد في شعبان سنة 107هـ كان إماما في التفسير وله تفسير القرآن، وكانت وفاته بمكة في رجب سنة 198هـ". أحمد بن محمد الأدنروي، **طبقات المفسرين**، ص23، رقم37.

3 التوبة: الآية 114.

[479] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج6، ص194.

[480] ينظر: عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن الكريم**، ص22.

وبما أن جمهور الأصوليين يرون أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[481] فالخطاب موجه لكل مسلم أن يتبع سبيل المخلصين الموحدين المتقين.

قال جمال الدين ابن الجوزي في تفسيره: "أي من رجع إلي وأهل ... ففي المراد بمن أناب ثلاثة أقوال: أحدها أنه أبو بكر الصديق، قيل لسعد اتبع سبيله هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، وقال بن إسحاق أسلم على يدي أبي بكر الصديق عثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف.

والثاني: أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن السائب.

والثالث : مَنْ سلك طريق محمد وأصحابه، ذكره الثعلبي"[482].

وقال الماوردي في تفسيره: "... قال يحيى بن سلام[483] من أقبل بقلبه مخلصا وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون"[484].

"واتباع سبيل من أناب هو الاقتداء بسيرة المنيبين لله، أي الراجعين إليه ... فالمراد بمن أناب: المقلعون عن الشرك وعن المنهيات التي منها عقوق الوالدين وهم الذين يدعون إلى التوحيد ومن اتبعوهم في ذلك"[485].

وفي الآية حث على صحبة الصالحين، والاقتداء بهم، ذلك لأن أعظم ما يعين المسلم على تحقيق التقوى والاستقامة على نهج الحق والهدى، مصاحبة الأخيار، ومصافاة الأبرار، والبعد عن قرناء السوء، ومخالطة الأشرار، ذلك لأن الإنسان بحكم طبعه البشري يتأثر بصفيه وجليسه، والمرء إنما توزن أخلاقه، وتعرف شمائله بإخوانه وأصفيائه.

إن من الحزم والرشاد ورجاحة العقل ألا يصاحب المرء إلا من يرى في صحبته النفع له في أمر دينه ودنياه، وأن خير الأصحاب من كان ذا بر وتقى، ومروءة ونهى، ومكارم أخلاق

---

[481] ينظر محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، ص106.

[482] ينظر: أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله، وخرج أحاديثه أبو هاجر، ط (دار الفكر للطباعة والنشر، 1407هـ/1987م)، المجلد6، ص162.

[3] "(124هـ-200هـ = 742م-815م) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء من تيم ربيعة البصري ثم الإفريقي، مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين، من كتبه تفسير القرآن". الزركلي، **الأعلام**، ج08، ص148.

[4] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، **النكت والعيون**، حققه خضر محمد خضر، ط1 (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة1982م)، ج3، ص.281

[5] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص281.

[6] النساء: من الآية 114.

ومحاسن آداب، ويجل قدره حين يكون الصاحب من أهل العلم والأدب والحكمة، ومن أكثر الناس حرصا على خدمة الدين والدعوة إليه، إذ هي صفات الكمل من الأنام الذين يسعد بهم الصديق لإخلاصهم في المودة، لذلك على المؤمن أن يصاحب الصالحين، حيث يدلونه على الخير، ويذكرونه إذا نسي ويعينونه على العمل الصالح، ويبعدونه عن أجواء الفساد مما يجعله ينال من ثمرات الصحبة الصالحة، ولعل من أبرزها هو ثبات الإنسان على دينه والبعد عن مزالق السوء، ومهاوي الردى، بالإضافة إلى النيل من الخير العميم الذي يعمهم، والاستفادة من علمهم وتجاربهم، والسمو فوق عالم المادة من أخلاقهم، والشعور بالسعادة من خلال ثقتهم واعتمادهم على ربهم، بالإضافة إلى إغتنام الأوقات والعمر في الصالحات من العمل والتخلص من العادات السيئة.

وإن شر الأصحاب على صاحبه من ضعفت ديانته، وساءت أخلاقه، وخبثت سريرته، ولم تحمد سيرته، من لا هم له إلا في تحقيق مآربه وأهوائه، ونيل شهواته ورغباته وإن كان على حساب دينه ومروءته، ولربما بلغ الحال ببعض هؤلاء ألا يقيم للدين وزنا، ولا للمروءة اعتبارا، ولا يرى للصداقة حقا، فمؤاخاة هذا وأمثاله ضرب من العناء، وسبيل من سبل الشقاء، وذلك لما قد يجلبه على صاحبه من شر وبلاء بصده عن ذكر الله وطاعته، وتعويده على بذاءة اللسان والفحش في الكلام، وحمله على ارتكاب أنواع من الفسق والفجور والأخذ به في سبيل اللهو واللعب، وضياع الأوقات فيما لا يضر ولا ينفع من أنواع الملهيات والمغريات، وتبذير الأموال في صنوف من المحرمات.

إن صحبة الصالحين تذكّر بالله عز وجل، وتذكّر بالآخرة، وتحول بين العبد وبين المعصية فشتان بين من يذكّر بالله، وبين من يذكرك بالشيطان. وفي ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنَ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوٰيهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطاً﴾[486].

[486] الكهف: الآية 28.

إذن على كل مسلم أن يتبع سبيل الأنبياء والمؤمنين الصالحين إذ النجاة في اتباع سبيل المؤمنين، والشقاوة في البعد عن سبيلهم ونهجهم يقول الله عز وجل: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُومِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً﴾[487].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال عبد الحميد محمود طهماز: "ثم رجوعك ورجوع أبويك يوم القيامة إلي فأجازي كل واحد بما صدر عنه من شكر أو كفر"[488].

فالإنسان يجب عليه أن يؤمن بأن ثمة يوما آخر يبعث الله فيه الخلائق ويجازيهم على ما قدموه من عمل، فيثيب الموحدين المخلصين الطائعين بالدخول إلى الجنة، ويعذب المشركين بالدخول إلى النار.

وفي ختام هذا المبحث أخلص إلى النقاط التالية:

- طاعة الوالدين والإحسان إليهما واجبة على الأبناء والبنات.
- عقوق الوالدين من أكبر الكبائر وأنه يعجل بالعذاب للعاق في الدنيا قبل الآخرة.
- طاعة الوالدين تطلب وتجب حتى بعد موتهما.
- طاعة الوالدين الكافرين في غير معصية الله واجبة على الأولاد.
- الأم تحتل منزلة أكثر من الأب في البر والطاعة لمعاناتها.
- أقصى مدة الرضاع عامان أي الذي يتعلق به التحريم لقوله عز وجل: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾.
- طاعة الوالدين من طاعة الله، وبرهما مقرون بعبادة الله.

فيا ويح من أدرك والديه وحرم من السعادة الأبدية لقول النبي صلى الله عليه وسلم: («رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة»)[489].

---

[487] النساء: من الآية 114.

[488] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن الكريم**، ص23.

[489] **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب رغم أنفه من أدرك، ص991، حديث رقم 2551/9.

- وجوب اتباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة وحرمة اتباع سبيل المشركين والكفار وأهل البدع والضلالة.

خلاصة الفصل الثاني:

من خلال ما سبق يمكن التوصل إلى النتائج التالية:

1) الحكمة هي إصابة الحق بالعلم والعقل في الأفعال والأقوال، وهي إكرام من المولى سبحانه على عباده يتفضل بها على من يشاء من عباده.

2) شكر الله عز وجل على نعمه الظاهرة والباطنة تحتمه آي القرآن الكريم.

3) شكر النعم سبب دوامها وجحودها سبب زوالها.

4) لقمان عبد صالح آتاه الله الحكمة على ما ذهب إليه أكثر المفسرين، وقيل أكرمه الله بالنبوة.

5) شكر الناس من شكر الله عز وجل لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

6) الشرك بالله عز وجل من أكبر الذنوب التي لا يغفرها الله.

7) الواجب على المربين أن يربوا أولادهم على عقيدة التوحيد ونبذ الشرك بالله عز وجل.

8) إثبات صفات الكمال لله عز وجل كالغنى والعلم والقدرة والإرادة ... تثمر للعبد الاستقامة والمراقبة والمحاسبة ... .

9) وجوب الإيمان بالدار الآخرة يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا.

10) القيام بالتكاليف الشرعية كالصلاة وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل على صحة إيمان العبد، فلا قول إلا بعمل، ولا عمل ولا قول إلا بنية.

11) سمات المسلم الحقيقي هو التحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الصفات الرذيلة.

12) الإسلام يقدر الوالدين أيما تقدير، حيث يحتم على الأولاد طاعتهما وخدمتهما في حال صحتهما وضعفهما، وكبرهما بل حتى بعد مماتهما.

13) السعادة الأبدية في السير على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح رضوان الله عليهم، والشقاوة في الميل عن نهجهم.

التعريف بالفصل الثالث:

هذا الفصل الأخير المعنون بـــ: تسخير ما في الكون من الطاقات والثروات من أعظم نعم الله على الإنسان، يشمل المقطع الثالث من سورة لقمان والذي يبدأ من الآية التاسعة عشر(19)، وينتهي عند الآية الثالثة والثلاثين بانتهاء السورة. من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوَاْ اَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

يضم هذا الفصل ثلاثة مباحث، تحت كل مبحث جملة من المطالب، فالمبحث الأول حول نعم الله عز وجل وموقف الإنسان منها.

ففي المطلب الأول: معناها ومصدرها ومظاهرها، أما في المطلب الثاني والثالث فذكرت نموذجا لأناس جاحدين نعم الله ونموذجا لأناس شاكرين لنعم الله. وفي المطلب الرابع تحدثت عن ضرورة الشكر لله عز وجل وختمته بمطلب خامس بعنوان سعة علم الله ووجود الحساب تأكيد وضرورة لشكر الله.

أما المبحث الثاني كان حول: التفكر في الآيات الكونية وآثاره المترتبة عليه. يضم هذا المبحث أربعة مطالب: الأول والثاني منها حول التفكر في آية سماوية وآية أرضية، أما المطلب الثالث فذكرت فيه من الذي يستفيد من هذا التفكر، فكان بعنوان المؤمن الصبور الشكور. وختمته بمطلب رابع بعنوان الالتجاء إلى الله في السراء والضراء.

وجعلت المبحث الثالث بعنوان: الأمر بتقوى الله عز وجل وتبيان مفاتيح الغيب. يحتوي على أربعة مطالب: الأول منها الأمر بتقوى الله عز وجل. أما الثاني يتمثل في الاستعداد ليوم البعث، والمطلب الثالث في التحذير من الاغترار بالدنيا والشيطان، والمطلب الرابع خصصته لبيان مفاتح الغيب.

الهدف من هذا المقطع:

- أن يشعر المؤمن بعظم وكمال قدرة الله في الكون.
- أن يسلم المؤمن وجهه لله عز وجل، وأن يكون قدوة للآخرين في الرضا بمقدور
- الإيمان الجازم بيوم البعث والاستعداد له.
- لا نجاة يومئذ إلا لمن اتقى الله وخافه.

إن المولى سبحانه خلق الإنسان وكرمه وأنعم عليه وسخر كل ما في الكون لهذا المخلوق الضعيف، لا لشيء إلا من أجل أن يعيش هذا الإنسان سعيدا في دنياه وأخراه، ولا سعادة أعظم من العبودية والتذلل لله سبحانه. فما موقف الإنسان من هذه النعم؟ أيتأمل فيها ويشكرها؟ وهل تدفعه إلى الالتزام بتقوى الله عز وجل في السر والعلن؟ هذا ما نتعرف عليه في المباحث التالية.

المبحث الأول: نعم الله عز وجل على الإنسان وموقفه منها.

إن ربنا سبحانه كرم الإنسان أيما تكريم حيث أمده بنعم لا تعد ولا تحصى فسخر كل ما في الكون لخدمة هذا الإنسان وأمده بنعم كثيرة يراها ويشاهدها ويتذكرها كما أمده بنعم خفية لا يراها ولا يشاهدها، كل هذه النعم تستوجب شكر الله عز وجل وذلك بالاعتراف له بالوحدانية ولنبيه بالرسالة ... ومع جلالة هذه النعم فثمة فريق جاحد لهذه النعم يجادل في الربوبية والألوهية بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين، مقلد لما كان عليه الآباء والأجداد، وبالمقابل ثمة فريق عرف هذه النعم وعرف المنعم فشكر الله عز وجل فأسلم وجهه لله وأخلص له في العمل وتمسك بالعروة الوثقى، فكان جزاء الفريق الأول بالعذاب الشديد الثقيل يوم القيامة، بينما الفريق الثاني كان جزاؤه التنعيم في دار النعيم، وأنه سبحانه قادر على كل شيء وعلمه محيط بجميع الأشياء لا تخفى عليه خافية، وأنه عزيز حكيم في صنعه وإبداعه.

المطلب الأول: النعم معناها ومصدرها ومظاهرها.

تحوط بالإنسان نعم كثيرة مبثوثة في السماوات وفي الأرض ظاهرة وباطنة، وقد أمرنا بالتأمل فيها حتى نؤدي شكرها.

فما مفهوم النعمة والتسخير؟ وما مصدرها ومظاهرها؟ هذا ما يمكن أن نتعرف عليه في هذا المطلب.

يقول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ اَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِے ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِے ٱلاَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[490].

---

[490] أسبغ: قال الراغب الأصفهاني في مادة سبغ: "درع-سابغ وتام واع- قال الله تعالى: ﴿أَنِ إِعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ (الأنعام: من الآية 11). وعنه استعير إسباغ الوضوء، وإسباغ النعم قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾. ونقل عن غيره، شيء سابغ أي كامل واف وسبغت النعمة ويسبغ سبوغا وأسبغت وأسبغ الله النعمة: أي أتمها وإسباغ الوضوء المبالغة فيه، وسبغت الناقة تسبيغا أي ألقت ولدها. والسابغة الدرع الواسعة، ورجل مسبغ عليه درع واسعة". الراغب الأصفهاني، **مفردات القرآن**، مادة سبغ، ص290.

"التسخير سياقة إلى الغرض المختص قهرا. قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ﴾[491]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾[492]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[493]"[494].

وقال الألوسي في تفسيره: "وفي إرشاد العقل السليم المراد به أما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقاداً له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله كيف يريد كعامة ما في الأرض من الأشياء المسخرة للإنسان المستعملة له من الجماد والحيوان أو لا يكون كذلك بل يكون سبباً لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السماوات من الأشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشاً أو معاداً"[495].

إذن فربنا سبحانه سخر لنا من أجل مصالحنا ومعاشنا جميع المخلوقات والمكونات السماوية والأرضية، فالتسخير جعل المسخَّر بحيث ينتفع به المسخَّر له.

وكثير من آي القرآن الكريم في سور مختلفة فصلت في بعض المخلوقات المسخرة لنا كالآية المتقدمة في السورة نفسها ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾. وغيرها من السور، وهذا من أجل نعمه على الإنسان.

النِّعمة: يقول الراغب الأصفهاني في مادة نعم: "النِّعمة: الحالة الحسنة وبناء النِّعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنِّعمة التنعم وبناؤها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة، والنِّعمة للجنس تقال للقليل والكثير، قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ﴾[496]..."[497]

---

[491] الجاثية: من الآية 12.

[492] إبراهيم: من الآية 33.

[493] إبراهيم: من الآية 33.

[494] الراغب الأصفهاني، **ألفاظ القرآن**، تحقيق مصطفى بن العدوي، مادة سخر، ص259.

[495] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج22/21، ص92.

[496] النحل: من الآية 18.

[497] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص630.

"والنِّعمة: المنفعة التي يقصد بها فاعلها الإحسان إلى غيره"[498].

وهذا المعنى يؤكده الزمخشري بقوله: "فإن قلت ما النِّعمة؟ قلت كل نفع قصد به الإحسان، والله تعالى خلق العالم كله؛ لأنه إما حيوان وإما غير حيوان. فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان، والحيوان نعمة من حيث أن إيجاده حيا نعمة عليه"[499].

• ومصدر جميع النعم يعود إلى الخالق المنعم بجلائل النعم فمن عرف الله عز وجل عرف نعمه وشكر لقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾. فالفاعل يعود على الله عز وجل، فوجود الإنسان ابتداء نعمة من نعم الله، وتزويده بطاقاته واستعداداته ومواهبه نعمة، وإرسال الرسل وتنزيل الكتب نعمة أكبر وأجل وهدايته للإيمان من أجلها، وتسخير جميع الكائنات له نعمة.

وبما أن مصدر هذه النعم يعود إلى المولى عز وجل فإن من الواجب شكره عليها، وذلك بالاعتراف له بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والتصديق لنبيه بالرسالة، والتمسك بكتابه وسنة نبيه واتباع سبيل الأنبياء والمرسلين والصالحين المتقين.

• نعم الله سبحانه منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

"... عن ابن عباس (نِعمَةً ظاهِرَةً وَباطِنَةً)[500] قال: لا إله إلا الله. وقوله:(ظاهِرَةً) يقول: ظاهرة على الألسن قولا وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا. وقوله:(وَباطِنَةً) يقول: وباطنة في القلوب، اعتقادا ومعرفة"[501].

"وقيل: إن معناها الإسلام؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقد سأله عن هذه الآية: «الظاهرة الإسلام وما حسن من خلقك، والباطنة ما ستر عليك من سيئ عملك»[502]. قال النحاس: وشرح هذا أن سعيد بن جبير قال في قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ

---

[498] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد 8، ج21، ص174.

[499] الزمخشري، **تفسير الكشاف**، مجلد3، ص234.

[500] يقول الزمخشري: "فإن قلت فما معنى الظاهرة والباطنة؟ قلت : الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة، والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل، أو لا يعلم أصلاً، فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي إلى العلم بها". الزمخشري،**تفسير الزمخشري**، مجلد3، ص235.

[501] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**، مجلد 10، ج21، ص50.

[502] البيهقي، شعب الإيمان،ج4، الباب الثالث والثلاثون في تعديد نعم الله عز وجل، ص120، حديث رقم 4503-4505.

نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾[503]. قال: يدخلكم الجنة. وتمام نعمة الله عز وجل على العبد أن يدخله الجنة، فكذلك لما كان الإسلام يؤول أمره إلى الجنة سمي نعمة. وقيل: الظاهرة الصحة وكمال الخلق، والباطنة المعرفة والعقل. وقال المحاسبي: الظاهرة نعم الدنيا، والباطنة نعم العقبى. وقيل: الظاهرة ما يرى بالأبصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات، والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله، وحسن اليقين وما يدفع الله تعالى عن العبد من الآفات"[504].

وما أجمل ما قاله عبد الحميد محمود طهماز: "فثمة نعم كثيرة ضرورية لحياتنا ووجودنا لا نعلمها، وهذا يدل على عجزنا وضعفنا، وشدة افتقارنا إلى خالقنا وبارئنا، كما يدل على قصورنا عن القيام بحق شكر نعمه وإحسانه تعالى ومع ذلك فإن كثيرا منا يجحد فضله وينكر إحسانه ويجادل في ذلك"[505].

إذن علينا أن نؤمن بأن خالقنا أنعم علينا بنعم كثيرة لا يمكن عدها ولا حصرها علمنا منها ما علمنا، وجهلنا منها ما جهلنا فإنها نعم تستوجب الثناء والإحسان إلى المنعم سبحانه.

- مظاهر النعمة: ويحدثنا سيد قطب عن مظاهر هذه النعم الظاهرة منها والباطنة قائلا: "... وهي أعم من تسخير ما في السماوات وما في الأرض. فوجود الإنسان ابتداء نعمة من الله وفضل؛ وتزويده بطاقاته واستعداداته ومواهبه هذه نعمة من الله وفضل؛ وإرسال رسله وتنزيل كتبه فضل أكبر ونعمة أجل؛ ووصله بروح الله من قبل هذا كله نعمة من الله وفضل؛ ...

وقد سخر الله لهذا المخلوق الإنساني ما في السماوات، فجعل في مقدوره الانتفاع بشعاع الشمس ونور القمر وهدي النجوم، وبالمطر والهواء والطير السابح فيه. وسخر له ما في الأرض. وهذا أظهر وأيسر ملاحظة وتدبراً. فقد أقامه خليفة في هذا الملك الطويل العريض، ومكنه من كل ما تذخر به الأرض من كنوز. ومنه ما هو ظاهر ومنه ما هو مستتر. ومنه ما يعرفه الإنسان ومنه ما لا يدرك إلا آثاره؛ ومنه ما لم يعرفه أصلاً من أسرار القوى التي ينتفع بها دون أن يدري. وإنه لمغمور في كل لحظة من لحظات الليل والنهار بنعمة الله السابغة الوافرة التي لا

---

[503] المائدة: من الآية 6.

[504] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ص521.

[505] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن الكريم**، ج31، ص31.

يدرك مداها، ولا يحصي أنماطها ... ومع هذا كله فإن فريقاً من الناس لا يشكرون ولا يذكرون ولا يتدبرون ما حولهم، ولا يوقنون بالمنعم المتفضل الكريم"[506].

وأصل في نهاية هذا المطلب أن الله سبحانه أنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى. قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[507]. هذه النعم نعلم بعضها ونجهل الكثير منها فما علينا إلا أن نشكر هذه النعم ونشكر من أسبغها علينا امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[508]. ولقوله أيضا: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾. ولقوله أيضا: ﴿وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾[509]. وقوله: ﴿وَاشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[510].

وجاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام حتى تورمت قدماه فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبدا شكورا»[511].

المطلب الثاني: نموذج لأناس جاحدين لنعم الله عز وجل.

تقدم معنا أن الله أنعم علينا بنعم ظاهرة وباطنة يجب علينا شكرها، لكن مع الانتفاع بهذه النعم ثمة فريق جاحد لهذه النعم يجادل في الله ويعبد غيره من اللات والعزى، والغريب في الأمر أنه ليس أهلا لهذه المجادلة حيث يجادل عن جهل وضلالة وليس له دستور رباني يستند إليه مع أنه لما يدعى إلى الطريق الصحيح الذي لا اعوجاج فيه يأبى ويرضى بالتقليد الأعمى واتباع الشيطان الذي لا يدله إلا على طريق العذاب السعير. يقول الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ

---

[506] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مجلد 5، ص2792.

[507] النحل: الآية 18.

[508] إبراهيم: الآية9.

[509] البقرة: من الآية 151.

[510] البقرة: من الآية 171.

[511] **صحيح البخاري**، ج1، كتاب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل، ص 267، حديث رقم 1130. **صحيح مسلم**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ص1085، حديث رقم 2819./79

أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

"﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت في النضر بن الحارث، وأبي بن خلف، وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم"[512].

إذن تعود بنا الآيات إلى أولئك المسيئين الذين أعرضوا عن كتاب الله عز وجل وصدوا الناس عن إتباع الرسول تبين لهم أنهم لا يزالون على شركهم وعنادهم وكبرهم، هاهي النعم تتوالى عليهم لكنهم كفروا بها وكفروا بمن أسبغها عليهم. يقول عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "... لكن مع توالي هذه النعم فإن ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ﴾ لم يشكرها بل كفرها، وكفر بمن أنعم بها، وجحد الحق الذي أنزل به كتبه، وأرسل به رسله فجعل ﴿يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ أي يجادل من الباطل ليدحض به الحق، ويدفع به ما جاء به الرسول من الأمر بعبادة الله وحده وهذا المجادل يجادل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وعلى غير بصيرة فليس جداله عن علم فيترك وشأنه ويسمح له في الكلام ﴿وَلاَ هُدًى﴾ يقتدي به بالمهتدين ﴿وَلاَ كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أي نير مبين للحق، فلا معقول ولا منقول، ولا اقتداء بالمهتدين وإنما جداله في الله مبني على تقليد آباء غير مهتدين بل ضالين مضلين"[513].

ويعلق سيد قطب على طبيعة هذه المجادلة قائلا: "وتبدو هذه المجادلة مستغربة مستنكرة في ظل ذلك البرهان الكوني، وفي جوار هذه النعمة السابغة، ويبدو الجحود والإنكار بشعاً شنيعاً قبيحاً، تنفر منه الفطرة، ويقشعر منه الضمير. ويبدو هذا الفريق من الناس الذي يجادل في حقيقة الله، وعلاقة الخلق بهذه الحقيقة. يبدو منحرف الفطرة ولا يستجيب لداعي الكون كله من حوله؛ جاحداً النعمة لا يستحيي أن يجادل في المنعم بكل هذه النعم السابغة. ويزيد موقفه بشاعة أنه لا يرتكن في هذا الجدال إلى علم؛ ولا يهتدي بهدى، ولا يستند إلى كتاب ينير له القضية ويقدم له الدليل.

---

[512] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل**، طبعة1 (بيروت، دار ابن حزم، 1423هـ- 2006م)، ص1014.

[513] عبد الرحمان بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان**، ص608.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ فهذا هو سندهم الوحيد، وهذا هو دليلهم العجيب! التقليد الجامد المتحجر الذي لا يقوم على علم ولا يعتمد على تفكير! التقليد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه؛ وأن يطلق عقولهم لتتدبر؛ ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور، فيأبوا هم الانطلاق من إسار الماضي المنحرف، ويتمسكوا بالأغلال والقيود. ... ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ فهذا الموقف إنما هو دعوة من الشيطان لهم، لينتهي بهم إلى عذاب السعير. فهل هم مصرون عليه ولو قادهم إلى ذلك المصير؟"[514].

يضاف إلى ذلك أن آباءهم الذين تمسكوا بهم كان هؤلاء الآباء على ضلال، يعبدون اللات والعزى وكانوا على خرافات فاشية لا يقبلها عقل ولا ترضاها شريعة، ولكنهم ءاثروا عبادة من لا ينفع ولا يضر على عبادة الله عز وجل المنعم النافع الضار!.

وأخلص في نهاية هذا المطلب إلى النقاط التالية:

- الجدال في حقيقة الله عز وجل محرم شرعا إنما المطلوب من الإنسان أن يثبت لله الصفات التي أخبر بها القرآن الكريم أو السنة النبوية ويثبت له كذلك الأسماء الحسنى، وينفي عن الله سبحانه كل صفات النقص فهو الواحد الأحد القادر الصمد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.
- الجدال في غير الله عز وجل قد يكون مذموما وقد يكون جائزا، فإن كان لإبطال حق فهو المذموم والمحرم، وإن كان لتحقيق حق فهو الجائز والمراء والجدال بمعنى واحد والله عز وجل يقول: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾[515]. وقال عليه الصلاة والسلام: «من ترك الجدال وهو محق بنى الله له بيتا في الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في أعلى الجنة»[516]. قال الغزالي: "وقيل: ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا أوتوا الجدل. وقال مالك بن

---

[514] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مجلد05، ص2793.

[515] الكهف: من الآية 23.

[516] **سنن أبي داوود**، باب في حسن الخلق، ج04، ص400، حديث رقم 4802. **سنن ابن ماجه**، ج1، باب في اجتناب البدع، ص64، حديث رقم 51. **سنن الترمذي**، باب ما جاء في المراء،ج04، ص358، حديث رقم 2124.

أنس رحمة الله عليه: ليس هذا الجدال من الدين في شيء. وقال أيضا: المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن"[517].

وقال بن أبي زيد القيرواني: "وترك المراء والجدال في الدين"[518].

والقسم الجائز منه يجب أن يكون القصد منه الوصول إلى الحق والمعرفة والعلم. أما إذا كان بقصد الانتصار والغلبة والمعاندة والمكابرة فهو ممنوع شرعا.

كما يجب أن تكون هذه المجادلة على علم يعتمد عليه المجادل، أو عن هداية يستند إليها، أو عن كتاب مأثور صحيح ينير طريق الحق وإلا كانت مذمومة و محرمة.

ولكن للأسف الشديد، ما أكثر جدال المسلمين اليوم –وأكثره بغير علم، ولا هدى ولا كتاب منير– فاشتغلوا بالمراء والخصومات بدل الإقدام على العمل، مما انعكس بالآثار السلبية عليهم، فاختلفوا فيما بينهم وتفرقوا شيعا شيعا. بالإضافة إلى إضلال بعضهم البعض، ذلك لأن الجدل قد يعمي البصيرة، حيث يرى المُجادل النهار ليلا، ويرى الليل نهارا، ضف إلى ذلك ما يورثه من قسوة للقلوب، وجلب للهموم والغموم مما يجعل صاحبه في شقاء وتعاسة.

إنه يقود إلى التعصب والهوى، والتكبر على الحق، والتشكيك في المسلمات، والهشاشة في السلوكيات، وبالتالي الإنحراف عن الدين الصحيح، وهذا بدوره انعكس على المسلمين بالضعف مما مكن أعداءهم من الإستحواذ عليهم، والإستفادة من خيراتهم، بل ساعدهم على غرس مبادئهم الهدامة، وصد المسلمين عن دينهم، كل هذا نتيجة الخصومات في الدين.

إن الوعيد المذكور في الآية ليس قاصرا على مشركي مكة كالنضر بن الحارث والعاص بن وائل وأبي جهل بن هشام ... بل هو عام يشمل كل من جادل في الله بغير علم ولا هدى وكتاب منير. "... يدخل فيما تضمنته من الوعيد والذم أهل البدع والضلال، المعرضين عن الحق، المتبعين للباطل، يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤساء الضلالة الدعاة إلى البدع والأهواء والآراء بقدر ما فعلوا من ذلك، لأن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب"[519].

---

[517] أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن الأرقم، بيروت– لبنان، طبعة ت، مجلد3، ص144.

[518] النفراوي الأزهري المالكي، **الفواكه الدواني على رسالة بن أبي زيد القيرواني**، مجلد 01، ص169.

[519] محمد الأمين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار الفكر، سنة 1415هـ-1995م)، ج04، ص262.

• التقليد الأعمى محرم شرعا فالإسلام يريد أن يحرر العقول لتتطلع إلى النور، ولتتخلص من عبادة العباد والأوثان إلى عبادة رب العباد. فمشركوا مكة لما فضلوا البقاء على ما كان عليه الآباء والأجداد ضلوا عن الطريق المستقيم وقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تذم التقليد، من ذلك قول الحق جل وعلا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[520]. وقال أيضا: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾[521].

"والذي يقضي به الكتاب أنه لا يجوز الاستناد إلى التقليد في أصول العقائد، وأن إيمان المقلد لا يعبأ الله به، وليس الغرض من الأدلة أقيسة علماء الميزان، بل يكفي ما قاله الأعرابي: <<البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير...>>

والمسلمون يفتخرون بأن شريعتهم تدعو إلى النظر والمعرفة، وتشيد بالفقه والعلم، والتأمل والاعتبار، ليكون إيمانهم يقينا، وصراطهم مستقيما، وسبيلهم سبيل الله الذي جعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون"[522].

• التحذير من اتباع الشيطان، فهو لا يدعو إلا إلى العذاب السعير، إلى ما فيه الهلاك والشقاء والخذلان وقد حذرنا المولى سبحانه من اتباع سبيل الشيطان فقال سبحانه: ﴿أَلَمَ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنُ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[523].

وإنما المطلوب أن نتبع سبيل الأنبياء والمرسلين والصحابة والصالحين.

---

[520] البقرة: الآية 169.

[521] الزخرف: الآيات 21-23.

[522] إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان في تفسير سورة لقمان**، ص32.

[523] يس: الآيتين 60/59.

إذن فالآيات توبيخ من الله عز وجل لكل من أصر على الشرك –خصوصا مشركي مكة– ولم ينظر إلى نعم الله الظاهرة والباطنة متماديا في ضلاله يجادل في الألوهية من غير علم ولا برهان، ثم بين سبحانه أنه لا مطمع في إيمانهم لأنهم استسلموا للتقليد واتبعوا الشياطين وبئس القرار.

المطلب الثالث: نموذج لأناس شاكرين لنعم الله عز وجل.

لما ذكر الله سبحانه أولئك المجادلين الجاحدين لنعم الله سبحانه ذكر بالمقابل فريقا شاكرين لنعم الله سبحانه مخلصين في توحيدهم مصدقين برسالة محمد عليه الصلاة والسلام متبعين سبيل المؤمنين ﴿وَمَنْ يُّسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ إِسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢١﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٢﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

"وفي مقابل هذا العناد البشع، والجحود القبيح تظهر الآيات جمال الاستسلام لله والإذعان لأحكامه القدرية والشرعية وأثره الكريم في الوصول إلى الأمن والسلام"[524].

"لما بين حال المشرك والمجادل في الله بين حال المسلم المستسلم لأمر الله فقوله: ﴿وَمَنْ يُّسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى الإيمان. وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ إشارة إلى العمل الصالح فتكون الآية في معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[525]. وقوله: ﴿فَقَدِ إِسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي تمسك بحبل لا انقطاع له وترقى بسببه إلى أعلى المقامات"[526].

ويبين لنا المراغي في تفسيره معنى الآيات بقوله: "بعد أن ذكر سبحانه حال المشرك المجادل في الله بغير علم أردف ذلك حال المستسلم المفوض أمره إلى الله، وبيان عاقبته ومآله، ثم سلى رسوله على ما يلقاه من المشركين من العناد والكفران، وبين له أنه قد بلغ رسالات ربه وتلك وظيفة الرسل وعلى الله الحساب والجزاء فهو يجازيهم بما يستحقون من العذاب الغليظ في جهنم وبيس المصير"[527].

---

[524] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن**، ج31، ص29.

[525] الكهف: من الآية 86.

[526] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد13، ص134.

[527] مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، ج21/19، ص90.

إذن هذه الآيات تضع بين أيدينا النموذج الأمثل للمؤمن الشاكر لربه، الراضي بأحكامه، المؤدي تكاليفه، وهي كالتالي:

• الاستسلام والإذعان لله سبحانه: بحيث يكون المؤمن خاضعا لله منقادا له يفعل الشرائع مخلصا له دينه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُّسْلِمْ وَجْهَهُۥ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي نفسه. ولقوله أيضا: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَنْ يَّاتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾[528].

• الإخلاص لله عز وجل في جميع الأعمال: لقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[529]. ولقوله أيضا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[530]. ولقوله أيضا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَداً﴾[531].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ... إلى ما هاجر إليه»[532]

حقيقة الإخلاص: يقول أبو حامد الغزالي: "اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ... والإخلاص يضاده الإشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك إلا أن الشرك درجات، فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذلك الإخلاص"[533].

• والإخلاص شرط في قبول العمل فلا يقبل الله منك إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم. قال بن رجب الحنبلي: "وقال بن عجلان لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله، والنية الحسنة، والإصابة. وقال الفضيل بن عياض: إنما يريد الله منك نيتك وإرادتك ... وقال الفضيل بن

---

[528] الزمر: الآية 51.

[529] الزمر: من الآية 2.

[530] البينة: من الآية 4.

[531] الكهف: من الآية 105.

[532] **صحيح البخاري**، ج1، كتاب بدأ الوحي، باب بدأ الوحي، ص17، حديث رقم 1/1 . **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب قوله إنما الأعمال بالنيات، ص760، حديث رقم 155/ 1906.

[533] أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج4، ص476.

عياض أيضا في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[534]، قال : أخلصه وأصوبه. وقال : إنَّ العملَ إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً، لم يقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً، لم يقبل حتى يكونَ خالصاً صواباً، قال : والخالص إذا كان لله – عز وجل –، والصواب إذا كان على السنة"[535].

• لا يبلغ الإنسان درجة الكمال إلا بالإحسان وقد عرفه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله: «... قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ...»[536]. وقال صاحب الميارة الصغرى: "وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها... ومراقبة المعبود سبحانه وتعالى"[537].

• الدعوة إلى توحيد الله عز وجل فالمطلوب من المؤمن أن يبلغ دعوة ربه أن يدعو إلى توحيد الله عز وجل على بصيرة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[538].

فلا يكفي الإنسان أن يكون صالحا في نفسه فقط بل عليه أن يسعى لإصلاح غيره ونصحه وإيصال النفع للآخرين، والإنسان وهو يدعو عليه أن يعلم أن وظيفته التبليغ فقط أما النتائج فهي على الله عز وجل يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهذا يدفعه إلى تجاوز كل العقبات والصبر على كل ما يتلقاه من أذى فلا يحزن، ولا ييأس.

وليعلم أن مآل ذلك الكافر الجاحد الذي صم عن الاستجابة لله ورسوله إلى الله سبحانه يمهله أياما قلائل يمتعه فيها ثم يدفع به إلى نار جهنم، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

إذن من أقر لله سبحانه بالألوهية ولنبيه بالرسالة وأقبل على الله عز وجل متذللا خاضعا له في كل شيء يؤدي عبادته وكأنه يرى ربه فقد تمسك بالعروة الوثقى. قال بن جرير الطبري: "فقد

---

[534] الملك: من الآية2.

[535] زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق وليد بن محمد بن سلامة، مكتبة الصفا بالأزهر–القاهرة، طبعة01، ت، 1422هـ، 2002م. ص16-17.

[536] سبق تخريجه، ينظر في ص36.

[537] أبو عبد الله محمد الطالب بن سيدي حمدون بن الحاج، **حاشية أبي عبد الله محمد الطالب بن سيدي حمدون بن الحاج على شرح محمد بن أحمد الفاسي الشهير بميارة لمنظومة بن عاشر**، بدون رقم وتاريخ الطبعة، دار الفكر للطباعة والنشر، ج01، ص93.

[538] يوسف: من الآية 108.

تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به، وهذا مثل وإنما يعني بذلك أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة"[539].

المطلب الرابع: ضرورة الشكر لله عز وجل.

تقدم معنا أن ثمة معرضين عن هدي القرآن الكريم، وعن رسالة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، والجاحدين لنعم الله عز وجل هؤلاء لو يوجه إليهم سؤالا من الذي خلق السماوات والأرض؟ من الذي خلق الكون؟ ءالهتهم التي يعبدونها من دون الله؟ كلا إنهم لا يجدون إلا الجواب الذي أخبر به الحق سبحانه بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ ... ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

أي إن سألت يا محمد أولئك الذين قابلوا نعم الله بالجحود والإعراض من الذي خلق السماوات والأرض؟ فليس أمامهم إلا أن يقروا بأن الذي خلقهم هو المولى سبحانه فاحمد الله على هذا الاعتراف وعلى أنه نجاك من هذه التناقضات. يقول الله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَ اَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

"الآية متعلقة بما قبلها من وجهين أحدهما: أنه تعالى لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين أنهم معترفون بذلك غير منكرين له وهذا يقتضي أن يكون الحمد كله لله، لأن خالق السموات والأرض يحتاج إليه كل ما في السموات والأرض، وكون الحمد كله لله يقتضي أن لا يعبد غيره، لكنهم لا يعلمون هذا والثاني: أن الله تعالى لما سلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم﴾ أي لا تحزن على تكذيبهم فإن صدقك وكذبهم يتبين عن قريب عند رجوعهم إلينا، قال وليس لا يتبين إلا ذلك اليوم بل هو يتبين قبل يوم القيامة لأنهم معترفون بأن خلق السموات والأرض من الله، وهذا يصدقك في دعوى الوحدانية ويبين كذبهم في الإشراك"[540].

---

[539] الطبري، **تفسير الطبري**، مجلد10، ج21، ص50.

[540] الرازي، **تفسير الفخر الرازي**، مجلد13، ج25، ص135.

فهؤلاء المشركون المكذبون بالحق يعترفون بأن أصنامهم التي يعبدونها من دون الله ما خلقت شيئا، وأنها لا تنفع ولا تضر، بل يقروا بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض ولكن عنادهم وإكبارهم وتقليدهم واتباعهم للشيطان جعلهم ينحرفون عن الطريق السوي فما عليك يا محمد إلا أن تحمد الله عز وجل الذي بين النور وأدحض حججهم الباطلة فلو كان هؤلاء المكذبون يعلمون لجزموا أن المنفرد بالخلق والتدبير هو الذي يجب أن يتفرد بالعبادة والتوحيد، حيث كل ما في السماوات والارض ملك لله سبحانه وأنه غني عن عباده فلا تضره معصية العاصي ولا تنفعه طاعة الطائع. ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[541].

• الفطرة لا تتناقض مع الحق: ذلك لأن الله عز وجل خلق هذا الانسان على الفطرة. قال الألوسي: "والمراد بفطرهم على دين الإسلام خلقهم قابلين له غير نابين عنه ولا منكرين له مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر"[542].

وقد جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جذعاء ...»[543].

فبما أن الانسان خلق على هذه الفطرة السليمة النقية فما وسع مشركوا مكة إلا أن يعودوا إلى فطرتهم ويقروا بأن الله هو الذي خلق هذا الكون الهائل، وأنه لا يمكن أن يكون وجد بالصدفة أو من قبل أولئك الأصنام التي يعبدونها.

• الكل لله عز وجل وهو الغني عن جميع عباده لقوله تعالى: ﴿لِلهِ﴾ واللام عند أهل اللغة تفيد التمليك[544]، وهذه الحقيقة تجعلنا نعتز بعبوديتنا لله سبحانه، فنوحده ولا نشرك به، ونطيعه ولا

---

[541] النمل: الآية 41.

[542] الألوسي، **روح المعاني**، ج22/21، ص40.

[543] **صحيح البخاري**، ج1، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ص321، حديث رقم 1359، من حديث أبي هريرة. **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، 1024، حديث رقم 2658/22.

[544] عبد الله بن عقيل، **شرح بن عقيل على ألفية الإمام ابن مالك**، ط14 (مصر، المكتبة التجارية بميدان العقبة الخضراء، سنة 1384هـ-1964م)، ج02، ص20، باب حروف.

نعصيه، ونشكره ولا نكفر به، ونسأله دون غيره، ونتضرع إليه في السراء والضراء. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[545].

- العبادة لا تكون إلا لله سبحانه فبما أنه يجب أن يكون الحمد والشكر كله لله فالواجب ألا يعبد معه غيره. يقول الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[546].

إذن فربنا سبحانه يثيب ذاك المؤمن الشاكر لنعمه بالحياة الطيبة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة. يقول الله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[547].

بينما المشرك الجاحد لنعمه يجازيه بالشقاء الأبدي يوم القيامة في نار جهنم دار العصاة والمشركين الجاحدين.

المطلب الخامس: سعة علم الله ووجود الحساب تأكيد وضرورة لشكر الله عز وجل.

بعد أن أقام المولى سبحانه دلائل التوحيد المتمثلة في إسباغ نعمه الظاهرة والباطنة أردف بعد ذلك أن هذه النعم لا نهاية لها ولا حصر وإنما يعلمها خالقها سبحانه وأن لها قانونا يحكمها وأن كلماته لا يحيط بها أحد وأنه القادر في طرفة عين أن يبعث جميع الخلائق من قبورهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[548].

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ تقدم معنا في الفصل التمهيدي سبب نزول هذه الآية حيث يدل على أن علمه أحاط بكل شيء وأن ما سوى علم الله قليل.

---

[545] فاطر: الآية 15.

[546] الكهف: من الآية 105.

[547] النحل: الآية 97.

[548] يس: الآيتان 82/81.

"لما قال تعالى: ﴿لِلهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ﴾ وكان ذلك موهما لتناهي ملكه لانحصار ما في السموات وما في الأرض فيهما، وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين أن في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها فقال: ﴿وَلَوَ اَنَّمَا فِي ٱلاَرْضِ مِن شَجَرَةٍ اَقْلَمٌ﴾ ويكتب بها والأبحر مدادا لا تفني عجائب صنع الله ... ثم قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للمحشر وقال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ومن لا نفاد لكلماته يقول للموتى كونوا فيكونوا"[549].

يقول سيد قطب معلقا على هذه الآيات: "إنه مشهد منتزع من معلومات البشر ومشاهداتهم المحدودة، ليقرب إلى تصورهم معنى تجدد المشيئة الذي ليس له حدود؛ والذي لا يكاد تصورهم البشري يدركه بغير هذا التجسيم والتمثيل.

إن البشر يكتبون علمهم، ويسجلون قولهم، ويمضون أوامرهم، عن طريق كتابتها بأقلام كانت تتخذ من الغاب والبوص يمدونها بمداد من الحبر ونحوه. ... فها هو ذا يمثل لهم أن جميع ما في الأرض من شجر تحول أقلاماً. وجميع ما في الأرض من بحر تحول مداداً. بل إن هذا البحر أمدته سبعة أبحر كذلك ... وجلس الكتاب يسجلون كلمات الله المتجددة، الدالة على علمه، المعبرة عن مشيئته ... فماذا؟ لقد نفدت الأقلام ونفد المداد. نفدت الأشجار ونفدت البحار ... وكلمات الله باقية لم تنفد، ولم تأت لها نهاية ... وأمام هذا المشهد الخاشع يلقي بالإيقاع الأخير في هذه الجولة؛ متخذاً من ذلك المشهد دليلاً كونياً على يسر الخلق وسهولة البعث:

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ اِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ...

والإرادة التي تخلق بمجرد توجه المشيئة إلى الخلق، يستوي عندها الواحد والكثير؛ فهي لا تبذل جهداً محدوداً في خلق كل فرد، ولا تكرر الجهد مع كل فرد. وعندئذ يستوي خلق الواحد وخلق الملايين. وبعث النفس الواحدة وبعث الملايين. إنما هي الكلمة. هي المشيئة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ

[549] الرازي، **تفسير الفخر الرازي**، مجلد13، ج25، ص137/136.

أَرَادَ شَيْـًٔا اَنْ يَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[550] ومع القدرة العلم والخبرة مصاحبين للخلق والبعث وما وراءهما من حساب وجزاء دقيق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ ..."[551].

يبين الطاهر بن عاشور المراد بالكلمات قائلا: "جمع كلمة بمعنى الكلام كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[552] أي: الكلام المنبئ عن مراد الله من بعض مخلوقاته مما يخاطب به ملائكته وغيرهم من المخلوقات والعناصر المعدودة للتكون التي يقال لها: كن فتكون"[553].

وأشار الزمخشري إلى لطيفة هناك فقال: "فإن قلت الكلمات جمع قلة، والموضع موضع التكثير لا التقليل، فهلا قيل كلم الله؟ قلت معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمة"[554].

قال المراغي في تفسيره: "وإنما ذكرت السبعة الأبحر لدلالة على الكثرة، لا لقصد هذا العدد بعينه ... إن العرب تذكر السبعة والسبعين والسبعمائة وتريد بذلك الكثرة كما جاء في الحديث «سبعة يظلهم الله ...»[555] وفي الآية ﴿مَّثَلُ ٱلذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْيَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[556].

وقصارى ذلك إنه سبحانه أنه أخبر أن عظمته وكبرياءه وجلاله وأسماءه الحسنى لا يحيط بها أحد، ولا يصل البشر إلى معرفة كنهها وعدها كما ورد في الحديث «سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[557]"[558].

---

[550] يس: من الآية 81.

[551] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص15.

[552] المومنون: من الآية 101.

[553] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص181.

[554] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأليف**، دار المعرفة بيروت، مجلد3، ص236.

[555] **صحيح البخاري**، ج1، كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، حديث رقم 660. **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ص370، حديث رقم 91/ 1031.

[556] البقرة: الآية 260.

[557] **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ص42، حديث رقم 1118.

[558] مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، ج21/19، ص94.

فموضوع هذه الآيات تكرر في السورة نفسها وفي سور القرآن الكريم بأساليب مختلفة كلها توحي إلى مدى سعة علم الله عز وجل واعتقاد صفات الكمال لله سبحانه والإيمان باليوم الآخر.

سعة علم الله وإحاطته بكل شيء: فقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة في القرآن الكريم وفي السورة نفسها. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[559]، وقال سبحانه ــ كما مر معنا ــ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾.

فالإيمان بعلم الله سبحانه يثمر في قلب المؤمن دوام الخشية والمراقبة وهاتان الأخيرتان تدفعانه إلى الاستقامة على أمر الله، والبعد عن معصيته وهذا هو الإحسان.

كما يثمر في قلبه الاطمئنان إلى تشريع خالقه سبحانه لأنه يعلم ما في الأنفس، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يعلم المستقبل والحاضر والماضي...

كما يثمر في قلب المؤمن التواضع أمام علم الله عز وجل فمهما يصل العلماء إلى إنجازات هائلة، واختراعات مدهشة فإنها أمام علم الله عز وجل لا تساوي شيئا.

إثبات صفات القدرة والإرادة والغنى ... لله عز وجل فهو القوي الذي لا يعجزه شيء وهذا الإيمان يثمر الخشية من المولى سبحانه وهذه تبعث بدورها إلى الاستقامة والإيمان بالبعث والاستعداد لذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وإثبات الغنى يثمر الشكر لله عز وجل والتوكل عليه، واللجوء إليه في السراء والضراء.

"وإذا أيقن العباد أن بصر الله يحيط بهم، وأنه سامع لأقوالهم صلحت أعمالهم واستقامت أمورهم، وبلغوا درجة الإحسان في الأعمال وعظم توكلهم على ربهم"[560].

---

[559] الطلاق: من الآية 12.

يمده، قال الزمخشري: "وقرئ يمده ويمده وبالتاء الياء، فإن قلت كيف كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد، قلت: أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها، جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة، وجعل الأبحر السبعة مملـــوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع ... فإن قلت لم قيل م شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر؟ قلت : أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاماً". الزمخشري، **الكشاف**، مجلد3، ص236.

[560] عمر سليمان عبد الله الأشقر، **أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به**، ط2 (الأردن دار النفائس، 1467هـــ-2007م)، ص126.

فما على الإنسان بعد هذه الدلائل وهذه الأساليب المتنوعة إلا أن يشكر ربه عز وجل بحيث يظهر أثر النعم الإلهية عليه في قلبه إيمانا، وفي لسانه حمدا وثناء وفي جوارحه عبادة وطاعة، وليعلم أنه ما وصل السعداء إلى أعلى المنازل إلا بشكرهم لله عز وجل والخشية منه والاستعداد ليوم الحساب.

وأخلص في نهاية هذا المبحث إلى النقاط التالية:

1. الحث على التأمل والنظر في مخلوقات الله عز وجل فالنظر في النهاية يصل بك إلى الإقرار بوحدانية الخالق سبحانه: وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه الواحد

والله عز وجل يقول: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[561]. وقال أيضا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾[562].

2. إكرام الإنسان من قبل الله عز وجل بتسخير كل ما في السماوات وما في الأرض لمصلحته في دينه ومعاشه، ومعاده.

3. وجوب ذكر النعم وشكرها لله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

4. حرمة الجدال بالجهل ودون علم.

5. حرمة التقليد في الباطل والشر والفساد كما وقع من مشركي مكة.

6. لا يكون الإنسان شاكرا لربه إلا إذا أقبل على ربه مخلصا طائعا.

7. على الداعية المضي قدما في دعوته دون النظر إلى النتائج. قال تعالى لنبيه: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[563].

8. بيان سعة علم الله تعالى وأنه تعالى متكلم وكلماته لا تنفد بحال من الأحوال.

9. الإيمان بالبعث والحساب والاستعداد لذلك اليوم الرهيب.

10. إثبات صفات الكمال لله عز وجل كالعلم والقدرة والإرادة والعزة والحكمة والسمع والبصر.

---

[561] الذاريات: الآية 21.

[562] الغاشية: الآيات 17-21.

[563] الشورى: من الآية 48.

المبحث الثاني: التفكر في الآيات الكونية وآثاره المترتبة عليه.

تقدم معنا في هذه السورة المباركة الدلائل الكونية على توحيد الله عز وجل، لكن السورة من حين إلى حين تأتي بدلائل أخرى لتقرر في النهاية أن الله وحده لا شريك له وهو المعبود بحق وأن كل ما سواه من الآلهة باطل، فلماذا كان هذا التكرار؟

وما الفرق بين الأدلة السابقة، والأدلة اللاحقة؟

ومن الذي يتذوق طعم هذه الدلائل فيزداد إيمانا ويقينا؟

وهذا ما أشار إليه ربنا بقوله: ﴿اَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلْيْلَ فِے ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِے ٱلْيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِےٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِےُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِے فِے ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ

شَكُورٍ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

المطلب الأول: التفكر في آية سماوية.

يأمر الله سبحانه عباده بالنظر والتأمل في مخلوقاته وإتقان صنعها وإبداعها مما يدل يقينا أن لها خالقا أوجدها وأنها لا يمكن أن تكون قد وجدت بالصدفة، وأن هذا الخالق قادر على كل شيء عالم بجميع الأشياء ألا وهو سبحانه العلي الكبير. يقول المولى جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

قال البقاعي مشيرا إلى مناسبة الآية: "ولما قرر هذه الآية الخارقة، دل عليها بأمر محسوس يشاهد كل يوم مرتين، مع دلالته على تسخير ما في السماوات والأرض، وإبطال قولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ ٱلدَّهْرُ﴾[564] بأنه، هو الذي أوجد الزمان بتحريك الأفلاك، خاصاً بالخطاب من لا يفهم ذلك حق فهمه غيره، أو عاماً كل عاقل، إشارة إلى أنه في دلالته على البعث في غاية الوضوح"[565].

وقال الرازي: "يحتمل أن يقال: إن وجه الترتيب هو أن الله تعالى لما قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ﴾ على وجه العموم ذكر منها بعض ما هو فيهما على وجه الخصوص بقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾[566] وقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾

---

[564] الجاثية: من الآية 23.

[565] البقاعي، **نظم الدرر**، ج6، ص30.

[566] يولج: قال الراغب الأصفهاني: "ولج: الولوج: الدخول في مضيق قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ (الأعراف: من الآية 39) وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ (الحج: من الآية59). فتنبيه على ما ركب الله عز وجل عليه العالم من زيادة الليل في النهار، وزيادة النهار في الليل، وذلك بحسب مطالع الشمس ومغاربها" الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة ولج، ص688.

إشارة إلى ما في السماوات وقوله بعد هذا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى ما في الأرض. ويحتمل أن يقال إن وجهه هو أن الله تعالى لما ذكر البعث وكان من الناس من يقول: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ ٱلدَّهْرُ﴾[567] والدهر هو الليالي والأيام. قال الله تعالى: هل هذه الليالي والأيام التي تنسبون إليها الموت والحياة هي بقدرة الله تعالى فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾"[568].

إذن فالآيات الأولى مجملة في قوله عز وجل: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ﴾ بينما هذه الآيات جاءت تفصل بعض ذلك الإجمال لتصل في النهاية إلى أن القادر على إيجاد الليل والنهار وتعاقبهما وعلى إيجاد الشمس والقمر وجعلهما يسيران سيرا منتظما دقيقا قادر على بعث الناس من قبورهم ولتصل بنا إلى الغاية الكبرى ألا وهي الإعتراف بأنه تعالى هو الحق الثابت الواجب الوجود الذي يجب أن يعبد وحده، وأن كل ما عداه من الآلهة المزعومة فهي باطلة.

يقول بن كثير: "يخبر تبارك وتعالى أنه ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ يعني ياخذ منه في النهار فيطول ذلك ويقصر هذا، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية، ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في زمن الشتاء ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل إلى غاية محدودة، وقيل إلى يوم القيامة وكلا المعنيين صحيح"[569].

من خلال ما تقدم يمكن الوصول إلى النقاط التالية:

- تعاقب الليل والنهار ملائم لحياة الإنسان حيث فيه مصلحته ومنفعته فالله عز وجل بين لنا في سورة القصص أن الليل نعمة وأن النهار نعمة ولولا قدرة الله عز وجل لبقي الإنسان في ليل دائم لا نهار معه، أو في نهار دائم لا ليل معه. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ

---

[567] الجاثية: من الآية 23.

[568] ينظر: الرازي، **تفسير الرازي**، مجلد13، ج25، ص138.

[569] ينظر: ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، مجلد4، ص483.

تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴿٧١﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[570].

وبما أنه نعمة فالواجب شكرها بالتسليم والاعتراف لخالقها والانقياد لأوامره وإلا كان الإنسان جاحدا لنعم ربه. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾[571].

وقال أيضا: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَالنُّورَ﴾[572].

• خلق الشمس والقمر وجعلهما يسيران سيرا منتظما دقيقا فيهما مصالح كبرى لهذا الإنسان الذي سخر الله له كل ما في السماوات وما في الأرض. يقول ابن قيم الجوزية: "ثم تأمل حال الشمس والقمر وما أودعاه من النور والإضاءة وكيف جعل لهما بروجا ومنازل ينزلانها مرحلة بعد مرحلة لإقامة دولة السنة وتمام مصالح حساب العالم الذي لا غناء لهم في مصالحهم عنه فبذلك يعلم حساب الأعمار والآجال المؤجلة للديون والإجارات والمعاملات والعدد وغير ذلك فلولا حلوك الشمس والقمر في تلك المنازل وتنقلهما فيها منزلة بعد منزلة لم يعلم شيء من ذلك وقد نبه تعالى على هذا في غير موضع من كتابه كقوله ﴿هُوَ ٱلذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ نُفَصِّلُ ٱلاَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[573] وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾[574،575].

إذن فالشمس والقمر آيتان من آيات الله الدالة على قدرته وعلمه وأنه الواحد الأحد وفي نفس الوقت هما نعمتان من نعم الله سبحانه على عباده لتحقيق مصالحهم ومنافعهم ولولاهما لفاتت مصالح كثيرة على العباد ألا يدل هذا على الصانع الخبير!؟ العالم الحكيم!؟

---

[570] القصص: الآيات 73/72/71.

[571] الإسراء: من الآية 12.

[572] الأنعام: من الآية 01.

[573] يونس: الآية 5.

[574] الإسراء: من الآية 12.

[575] ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة**، ج1، ص246/245.

إنه العلي الكبير الحكيم فسبحان من أتقن ما صنع، وأحسن كل شيء خلقه.

• إثبات صفات الكمال لله عز وجل كالقدرة والإرادة والعلم والكبرياء والحق. يقول الزمخشري: "دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب. وبإحاطته بجميع أعمال الخلق: على عظم قدرته وحكمته"[576].

"وحين أرشد القرآن الناس فلفت أنظارهم إلى ظواهر هذا الكون المملوء بالمتقنات العجيبة والمحكمات الغريبة، والمصنوعات البديعة التي لم توجد أنفسها بأنفسها، ولا تتحكم بذواتها بعد وجودها، فقد دلهم بذلك على أن متقنها ومحكمها ومبدعها وصانعها قدير عليم حكيم حي.

وقد دلهم على أنه يرعى كونه بالتدبير الحكيم الدائم، وذلك لأن تصاريف أحداث هذا الكون وحركاته الدائمة مقرونة بالحكمة والعناية لذلك فلا بد أن يكون مدبرا لأمره، ولا يملك تدبير هذا الكون الكبير إلا محيط به حكمة وعلما وقدرة ومهيمن عليه ومسيطر على كل صغيرة وكبيرة فيه ... ومن كان كذلك كان هو المالك له وهو الملك الحاكم على الأحياء فيه"[577].

والحديث عن صفات الكمال يسوقنا حتما إلى أن نعتقد إبطال كل الآلهة المزعومة دون الله، يقول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

"ولقد وقع في أوهام المشركين والوثنين وبعض الجهلة ــ دون تفكير أو نظر سليمين ــ أن في الكون آلهة صغيرة أو أشباه آلهة، تشابه الله جل وعلا في بعض قدراته، فهي شركاء له: تضر وتنفع، تعطي وتمنع، تحيي وتميت، تسقي وتقيت، تؤيد وتنصر، تعفو وتغفر، تسر وتؤلم، تشفي وتسقم! مع أنه ما من إله غير الله، وما من نافع غير الله، وما من ضار غير الله، ولا ناصر إلا الله، ولا غافر إلا الله، ولا شافي إلا الله، ولا محيي إلا الله، ولا مميت إلا الله"[578].

• فإثبات صفات الكمال في حق الله وإبطال كل ما سواه يبعث على الإيمان بوجود يوم البعث والحساب لأنه سبحانه القادر الحق الذي لا يعجزه شيء وهذان يثمران الخشية من المولى سبحانه والاستعداد لذلك اليوم المخوف ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾

---

[576] الزمخشري، **الكشاف**، مجلد3، ص237.

[577] عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط12 (دمشق، دار القلم)، 1425هـ-2004م)، ص138.

[578] المصدر السابق، ص171-172.

وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ إِمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[579]. والله عز وجل يقول في شأن البعث: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[580].

فما على الإنسان إلا أن يتأمل ويتفكر في مخلوقات الله عز وجل ليزداد إيمانا على إيمان، وليشكر ربه على نعمه الظاهرة والباطنة.

المطلب الثاني: التفكر في آية أرضية.

لما أمر الله سبحانه عباده بالتأمل والنظر في تعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر، يأمره بعد ذلك أن يواصل نظره في آية أرضية تتمثل في جريان السفن في البحر بقدرة الله عز وجل كل ذلك من أجل أن يطلعه الله تعالى على آياته الدالة على وحدانيته وأنه المنعم الذي يجب أن يشكر، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ .

يقول الرازي مشيرا إلى مناسبة الآية بما قبلها: "لما ذكر آية سماوية بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ وأشار إلى السبب والمسبب ذكر آية أرضية، وأشار إلى السبب والمسبب فقوله: ﴿أَلْفُلْكَ تَجْرِي﴾ إشارة إلى المسبب وقوله : ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى السبب أي إلى الريح التي هي بأمر الله"[581].

وتقدم معنا في المطلب السابق أن الله عز وجل ذكر على وجه العموم بأنه سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض من آياته الدالة على وجوده وقدرته ...

فربنا سبحانه يرشدنا للتأمل في السفن التي تسير في البحر على الماء بقدرة الله عز وجل فهو سبحانه خلق البحر وجعل فيه من عجائب مخلوقاته ما يدل على أنه من صنع الحكيم الخبير، فخلق الماء في البحر على الصفة التي يمكن معها جريان السفن. وخلق هذه السفن وجعلها

---

[579] عبس: الآيات 34/35/36.

[580] يس: الآيات 50/51/52.

[581] الرازي، **تفسير الرازي**، مجلد13، ج25، ص140.

مسخرة لمصلحة العباد وتيسير أمورهم المعيشة. يقول سيد قطب: "والفلك[582] تجري[583] في البحر وفق النواميس التي أودعها الله البحر والفلك والريح والأرض والسماء. فخلقة هذه الخلائق بخواصها هذه هي التي جعلت الفلك تجري في البحر ولا تغطس أو تقف. ولو اختلت تلك الخواص أي اختلال ما جرت الفلك في البحر. لو اختلت كثافة الماء أو كثافة مادة الفلك. لو اختلت نسبة ضغط الهواء على سطح البحر. لو اختلت التيارات المائية والهوائية. لو اختلت درجة الحرارة عن الحد الذي يبقي الماء ماء، ويبقي تيارات الماء والهواء في الحدود المناسبة ... لو اختلت نسبة واحدة أي اختلال ما جرت الفلك في الماء، وبعد ذلك كله يبقى أن الله هو حارس الفلك وحاميها فوق ثيج الأمواج وسط العواصف والأنواء، حيث لا عاصم لها إلا الله. فهي تجري بنعمة الله وفضله على كل حال. ثم هي تجري حاملة نعمة الله وفضله كذلك. والتعبير يشمل هذا المعنى وذاك: ﴿لِيُرِيَكُم مِّنَ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ ... وهي معروضة للرؤية، يراها من يريد أن يرى؛ وليس بها من غموض ولا خفاء"[584].

"والمراد بنعمة الله إحسانه سبحانه في تهيئة أسباب الجري من الريح وتسخيرها ... وجوز أن يراد بنعمته تعالى ما أنعم جل شأنه به مما تحمله الفلك من الطعام والمتاع"[585].

ولا شك أن جري السفن في البحر والحث على التأمل فيه يهدف إلى حكم كثيرة أبرزها أنها آية دالة على باهر قدرته جل وعلا، وغاية حكمته، وشمول إنعامه. ولذلك ختمها المولى سبحانه بقوله: ﴿لِيُرِيَكُم مِّنَ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ "أي ليريكم جري السفن قاله يحيى بن سلام، وقال بن

---

[582] ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ قال الراغب الأصفهاني: "الفلك: السفينة، ويستعمل ذلك للواحد والجمع، وتقديراهما مختلفان ... قال تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ (البقرة: من الآية163)". الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة فلك، ص489.

[583] ﴿تَجْرِى﴾ من الجري: قال الراغب الأصفهاني: "الجري: المر السريع، وأصله كمر الماء ولما يجري بجريه. يقال: جرى يجري جرية وجريانا. قال عز وجل: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ (الزخرف: من الآية50)، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (الكهف: من الآية31)، وقال: ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ (الروم: من الآية45)". الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة جرى، ص133.

[584] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مجلد5، ص2797.

[585] الألوسي، **روح المعاني**، مجلد 22/21، ص105.

شجرة[586] ﴿مِّنَ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ ما تشاهدون من قدرة الله تعالى فيه. النقاش[587]: ما يرزقهم الله منه، وقال الحسن: مفتاح البحر السفن، ومفتاح الأرض الطرق، السماء الدعاء"[588].

وقال الطاهر بن عاشور في معنى قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَكُم مِّنَ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾: "والمعنى أن جري السفن فيه حكم كثيرة مقصودة من تسخيره، منها أن يكون آية للناس على وجود الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته"[589].

وأخلص مما سبق إلى النقاط التالية:

- جريان السفن في البحر نعمة من نعم الله عز وجل يجب على العباد أن يؤدوا شكرها.
- التفكير في مخلوقات الله عز وجل من العلامات الدالة على ربوبيته، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، فهو الخالق وما سواه مخلوق وهو الغني وما سواه فقير إليه. قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[590].
- نتعلم من الآية مطلق التسليم للخالق جل وعلا فكثير من المخلوقات نجهل حكمها وأسرارها مع أنها تحتوي على حكم وأسرار لا يحصيها إلا خالقها فلا يوجد شيء في الكون خاليا من مصلحة ومنفعة ولكن من الذي يدرك هذا ويستفيد منه؟ من الذي يزداد إيمانا بتأمله في هذه المخلوقات العجيبة؟ وهذا ما نتعرف عليه في المطلب الموالي.

المطلب الثالث: المؤمن الصبور الشكور هو الذي يهتدي بهدي القرآن الكريم.

لقد سبق معنا أن تعرفنا على تعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر لمصلحة الإنسان، وعلى أن السفن تجري في البحر لا تتعرض لخطر ولا لشيء يعوق سيرها لأنها تسير

---

[586] "أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة، البغدادي تلميذ بن جرير الطبري ولد سنة 260هـ، قال الخطيب كان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن، والنحو والشعر والتواريخ وتوفي سنة 350هـ وله 90 سنة". محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنوط، ط09 (بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1413هـ-1993م)، ج15، ص545.

[587] "العلامة المفسر شيخ القراء أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ثم البغدادي النقاش. ولد 266هـ، وهو مؤلف شفاء الصدور في التفسير ... وتوفي سنة 351هـ". المصدر السابق، ص573.

[588] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج7، ص525.س

[589] الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص189.

[590] الذاريات: الآيتان 21/20.

بأمر خالقها ومبدعها، فالتأمل في هذه المخلوقات العجيبة فيه دلالة على وجود الصانع القادر المبدع العالم الحكيم.

ولكن من الذي يستفيد من هذا النظر والتأمل؟ وهذا ما تحدثنا به الآية التالية: يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[591].

"وذكر الوصفين بعد الفلك، فيه أتم مناسبة لأن الراكب فيه لا يخلو عن الصبر والشكر وقيل: المراد بالصبار كثير الصبر على التعب في كسب الأدلة من الأنفس والآفاق وإلا فلا اختصاص للآيات بمن تعب مطلقا وكلا الوصفين بنيا بناء مبالغة"[592].

ويقول الطاهر بن عاشور مشيرا إلى مناسبة الآية بما قبلها: "وجملة﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لها موقع التعليل لجملة ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ﴾ ولها موقع الاستئناف البياني إذ يخطر ببال السامع أن يسأل: كيف لم يهتد المشركون بهذه الآيات؟ فأفيد أن الذي ينتفع بدلالتها على مدلولها هو ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ثناء على هذا الفريق صريحا، وتعريضا بالذين لم ينتفعوا بدلالتها"[593].

ففي كل تلك الآيات التي مرت معنا في بداية السورة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾. وفي قوله أيضا: ﴿لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وفي قوله أيضا:

---

[591] صبار: من الصبر، قال الراغب الأصفهاني: "... والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه ... والصبار يقال إذا كان فيه ضرب من التكلف والمجاهدة. قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾". الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة صبر، ص352-353.

شكور: من الشكر، والمقصود بالشكور المبالغ في الشكر على نعمائه جل شأنه. قال بن منظور: "... ورجل شَكورٌ كثير الشُّكْرِ وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الاسراء: من الآية3). وفي الحديث حين رؤي النبي صلى الله عليه وسلم وقد جهد نفسه بالعبادة فقيل له (يا رسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟) أنه قال عليه السلام: «أفلا أكون عبدا شَكُوراً». وكذلك الأنثى بغير هاء، والشَّكُور من صفات الله جل اسمه معناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، وشُكْرُه لعباده مغفرته لهم والشَّكُورُ من أبنية المبالغة، وأما الشَّكُورُ من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته. قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: من الآية13). أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، مجلد2، مادة شكر، ص693.

[592] الألوسي، **روح المعاني**، ج21، ص105.

[593] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص189.

﴿اَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ ... لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ فيها دلائل وعلامات على أن خالق هذا الكون كله هو الله الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد، ولكن لا يدرك هذا ولا ينتفع بما ترشد إليه هذه الدلائل إلا من تحلى بفضيلتين عظيمتين ألا وهما خلق الصبر وخلق الشكر. قال القرطبي مفسرا هذه الآية: "أي صبار لقضائه شكور على نعمائه. وقال أهل المعاني: أراد لكل مؤمن بهذه الصفة؛ لأن الصبر والشكر من أفضل خصال الإيمان. والآية: العلامة، والعلامة لا تستبين في صدر كل مؤمن إنما تستبين لمن صبر على البلاء وشكر على الرخاء. قال الشعبّي: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله؛ ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ وقوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[594] وقال عليه السلام: «الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر»[595،596].

وقد يقول قائل لماذا اختار الله سبحانه هذين الوضفين على غيرهم من الأوصاف؟ ذلك لأنهما أنسب تماما لحال الراكب في السفينة إذ عليه أن يصبر على أمواج البحر وعواصفه، كما عليه أن يشكر ربه على هذه النعمة. قال الطاهر بن عاشور: "ووجه إيثار خلقي الصبر والشكر هنا للكناية بهما من شعب الإيمان، أنهما أنسب بمقام السير في البحر، إذ راكب البحر بين خطر وسلامة وهما مظهر الصبر والشكر"[597].

فالمتصف بخلق الصبر يواجه الصعاب بصدر رحب وقلب مطمئن، يرضى بقضاء الله وقدره، يلجأ إلى الله عز وجل في السراء والضراء يديم النظر والتأمل في مخلوقات الله عز وجل يؤدي الطاعات بكل ارتياح، ويبتعد عن المعاصي بكل سرور. وقد مدح الله الصابرين في أكثر من آي القرآن. قال تعالى: ﴿وَالصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[598].

---

[594] الذاريات: الآية20.

[595] البيهقي، **شعب الإيمان**، الباب السبعون، ج02، ص123، حديث رقم 9715. الألباني، **السلسلة الضعيفة**، باب من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء، ج02، ص89، حديث رقم 625، وقال ضعيف جدا.

[596] القرطبي، **تفسير القرطبي**، مجلد7، ص525.

[597] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص190.

[598] البقرة: الآية 176.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «... والصبر ضياء»[599]. ومعنى ضياء ينير الله لك الطريق المستقيم ويوضح لك سبيل النجاح في أعمالك.

وقال علي كرم الله وجهه: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له)[600].

أما المتصف بالشكر فهو دائما في خضوع وخشوع للمولى عز وجل، يعترف بنعمة الله عليه، ويثني عليه بتلك النعم، وأن لا يستعملها فيما يكره، والشكر مدعاة لدوام تلك النعم والفوز برضى الله وغفرانه والاستفادة من النظر في آيات الله.

إذن فثمة فريق محسنون مؤمنون صابرون شاكرون اهتدوا بهدي القرآن الكريم فأطلعهم الله على عجائب مخلوقاته، فتنورت أبصارهم وعقولهم، وسلمت قلوبهم من الهم والحزن والقلق واليأس والجزع، وصبرت أجسادهم على المحن والمصائب وتعطرت ألسنتهم بالثناء والذكر والدعاء، إنهم أسلموا وجوههم لله فأكرمهم الله.

وبالمقابل ثمة فريق ابتعد عن هذين الوصفين حيث لم يتحل لا بالصبر ولا بالشكر فعميت أبصارهم وعقولهم، وأصاب قلوبهم الهم والحزن والجزع والبأس، وزادتهم المصائب والمحن كفرا على كفر، ونتنت ألسنتهم بالشرك والكفر والفسق.

إنهم أعرضوا عن نعم الله عز وجل فأعرض الله عنهم.

وأختم بهذا الحديث الذي يرويه أبو يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[601].

المطلب الرابع: الإلتجاء إلى الله في السراء والضراء.

من مقتضيات الإيمان بالله عز وجل والإقرار بوحدانيته تعالى اللجوء إليه والاستغاثة به في كل شأن من شؤون الحياة أو الممات أو الدار الآخرة، اللجوء إليه عند الضيق والشدة، وعند الفرج والرخاء.

---

[599] **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ص106، حديث رقم 1/ 223، من حديث أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري.

[600] أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج4، ص85.

[601] **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ص1144، حديث 2999/64.

فكيف بأولئك الذين لا يعرفون ربهم إلا عند الضيق والشدة؟ ألا يعد هذا من التناقض العجيب؟ إن القرآن الكريم يذم هذا الصنف من البشر. قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[602].

يذكر الرازي مناسبة الآية بما قبلها قائلا: "لما ذكر الله أن في ذلك لآيات ذكر أن الكل معترفون به غير أن البصير يدركه أولا، ومن في بصره ضعف لا يدركه أولا، فإذا غشيه موج[603] ووقع في شدة اعترف بأن الكل من الله ودعاه مخلصاً أي يترك كل من عداه وينسى جميع من سواه، فإذا نجاه من تلك الشدة قد بقي على تلك الحالة وهو المراد بقوله: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وقد يعود إلى الشرك وهو المراد بقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾"[604].

ولعل نزول هذه الآية يضيء لنا مدلولها. قال البغوي: "نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح إلى البحر فجاءهم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجاني الله من هذا لأرجعن إلى

---

[602] غشيهم: من غشي: قال الراغب الأصفهاني: "غشيه غشاوة وغشاء: أتاه إتيان ما قد غشيه، أي: ستره. والغشاوة: ما يغطى به الشيء". الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة غشى، ص458.

[603] موج: قال الراغب الأصفهاني: "الموج في البحر ما يعلو من غوارب الماء. قال تعالى: ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ (هود: من الآية42)، وقال تعالى: ﴿يَغْشٰيهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ (النور: من الآية39). وماج كذا يموج، وتموج تموجا: اضطرب اضطراب الموج. قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ (الكهف: من الآية95)". الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة موج، ص604. ا

لظلل: قال الراغب الأصفهاني: " والظلة: سحابة تظل، وأكثر ما يقال فيما يستوخم ويكره ... والظلل: جمع ظلة، كغرفة وغرف، وقربة وقرب". الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة ظلل، ص401. قال الألوسي: "والمراد بها: ما أظل من سحاب أو جبل أو غيرهما". الألوسي، **روح المعاني**، ج22/21، ص105.

ختار: من الختر، قال الراغب الأصفهاني: "الختر غدر يختر فيه الإنسان، أي: يضعف ويكسر لاجتهاده فيه، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾. الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة ختر، ص196. قال بن جرير الطبري معناه: "وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كل غدار بعهده، والختر عند العرب أقبح الغدر ومنه قول عمرو بن معدى كرب: *وإنك لو رأيت أبا عمير ... ملأت يديك من غدر وختر*". الطبري، **تفسير الطبري**، مجلد10، ص54.

[604] الرازي، **تفسير الرازي**، مجلد13، ص141.

محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يدي في يده، فسكنت الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه"[605].

فهذه الآيات عن أناس لا يعرفون ربهم إلا عند الضيق، عندما تحل بهم المخاوف، فركاب البحر لما أحلت بهم العواصف المتراكمة، وغضتهم الأمواج الهائلة، عندئذ توجهوا إلى الله داعين متضرعين أن ينجيهم من الغرق في البحر، توجهوا إليه وحده وأدركوا أن ءالهتهم التي يعبدونها من دون الله لا تنفعهم ولا تضرهم، فاستجاب الله دعاءهم وأنجى السفينة وركابها من الغرق وعندئذ انقسم الناس إلى قسمين: قسم بقي على إيمانه لكنه لم يشكر الله على وجه التمام، وقسم آخر عاد إلى كفره وجحوده كما كان ذلك لأن شأنه الغدر والخيانة.

ويبين ابن كثير المراد من قوله تعالى ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: "قال مجاهد: أي كافر كأنه فسر المقتصد هاهنا بالجاحد، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّيٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[606].

وقال ابن زيد[607]: هو المتوسط في العمل. وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ﴾[608]، فالمقتصد هاهنا هو: المتوسط في العمل. ويحتمل أن يكون مرادًا هنا أيضا، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر، ثم بعدما أنعم عليه من الخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدؤوب في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرا والحالة هذه، والله أعلم"[609].

وترجيح ابن كثير بالمتوسط في العمل هو الأنسب مع سبب النزول الذي تقدم ذكره، حيث أن ذلك الإخلاص الحاصل وقت الخوف والخشية لا يبقى لأحد قط فيصير عندئذ متوسطا في العمل.

لماذا خص الله سفر البحر؟

---

[605] البغوي، **تفسير البغوي**، ص105.

[606] العنكبوت: من الآية 65.

[607] "هو: عبد الرحمان بن زيد بن أسلم المدني، أخذ معاني القرآن، وروى عن والده، وابن المنكدر توفي سنة 102هـ". أحمد بن محمد الأدنروي، **طبقات المفسرين**، ص11، رقم15.

[608] فاطر: من الآية 32.

[609] ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، مجلد4، ص484.

خص الله سبحانه سفر البحر لأن سفر البر كانوا يعرفونه ولا يسافرون إلا في قوافل عدة تحمل سلاحا يدفعون به كل مكروب، بينما في سفر البحر يعلمون أن قوافلهم لا تنفع هناك، وسلاحهم لا يفيد، وأصنامهم التي كانوا يعبدونها لا تدفع الضر حتى عن نفسها فكيف بغيرها؟ فلجؤوا إلى الله مخلصين. قال تعالى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وفي الآية إجمال فصله الله في أكثر من موضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[610]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ ... تَعۡمَلُونَ﴾[611]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[612].

وهنا يجدر الكلام إلى المسألتين التاليتين:

1) مسألة الدعاء: فاللجوء إلى المولى سبحانه أمر فطري في النفس البشرية تستصرخ بخالقها، وتعتقد جازمة بوحدانيته، وأنه وحده القادر النافع الضار. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[613]. ولذلك ليس بغريب حينما يشعر الإنسان بأي خطر يخطره أن يلجأ إلى ربه خالقه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[614].

والإنسان لما يدعو ربه خائفا وجلا متذللا متواضعا يشعر بضعفه أمام خالقه فذاك محض العبادة التي خلق الإنسان من أجلها. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[615].

---

[610] العنكبوت: من الآية 65.

[611] يونس: الآيتان 22/23.

[612] الإسراء: الآية 67.

[613] الأعراف: الآية 172.

[614] يونس: الآية 12.

[615] الذاريات: الآية 56.

وقد أمرنا المولى سبحانه بالدعاء ووعدنا بالإجابة. قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[616]. وقال أيضا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[617].

والنبي صلى الله عليه وسلم حث أمته أن يسألوا ربهم فقال: «... إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ...»[618].

قال ابن رجب الحنبلي: "واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر، ونيل المطلوب، وجلبِ المنافع، ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلاَّ لله وحدَه؛ لأنه حقيقة العبادة، وكان الإمام أحمد يدعو ويقول: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك، ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك. كما قال: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[619]، وقال: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾[620،621].

وبما أن الدعاء مخ العبادة، فالواجب أن تدوم هذه العبادة حتى الموت لقول الله عز وجل: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[622]. وابن قيم الجوزية جعل فصلا في كتابه "مدارج السالكين" سماه في لزوم إياك نعبد لكل عبد إلى الموت فأولئك الذين لجؤوا إلى الله عند الشدة ثم عادوا بعدها إلى جحودهم وكفرهم خالفوا هذا المبدأ العظيم. قال بن رجب الحنبلي: "وإخلاص

---

[616] النساء: من الآية 32.

[617] غافر: الآية 60.

[618] **سنن الترمذي**، ج9، ص56، حديث رقم 2440، وقال حديث حسن صحيح. **المستدرك على الصحيحين**، ج3، ص623، حديث رقم 6303. **المعجم الاوسط**، باب من اسمه محمد، ج5، ص316، حديث رقم 5417. **مسند احمد**، حديث عبد الله بن عباس، ج6، ص159، حديث رقم 2627.

[619] يونس: من الآية 107.

[620] فاطر: من الآية 2.

[621] ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق وليد بن محمد بن سلامة، ص205-206.

[622] الحجر: الآية 99.

الدعاء له في حال الشدة وحال الرَّخاء، بخلاف ما كان المشركون عليه من إخلاص الدعاء له عندَ الشدائد، ونسيانه في الرخاء، ودعاء من يرجون نفعَه مِنْ دُونِه، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[623]،[624].

2) التحذير من عدم الوفاء بالعهد: فقد أمر الله سبحانه بالوفاء بالعهد في كثير من آي القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾[625]. وقوله أيضا: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[626]. وقوله أيضا: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[627].

والنبي صلى الله عليه وسلم حذر من الغدر وبين مآله يوم القيامة. ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به»[628]. والغدر حرام في كل عهد بين الإنسان وربه أو بين المسلم وغيره، وإذا كان الغدر حرام بين العباد بعضهم البعض فإنه مع الخالق من باب أولى.

قال محمد الغزالي: "والعهود التي يرتبط المسلم بها درجات فأعلاها مكانة، وأقدسها ذماما العهد الأعظم الذي بين العبد ورب العالمين فإن الله خلق الإنسان بقدرته، ورباه بنعمته، وطلب منه أن يعرف هذه الحقيقة، وأن يعترف بها، وألا تَشْرد به المعنويات فيجهلها أو يجحدها ﴿أَلَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنُ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا

---

[623] الزمر: من الآية 36.

[624] ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، ص208.

[625] البقرة: من الآية 39.

[626] الإسراء: من الآية 34.

[627] النحل: من الآية 91.

[628] **صحيح البخاري**، ج2، كتاب الجزية، باب إثم الغادر للبر والفاجر، ص782، حديث رقم 3186. **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، ص690، حديث رقم 1735/12.

صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[629]. ... ووفاء الانسان بهذا العهد أساس كرامته في الدنيا، وسعادته في الأخرى"[630].

إذن على الإنسان أن يشكر الله حق شكره على نعمة الأمن بعد الخوف، وعلى نعمة الهداية بعد الضلال عليه أن يخلص لله في توحيده وعبادته وجميع أعماله، وليكن ذلك في حال الرخاء والشدة، وليستمر في عبادته حتى الموت، وليحذر أن يكون حاله شبيها بمشركي مكة تمتعوا بنعمة الأمن وقابلوها بعدم الشكر التام، وبالجحود والكفران، وأعرضوا عن دعوة محمد –صلى الله عليه وسلم– وذلك شأن كل غادر جحود.

وفي ختام هذا المبحث يمكن الوقوف على النقاط التالية:

- الدعوة إلى التأمل والتفكر في مخلوقات الله عز وجل.
- تعاقب الليل والنهار، وجري الشمس والقمر إلى أجل مسمى، وجري السفن في البحار آيات من آيات الله الدالة على قدرته وإرادته وعلمه وأنه الإله الحق الذي لا يعلوه شيء له العظمة والكبرياء.
- إبطال كل الآلهة المزعومة من دون الله وأن الله هو الحق الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له.
- تحرير العقل البشري من الخرافات الواهية والتقاليد الباطلة بالحجج والبراهين القاطعة.
- آيات الله يتذوق طعمها من تحلى بخلق الصبر، وخلق الشكر.
- منزلة الصبر والشكر من بين سائر الأخلاق.
- على الإنسان أن يتضرع إلى ربه في حال الرخاء والشدة، والبأساء والضراء وإلا كان كأولئك الذين لا يعرفون ربهم إلا وقت الشدة والضيق فبئس القوم لا يعرفون ربهم إلا وقتها.
- على الإنسان أن يفي بالعهد الذي أبرمه خصوصا إذا تعلق هذا الإبرام مع رب العالمين.

وأخيرا نتعلم من ذلك كله مطلق التسليم لله رب العالمين، والانقياد لأوامره ونواهيه، والشكر له على نعمائه وإفضاله، والتأمل في عجيب مخلوقاته، والإيمان بيوم البعث والحساب.

المبحث الثالث: الأمر بتقوى الله عز وجل وتبيان مفاتيح الغيب.

---

[629] يس: الآيتان 60/59.

[630] محمد الغزالي، **خلق المسلم**، مكتبة رحاب ـــالجزائر، 1987م، ص60/59.

لما أرشد المولى سبحانه عباده إلى النظر في آياته، وبين لهم عظمها ومدى خطر البحر والذي لجأ الكل فيه إلى خالقهم للنجاة من هول البحر وخطره أرشدهم ثانية إلى هول أشد منه وأعظم منه خطرا، إنه اليوم الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، إنه اليوم الذي لا يشفع فيه البنون للآباء، ولا الآباء للبنين الكل مشغول بنفسه ما النجاة؟ ولا نجاة يومئذ إلا للمتقين إلا لمن اتقى الله وخاف عقابه واستعد لهذا اليوم بخير الزاد، ولذلك ختم المولى سبحانه هذه السورة بالالتزام بتقوى الله عز وجل فهي بمثابة خاتمة لهذه السورة.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَاخْشَوْاْ يَوْماً لاَّ يَجْزِے وَالِدٌ عَن وَّلَدِهِۦ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَّالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِے ٱلاَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِے نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداًۖ وَمَا تَدْرِے نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

المطلب الأول: الأمر بتقوى الله عز وجل.

في ختام هذا المقطع يوجه الله نداء للناس أن يتقوه ويخشوه ويخشو عقابه فهل لفظ الناس في الآية يراد به المشركون فقط؟ أم يراد به المسلمون؟ أم يراد به المسلمون والمشركون معا؟ وما حقيقة هذه التقوى؟ وما هي مراتبها وبواعثها؟ ولماذا أمر بها؟

يقول الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَاخْشَوْاْ يَوْماً ...﴾.

"لما ذكر الدلائل من أول السورة إلى آخرها وعظ بالتقوى لأنه تعالى لما كان واحدا أوجب التقوى البالغة فإن من يعلم أن الأمر بيد اثنين لا يخاف أحدهما مثل ما يخاف لو كان الأمر بيد أحدهما لا غير"[631].

لفظ الناس في الآية: أكثر المفسرين يرون أنه خطاب موجه لمشركي مكة إلا أن الطاهر بن عاشور يرى أنه إن لم يكن خاصا بالمشركين فهو عام يشمل المشركين والمسلمين، يقول: "إن لم يكن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطابا خاصا بالمشركين فهو عام لجميع الناس كما تقرر في أصول

[631] الرازي، **تفسير الرازي**، مجلد13، ج25، ص142.

الفقه، فيعم المؤمن والمشرك، والمعطل في ذلك الوقت وفي سائر الأزمان إذ الجميع مأمورون بتقوى الله وأن الخطوات الموصلة إلى التقوى متفاوتة على حسب تفاوت بعد السائرين عنها، وقد كان فيما سبق من السورة حظوظ للمؤمنين وحظوظ للمشركين فلا يبعد أن تعقب بما يصلح لكلا الفريقين، وإن كان الخطاب خاصا بالمشركين جريا على ما روي عن ابن عباس أن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب لأهل مكة، فالمراد بالتقوى: الإقلاع عن الشرك"[632].

والمراد بالتقوى كما قال الراغب الأصفهاني: "... جعل النفس في وقاية مما يخاف هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفا حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي: «الحلال بين، والحرام بين، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه»[633] ..."[634].

فالتقوى هي كلمة جامعة مانعة تشمل كل ما جاء به الإسلام من عقيدة وعبادة ومعاملة وخلق حسن. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[635].

"والتقوى وصية الله للأولين والآخرين قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[636] وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه

---

[632] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص192.

[633] **صحيح البخاري**، ج1، كتاب الايمان، باب فضل من استبرأ لدينه،ص33، حديث رقم 52. **صحيح مسلم**، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ص690، حديث رقم 105/ 1597.

[634] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة وقى ، ص686.

[635] البقرة: الآية 176.

[636] النساء: من الآية 130.

وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله عز و جل كقوله تعالى ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ [637] وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [638] فإذا أضيفت التقوى إليه سبحانه فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه وهو أعظم ما يُتقى وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي ... فهو سبحانه أهل أن يخشى ويهاب ويجل ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس"[639].

مراتب التقوى: تعود إلى الشيء الذي ينبغي للإنسان أن يتركه ويتجنبه فبحسبه تتفاوت المراتب والدرجات. قال الشيخ محمد بن أحمد: "ولها ثلاث مراتب: الأولى التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [640]

والثانية التجنب عن كل ما فيه إثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ﴿وَلَوَ اَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرىٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ﴾ [641]

والثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بسرائره وهو التقوى الحقيقي

المطلوبة بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [642،643].

بواعث التقوى: "والبواعث على التقوى عشرة خوف العقاب الدنيوي والأخروي، ورجاء الثواب الدنيوي والأخروي، وخوف الحساب، والحياء من نظر الله وهو مقام المراقبة، والشكر

---

[637] المائدة: من الآية98.

[638] الحشر: الآية 18.

[639] ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، ص169.

[640] الفتح: من الآية 26.

[641] الأعراف: من الآية 95.

[642] آل عمران: من الآية 102.

[643] محمد بن أحمد ميارة المالكي، **الدر الثمين والمورد المعين**، بدون رقم وتاريخ الطبع (بيروت، دار الفكر)، ص399.

على نعمه وطاعته، والعلم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[644]، وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة، وصدق المحبة أي أن المحب لا يرى إلا ساعيا فيما يرضي محبوبه"[645].

وتكمن مظاهر التقوى في اجتناب المنهيات في الظاهر والباطن، وامتثال المأمورات في الظاهر والباطن، فالتقوى بهذا المعنى ليست مجرد كلمة تقال بل هي عمل في طاعة الله عز وجل، وتركُ صارم لمعصية الله. ولذلك فسر السلف الصالح التقوى بحسب ما تقتضيه، فهذا الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه يسأل عن التقوى فيجب قائلا: (أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر)[646].

والتقوى هي وصية نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– لأمته حيث كان يعظ بها دائما في خطبه ومجالسه ...

ومن كمال التقوى البعد عن الشبهات وما التبس بالحرام من الأمور، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس»[647].

وقد يقول قائل: لماذا أمر الله بالتقوى؟ والجواب عن ذلك **أن للتقوى ثمرات وحكم جليلة** تعود على المسلم بالفوز والنجاح في الحياة وبعد الممات من ذلك معية الله بالحفظ والتأييد والنصر. لقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[648]. ومن الثمرات محبة الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[649]. ومن الثمرات البركات من السماء والأرض على أهل التقوى. قال تعالى: ﴿وَلَوَ اَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

---

[644] فاطر: من الآية 28.

[645] محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، **تفسير ابن جزي**، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار الكتاب العربي، سنة 1403هـ-1983م)، مجلد01، ص12، سورة البقرة.

[646] ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، ص170.

[647] صحيح البخاري، ج1، كتاب الإيمان، باب بني الإسلام على خمس، ص10، حديث رقم 1/1، ورد بمعناه.

[648] البقرة: من الآية 193.

[649] التوبة: من الآية 4.

وَالأَرْضِ﴾[650]. ومن الثمرات الفرقان بين الحق والباطل قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[651]. فالتقوى توقظ القلوب النائمة، وتحيي القلوب الميتة، تجعل لصاحبها نورا وفرقانا يستطيع بهما أن يعرف سبيل المؤمنين ــ الذي أمر الله باتباعه ــ من سبيل المجرمين.

ومن الثمرات كشف الهم، والرزق بغير حساب. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجاً ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾[652].

ومن الثمرات أن الله جعل للمتقين على نفسه حقا، أن يرحمهم ويعلمهم وييسر لهم أمورهم. قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[653] .وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[654] ، وقال أيضا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْراً﴾[655].

وأعظم هذه الثمرات نيل مرضاة الله ومغفرة الذنوب. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥ أَجْراً﴾[656].

وفي نهاية هذا المطلب يلاحظ أن السورة في أكثر مواضعها تحدثت عن الدار الآخرة وفي آخرها جاء الأمر بالتقوى، ذلك لأن الآخرة كلها للمتقين لقوله تعالى: ﴿وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[657]، فالمتقون لا يخافون ولا يحزنهم الفزع الأكبر لقول الحق جل وعلا: ﴿إِنَّ

---

[650] الأعراف: من الآية 95.

[651] الأنفال: الآية 29.

[652] الطلاق: من الآيتين 2و3.

[653] الأعراف: من الآية 156.

[654] البقرة: من الآية 281.

[655] الطلاق: من الآية 4.

[656] الطلاق: من الآية 5.

[657] الزخرف: من الآية 34.

ٱلْمُتَّقِينَ فِي مُقَامٍ أَمِينٍ﴾[658]. فإن وصلوا إلى الصراط فهم أهل النجاة. قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّالِمِينَ فِيهَا جُثِيّاً﴾[659]. فإن وصلوا إلى منازلهم في الجنات استقبلتهم ملائكة رب السماوات والأرض بالسلام والتحية. قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[660]، ثم تتجلى كرامة الله للمتقين في هذا الجوار عند العزيز الغفار. قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[661].

المطلب الثاني: الاستعداد ليوم البعث.

بعد أن أثبت الله دلائل وحدانيته وقدرته، وأثبت أن البعث كائن لا محالة، أمر الإنسان بتقواه كما سبق معنا، أمره ثانية أن يخشى من هول هذا اليوم الرهيب هذا اليوم الذي لا يتحمل فيه الوالدان عن أولادهم أوزارهم، وكذلك لا يتحمل فيه الأولاد عن الوالدين أوزارهم.

والأسئلة التي تطرح نفسها، ما المراد بهذا اليوم العظيم؟ ولماذا حث المولى على الاستعداد لهذا اليوم؟ ولماذا خص بالذكر الأولاد والآباء؟ وبماذا يستعد الإنسان لهذا اليوم العظيم؟ وما أثر الإيمان بهذا اليوم في حياة الفرد والمجتمع؟

هذا ما نتعرف عليه من خلال الآيات: ﴿... وَاخْشَوْاْ يَوْماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَّلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَّالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

قال الألوسي مبينا مناسبة الآية من خلال موقعها في آخر السورة: "واختار بن المنير[662] في وجه ذلك أن الله تعالى لما أكد الوصية بالآباء وقرن وجوب شكرهم بوجوب شكره عز وجل وأوجب على الولد أن يكفي والده ما يسوءه بحسب نهاية إمكانه قطع سبحانه ههنا وهم الوالد

---

[658] الدخان: من الآية 48.

[659] مريم: الآيتان 81و82.

[660] الزمر: الآية 70.

[661] القمر: الآيتان 55/54.

[662] "(651هـ-733هـ = 1253م-1333م) عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، أبو محمد فخر الدين الأسكندري المالكي، مفسر، ... من كتبه تفسير في 06 مجلدات، وأرجوزة في القراءات السبع". الزركلي، **الأعلام**، ج04، ص177.

في أن يكون الولد في القيامة يجزيه حقه عليه ويكفيه ما يلقاه من أهوال يوم القيامة كما أوجب الله تعالى عليه في الدنيا ذلك في حقه فلما كان جزاء الولد عن الوالد مظنة الوقوع لأنه سبحانه حض عليه في الدنيا كان جديرا بتأكيد النفي لإزالة هذا الوهم ولا كذلك العكس"[663].

المراد بهذا اليوم: هو يوم الآخرة الذي يعد الإيمان به من أهم الأركان بعد الإيمان بالله عز وجل، إذ هو من الغيب الذي يجب التصديق به ولذلك ذكر الله عز وجل من صفات المتقين أنهم يومنون بالغيب فقال سبحانه: ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[664].

إذن فما المراد باليوم الآخر؟ إنه يراد به أمران:

الأول: إنتهاء الحياة الدنيا وفناء هذه العوالم بكل أوضاعها.

الثاني: ابتداء الحياة الأخرى بكل أحوالها وأهوالها.

فلفظ اليوم الآخر يدل على اليوم الأخير من الحياة الدنيا وعلى اليوم الأول من الحياة الثانية.

معنى الإيمان به: أي يشمل الإيمان بما في يوم القيامة من أحداث البعث والنشور والحساب والميزان والصراط، وما قبل القيامة من الموت وفتنة القبر والساعة وأماراتها، وما بعد القيامة من دار القرار الجنة أو النار.

ولماذا حث المولى على الاستعداد لهذا اليوم؟

وهذا يجرنا إلى الكلام على عظم أهوال يوم القيامة فبعد إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية وهي التي من أصلها البقاء عندئذ تحشر جميع الخلائق في الموقف لتجزى كل نفس على ما قدمت فيترتب تغير عظيم هائل:

- إذا خرج الناس من قبورهم وعرفوا أنهم بعثوا للوقوف بين يدي الله تعالى فزع الجميع وجزع إلا أحباب الله وأوليائه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنىٰٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلاَكْبَرُ وَتَتَلَقّيهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلذِے كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[665].

---

[663] الألوسي، **روح المعاني**، ج22/21، ص107.

[664] البقرة: من الآيتين 1و2.

[665] الأنبياء: الآيات 102/101/100.

• بعد ذلك تحدث أمور كونية حيث تتساقط النجوم، وتتفجر البحار، ويذهب ضوء الشمس، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ... عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[666].

• مامن نفس تنساق إلى أرض المحشر إلا كان معها ملك عظيم يسوقها ومعها شهيد يشهد عليها ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[667].

• يكون الناس سكارى فالمرضع التي تفدي وليدها بنفسها تذهل عنه في ذلك اليوم والحامل تسقط حملها والناس يكون حالهم كحال السكارى الذين فقدوا عقولهم. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[668].

• تدنو الشمس فيه من رؤوس الخلائق، قال عليه الصلاة والسلام: «يغرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[669] إلا أن الناس في العرق على قدر أعمالهم.

• ولعظمه فالوليد الذي لم يرتكب جرما يشيب شعر رأسه لشدة ما يرى من هوله، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً﴾[670].

• انقطاع علائق الأنساب في يوم القيامة، وهذا ما أخبرت به السورة، حيث أن المرء في ذلك اليوم يهتم بنفسه لا يلتفت إلى غيره، بل إن الإنسان يفر من أحب الناس إليه يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه.

---

[666] التكوير: من الآية 1إلى الآية 14.

[667] ق: الآية 21.

[668] الحج: الآيتان 2/1.

[669] **صحيح البخاري**، ج4، كتاب الرقائق، باب قوله تعالى: ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾، ص1645، حديث رقم 6532. **صحيح مسلم**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ص1097، حديث رقم61/ 2863.

[670] المزمل: الآية 16.

• والناس في هذا اليوم العظيم يطول بهم المقام حتى يتمنون الإنصراف ولو إلى النار، إلا أن هناك صنفا من الناس أكرمهم الله بظله فجعلهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، "ولطول ذلك اليوم يظن الناس في يوم المعاد أنهم لم يلبثوا في الحياة الدنيا إلا ساعة من نهار، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾[671] ..."[672].

وبعد تعرفنا لبعض هول هذا اليوم العظيم، فما السبيل للإنسان أن يخشى من هذا الهول العظيم؟ إنه الاستعداد والتزود بخير الزاد، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلأَلْبَـٰبِ﴾[673]. فتقوى الله عز وجل هي الحصن الحصين من هول ذلك اليوم للخائفين، قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[674]. وقال أيضا: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[675]. "وكان أبو الحسين الضرير يقول: علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين"[676].

والخوف من المولى عز وجل يدفع إلى التوبة والرجوع إليه سبحانه كما يبعث على العمل الصالح الذي يسعد الإنسان به في الدنيا والآخرة.

لماذا خص الله سبحانه في الآية بالذكر الوالد والولد؟

المراد بالنفي في الآية ﴿لاَّ يَجْزِى﴾ هو الجزاء في الآخرة. ويلاحظ أن الجملة الثانية جاءت في سياق التوكيد حيث أنها إسمية، وأكدت أيضا بضمير فصل ﴿هُوَ﴾ فلماذا هذا التوكيد؟ قال الزمخشري: "الأمر كذلك لأن الجملة الإسمية آكد من الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله ﴿هُوَ﴾ وقوله ﴿مَوْلُودٌ﴾ والسبب في مجيئه على هذه السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي، فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في

---

[671] يونس: من الآية 45.

[672] عمر سليمان الأشقر، **القيامة الكبرى**، ص98.

[673] البقرة: من الآية 196.

[674] البينة: من الآية 8.

[675] الأعراف: من الآية 154.

[676] أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج4، ص223.

الآخرة، وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئا، فلذلك جيء به على الطريق الآكد، ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك"[677].

ويوضح الطاهر بن عاشور الحكمة من ذكر الولد والوالد بشيء من التفصيل قائلا: "وذكر الوالد والولد هنا لأنهما أشد محبة وحمية من غيرهما فيعلم أن غيرهما أولى بهذا النفي، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾[678] وابتدئ بـــ"الوالد" لأنه أشد شفقة على ابنه فلا يجد له مخلصا من سوء إلا فعله. ووجه اختيار هذه الطريقة في إفادة عموم النفي هنا دون طريقة قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾[679]، أن هذه الآية نزلت بمكة وأهلها يومئذ خليط من مسلمين وكافرين، وربما كان الأب مسلما والولد كافرا وربما كان العكس، وقد يتوهم بعض الكافرين حين تداخلهم الظنون في مصيرهم بعد الموت أنه إذا ظهر صدق وعيد القرآن إياهم فإن من له أب مسلم أو ابن مسلم يدفع عنه هنالك بما يدل به على رب هذا الدين، وقد كان قارا في نفوس العرب التعويل على المولى والنصير تعويلا على أن الحمية والأنفة تدفعهم إلى الدفاع عنهم في ذلك الجمع وإن كانوا من قبل مختلفين لهم لضيق عطن أفهامهم يقيسون الأمور على معتادهم. وهذا أيضا وجه الجمع بين نفي جزاء الوالد عن ولده وبين نفي جزاء الولد عن والده ليشمل الفريقين في الحالتين فلا يتوهم أن أحد الفريقين أرجى في المقصود"[680].

إذن فالآيات هنا تدل على قطع علائق الأنساب في هذا اليوم العظيم، فلما كان معظم المؤمنين من الصحابة –رضي الله عنهم– ءاباؤهم وأجدادهم وأمهاتهم على الشرك إلا القليل منهم، جاءت الآيات تحسم أطماع بعضهم، بل وعبرت الآيات بالمولود لما يتحلى به من الرقة والحنان والعطف ومع ذلك فإنه لا يشفع ولا ينفع أباه المشرك، وإذا كان الإنسان لا ينفع أقرب الناس إليه فإن غيره من باب أولى وأحرى خصوصا وأن وعد الله الذي هو البعث حق وهو

---

[677] الزمخشري، **الكشاف**، مجلد3، ص238.

[678] عبس: الآيتان 34و35.

[679] البقرة: من الآية 122.

[680] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص194/193.

كائن لا محالة لأنه سبحانه لا يخلف الميعاد فلا ملجأ ولا مفر ولا شفاعة يومئذ لمنكري البعث فقد أقام الله عليهم الحجة في الدنيا قبل الآخرة.

أثر الإيمان باليوم الآخر:

إن الإيمان باليوم الآخر بجميع أحداثه وأهواله يجعل الإنسان المؤمن مستشعرا في نفسه جملة من الآثار:

1. إنه يدرك تماما أن حياته في الدنيا إنما هي مقدمة لحياته في الآخرة وأن الدنيا ليست دار خلود بل هي مزرعة للآخرة التي سينتقل إليها بعد الموت.

2. شعوره بمسؤوليته أمام الله عز وجل على ما يقدمه من عمل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝٨ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[681].

"أن كل إنسان مسؤول عن كسبه، فلا يتحمل أوزار الآخرين إلا إذا كان له تسبب فيها كالإغواء والإضلال، أو إهمال واجب النصيحة والإرشاد أو ترك فرض الجهاد في سبيل الله، أو كونه مطاعا في قومه فقلدوه في الضلالة واتبعوه إلى غير ذلك من أمثلة كثيرة كما لا يستفيد من الأعمال الصالحة للآخرين إلا إذا كان له تأثير فيها كالتربية على الفضيلة وتعليم أمور الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو كونه رئيسا مطاعا في قومه فقلدوه بالهداية واتبعوه"[682].

والقرآن الكريم قرر في هذه السورة وفي غيرها مبدأ تقرير المسؤولية الفردية، قال تعالى: ﴿وَاخْشَوْاْ يَوْماً لاَّ يَجْزِے ...﴾ (الآية).

وقال سبحانه: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ ۝٣٧ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَـٰنِ إِلاَّ مَا سَعىٰ ۝٣٨ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ﴾[683].

وقال أيضا: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[684].

---

[681] الزلزلة: الآيتان 9/8.

[682] عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص529.

[683] النجم: الآيات 39/38/37.

[684] غافر: الآية 16.

وهكذا كان المصطفى –صلى الله عليه وسلم– يؤكد هذا المبدأ بين أصحابه حيث يحثهم على العمل والاستعداد لهذا اليوم ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنَ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[685].

فشعور الإنسان بهذه المسؤولية يجعله يسير نحو تحقيق الأهداف النبيلة والغايات الكريمة.

3. الحرص على عمل الطاعات لدخول الجنة، والاحتراز من الوقوع في المعاصي لكي ينجو من النار.

4. كما أن المؤمن باليوم الآخر يدرك الحكمة التي خلق من أجلها، إذ أن في وجوده وحياته حكمة لا كما يقول الدهريون: "إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر"[686].

5. كما أن المؤمن باليوم الآخر يهيمن على سلوكه مبدء محاسبة النفس لأنه يدرك أنه سوف يحاسب على كل صغيرة وكبيرة وأنه سبحانه مطلع عليه.

6. الاهتداء بهدي الكتاب والسنة النبوية حتى ينجو من الضلال والخسران والشقاء، وما نشاهده اليوم من كثرة المعاصي وتفشي الرذائل إنما يعود سببه إلى قلة المحاسبة وضعف الإيمان باليوم الآخر مما جعل أكثر الخلق منشغلين بزخاريف الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

المطلب الثالث: الاغترار بالدنيا والشيطان يتنافان والتقوى.

وبعدما حث المولى سبحانه على الإيمان باليوم الآخر والاستعداد له نهى عن أي شيء قد يكون عائقا عن الاستعداد أو مؤديا إلى الغفلة عن هذا اليوم. قال تعالى: ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾

قال إبراهيم علي أبو الخشب مشيرا إلى مناسبة الآية بما قبلها: "وفي الحق أن المؤمن سريع الإتصال بالمولى جل جلاله شديد التعلق به، والتزلق إليه، والخوف منه لا يمنعه من الاشتغال بطاعته إلا حب الدنيا تتزين بمفاتينها، وتتلون بخداعها، وتتشكل في مباهجها، وتعمل على الماكر إلى أن تجعله عبدها من دون الله"[687].

---

[685] الشعراء: الآيتان 88/89.

[686] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مجلد05، ص303، سورة الجاثية.

[687] إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان**، ص51.

فربنا سبحانه وتعالى لما كان ترك التعلق بالدنيا من مقتضيات الخوف وأن التعلق بها والاغترار بالشيطان من أعظم ما يصرف الإنسان عن الإيمان باليوم الآخر نهى سبحانه عن الاغترار بهما.

والقرآن الكريم لفت النظر إلى مكانة الدنيا من خلال ذمها والتحذير منها كل ذلك رأفة ورحمة بهذا العبد الضعيف.

من هذا التصوير القرآني لبيان حقيقتها قوله تعالى: ﴿إِعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلاَمْوَٰلِ وَالاَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِيهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰماً وَفِى ٱلاَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[688].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ اَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلاَرْضِ مِمَّا يَاكُلُ ٱلنَّاسُ وَالاَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلاَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَيٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا اَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالاَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلاَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[689].

والسنة النبوية أكدت وفصلت ما جاء به القرآن الكريم، فيقول المصطفى –صلى الله عليه وسلم– محذرا أمته من فتنة هذه الدنيا الخداعة التي تخدع الناس بجمالها وزينتها تظهر لهم أنها هي الغاية مع أنها هي الوسيلة، تظهر لهم أنها هي الباقية مع أنها هي الفانية: «إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[690].

وجاء أيضا: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مر على شاة ميتة فقال: «أترون هذه هينة على صاحبها؟ فو الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبدا»[691].

---

[688] الحديد: الآية 19.

[689] يونس: الآية 24.

[690] **صحيح مسلم**، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، ص1050، حديث رقم 2742/99 .

[691] المصدر السابق، كتاب الزهد والرقائق، ص1133، حديث رقم2957/2، من حديث جابر.

وقد أرشد لقمان الحكيم ابنه إلى مدى خطورة هذه الدنيا قائلا: *يا بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيه تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجيا*[692].

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ من قال ذا؟ قاله من خلقها، ومن هو أعلم بها، إياكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب"[693].

إن الله سبحانه خلق الحياة الدنيا لتكون معبرا ومزرعة لتلك الدار الآخرة ولكنه سبحانه وتعالى جعلها بما فيها من زخارف وشهوات ومال وبنين جعلها دار امتحان وابتلاء من ركن إليها ونسي آخرته فقد ضيع نفسه وهذا ما وقع فيه مشركو مكة حيث أن الدنيا أغرتهم فركنوا إليها ونسوا الآخرة فكان مصيرهم الشقاء الذي لا نعيم بعده، أما من انتبه إليها وأدرك حقيقتها فقد نجح في هذا الامتحان، وهذا ما أدركه الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام– والمهتدون بهديهم والمحسنون الذين اهتدوا بهدي القرآن الكريم فكان مصيرهم النعيم الذي لا شقاء بعده. يقول المولى سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[694].

ثم يحذر المولى سبحانه من الاغترار بالغرور ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾

فما المراد بالغرور في الآية الكريمة؟

"فالغرور: كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين وبالدنيا لما قيل : الدنيا تغر وتضر وتمر"[695].

---

[692] أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج3، ص268.

[693] أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج3، ص272.

[694] الكهف: الآية 45.

[695] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة غرر، ص456.

وأكثر المفسرين على أن الغرور هنا بمعنى الشيطان. "أي الشيطان كما روي عن ابن عباس وعكرمة[696] وقتادة ومجاهد والضحاك[697] بأن يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة منه تعالى أو يذكر لكم أنها لا تضر من سبق في علم الله تعالى موته على الإيمان وأن تركها لا ينفع من سبق في العلم موته على الكفر وعن أبي عبيدة[698] كل شيء غرك حتى تعصي الله تعالى وتترك ما أمرك سبحانه به فهو غرور، شيطانا أو غيره ... وأصل الغرور من غر فلانا إذا أصاب غرته أي غفلته ونال منه ما يريد والمراد به الخداع"[699].

وقد حذر المولى سبحانه من الشيطان في كثير من آي القرآن حيث بين مكره وخداعه وأنه لا يريد إلا الإغواء والضلال وأنه لكم بالمرصاد فما من باب خير إلا ويحاول أن يسده أمامكم، وما من باب شر إلا ويفتحه أمامكم بتزيينه وخداعه ومكره.

من هذه الآيات قوله سبحانه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[700]. وقوله أيضا: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلإِنسَٰنِ خَذُولاً﴾[701]. كما نهى سبحانه من اتباعه وبين أن أتباعه في خسران وهلاك، فقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[702] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[703].

إذن فالشيطان يصد الناس عن الإيمان بالله عز وجل والإيمان باليوم الآخر، ذلك لأنه لديه رغبة قوية في إضلال الناس، فقد أضل أمما سابقة، ويضل حاليا ومستقبلا أناسا كثيرين، إلا عباد الله المخلصين حيث لا سلطان له عليهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

---

[696] "مولى عبد الله بن عباس ... عالما بالقرآن ومعانيه توفي 105هـ". أحمد بن محمد الأدنروي، **طبقات المفسرين**، ص12، رقم17.

[697] "بن مزاحم الهلالي: صاحب التفسير، مات بخراسان سنة 102هـ فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبي ...". المصدر السابق، ص10، رقم14.

[698] "معمر بن المثنى التيمي أبو عبيدة النحوي البصري، من تصانيفه كتاب مجازي القرآن، وكتاب غريب القرآن، وكتاب معاني القرآن، ... توفي سنة تسع، أو عشر، أو إحدى عشر، أو ثلاث عشرة ومائتين بالبصرة". المصدر السابق، ص45، رقم 46.

[699] الألوسي، **روح المعاني**، ج22/21، ص108.

[700] النساء: الآية 119.

[701] الفرقان: من الآية 29.

[702] البقرة: من الآية 168.

[703] المجادلة: الآية 19.

سُلْطَـٰنٌ إِلاَّ مَنِ إِتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[704]. فإذا كان الانسان متسلحا بتقوى الله عز وجل تنبه لما يصيبه من هاجس الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلذِينَ إِتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[705].

ويبين الطاهر بن عاشور وجه الربط بين نهيه سبحانه عن الاغترار بالدنيا وعن الاغترار بالشيطان قائلا: "والذي يناسب هنا أن يكون الاغترار بما يسوله الغرور للمشركين كتوهّم أن الأصنام شفعاء لهم عند الله في الدنيا واقتناعهم بأنه إذا ثبت البعث عن احتمال مرجوح عندهم شفعت لهم يومئذ أصنامهم، أو يغرهم بأن الله لو أراد البعث كما يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– لبعث آباءهم وهم ينظرون، أو أن يغرهم بأن الله لو أراد بعث الناس لعجل لهم ذلك وهو ما حكى الله عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[706] فذلك كله غرور لهم مسبب بشؤون الله تعالى"[707].

وأخلص في نهاية هذا المطلب أن الإنسان عليه أن يكون قويا في إيمانه، قويا في عقيدته، قويا في شخصيته، ... فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، كما على الانسان أن يكون دائما حذرا متفطنا لأعدائه وأبرزهم تلك الدنيا الخداعة، وذلك الشيطان الماكر.

فالعبد الموفق الذي تراه يزرع لآخرته التي إليها معاده والتي فيها السعادة الأبدية، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلاَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلذِينَ إِتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلاَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ﴾[708]. وقال

---

[704] الحجر: الآية 42.

[705] الأعراف: الآية 201.

[706] يونس: الآية 48.

[707] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص196/195.

[708] آل عمران: الآيتان 15/14.

سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتِيكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلاَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[709].

كما على الإنسان أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه، وليعلم أن سلاح الشيطان هو الهوى والشهوات، وأن من مكايده أنه يعرض الشر في معرض الخير كما هو الشأن اليوم فقد سَمُّوا الغناء بالفن، والربا بالفائدة، وما إلى ذلك، قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[710] أي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات.

ولا نجاة من الشيطان إلا بالتزود بتقوى الله عز وجل، والاعتصام به، والاشتغال بذكره، والتعوذ به دائما من الشيطان الرجيم.

المطلب الرابع: بيان مفاتح الغيب.

وفي ختام هذه السورة المباركة تأتي الآيات تؤكد علم الله الشامل المحيط بجميع الأشياء، ولتؤكد مدى قصور الإنسان وضعفه حيث لا يعلم الغيب لكن الإنسان المؤمن يؤمن بالغيب، وإن من الغيب ما يطلع الله عليه بعض عباده ممن اصطفاهم واختارهم، وأن من الغيب ما استأثر الله بعلمه لا يعرفه لا نبي مرسل ولا ملك مقرب وذلك لحكم وأسرار يعلمها هو سبحانه. هذه الغيبيات التي استأثر الله بها هي ما جاء في قول العليم الخبير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلاَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

آيات القرآن الكريم تفسر بعضها بعضا فهذه الآيات هي مفسرة ومفصلة لما جاء في قوله تعالى: وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ[711]. فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن مفاتح الغيب فأجاب بأنها هذه الخمس التي نحن بصددها، قال صلى الله عليه وسلم: «مفاتح

---

[709] القصص: الآية 77.

[710] الزمر: من الآية 44.

[711] الأنعام: من الآية 60.

الغيب خمس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾»[712].

وقد تقدم معنا في الفصل التمهيدي سبب نزول هذه الآيات[713].

ويذكر الطاهر بن عاشور مناسبة هذه الآيات من حيث موقعها فيقول: "كان من جملة غرورهم في نفي البعث أنهم يجعلون عدم إعلام الناس بتعين وقته أمارة على أنه غير واقع، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[714]. وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾[715]، فلما جرى في الآيات قبلها ذكر يوم القيامة أعقبت بأن وقت الساعة لا يعلمه إلا الله"[716].

وينقل الألوسي كلاما جميلا في تفسيره عن الطيبي[717] قائلا: "فكأن قائلا يقول: فمتى هذا اليوم فأجيب بأن هذا العلم مما لم يحصل لغيره تعالى وذلك قوله سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ثم ذكر جل وعلا الدليلين اللذين ذكرا مرارا عل البعث أحدهما إحياء الأرض بعد موتها المشار إليه بقوله تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ والثاني الخلق إبتداء المشار إليه بقوله سبحانه : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ فكأنه قال عز وجل : يا أيها السائل إنك لا تعلم وقتها ولكنها كائنة والله تعالى قادر عليها كما هو سبحانه قادر على إحياء الأرض وعلى الخلق في الأرحام ثم بعد جل شأنه له أن يعلم ذلك بقوله عز وجل ﴿وَمَا تَدْرِى﴾ إلخ فكأنه قال تعالى : يا أيها السائل إنك تسأل عن الساعة أيان مرساها وإن من الأشياء ما هو أهم منها لا تعلمه فإنك لا تعلم معاشك ومعادك فما تعلم ماذا تكسب غدا مع أنه فعلك وزمانك ولا تعلم أين تموت مع أنه شغلك ومكانك فكيف تعلم قيام الساعة متى يكون والله تعالى ما علمك كسب غدك ولا علمك

---

[712] **صحيح البخاري**، من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه، كتاب تفسير القرآن، ج3، ص1139، حديث رقم 4627.

[713] ينظر سبب النزول، ص6.

[714] سبأ: الآية 29.

[715] الشورى: من الآيتين 16/15.

[716] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد8، ج21، ص196.

[717] "حسن بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي الأصل إمام مشهور ... له مؤلفات كثيرة منها التفسير للقرآن العظيم، والحاشية على تفسير الكشاف، توفي743". أحمد بن محمد الأدنروي، **طبقات المفسرين**، ص277.

أين تموت مع أن لك في ذلك فوائد شتى ... فإذا لم يعلمك ما تحتاج إليه كيف يعلمك ما لا حاجة لك إليه وهو وقت القيامة وإنما الحاجة إلى العلم بأنها تكون وقد أعلمك جل وعلا بذلك على ألسنة أنبيائه تعالى عليهم الصلاة والسلام"[718].

فهذه الخمس التي استأثر الله بعلمها هي كالتالي:

• علم الساعة لا يعلمه إلا الله عز وجل: كثيرا ما كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة متى يومها ومتى أجلها فكان يجيب أن علمها لا يعلمه إلا خالق هذا الكون، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسٰىهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[719].

وفي حديث جبريل: «قال فأخبرني عن الساعة؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ...»[720].

فانطلاقا من ذلك يجب أن نؤمن بأن موعد هذا اليوم العظيم هو مما أخفى الله تعالى علمه على أي مخلوق بما فيهم الرسل والأنبياء –عليهم الصلاة السلام–. قال محمد سعيد رمضان البوطي: "فإن سمعت من يحدد للدهر عمرا معينا أو يضع ليوم القيامة ميقاتا محدودا فاعلم أنه إما مغمور في جهل عميق بالدين أو هو كاذب دساس وضع بين عينيه سبيلا معينة لحرب الإسلام والكيد له"[721].

ولعل الحكمة في إخفاء هذا اليوم، حتى يستمر الإنسان في كل لحظة مرتقبا مجيئه مما يجعله مستعدا ومتزودا بتقوى الله عز وجل بالإضافة إلى تحقيق الحياة الطيبة الهادئة في هذه الدنيا مما يجعل الإنسان سعيدا في دنياه وأخراه.

• نزول الغيث من السماء لا يعلمه إلا الله: فهو سبحانه وحده الذي يعرف متى ينزل الغيث، والقدر الذي يريده، وهو سبحانه الذي يخلق أسبابه كما ذكر سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ

---

[718] الألوسي، **روح المعاني**، ج22/21، ص110-111.

[719] الأعراف: من الآية 187.

[720] سبق تخريجه، ص35.

[721] محمد سعيد رمضان البوطي، **كبرى اليقينيات**، ص317.

﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفاً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[722].

"والله ينزل الغيث وفق حكمته بالقدر الذي يريده، وقد يعرف الناس بالتجارب والمقايس قرب نزوله، ولكنهم لا يقدرون على خلق الأسباب التي تنشئه"[723].

ويؤكد هذا المعنى عبد الحميد محمود طهماز: "وأفاد الالتفات من الجملة الاسمية إلى الفعلية الدالة على التجدد والاستمرار، فظاهرة نزول الغيث المتجددة تتم بمشيئته تعالى وقدرته، ولم يستطع الإنسان بعد أن اكتشف بعض الأسباب والنواميس المؤدية لنزول الغيث أن يتحكم بهذه الظاهرة التي تتوقف عليها كثير من مصالحه وأسباب عيشه ووجوده، ولا تزال كثير من البلاد تعاني من احتباس المطر وقلته وبلاد أخرى تعاني من كثرته وفيضاناته وسيوله المدمرة"[724].

وبناء على ما تقدم فإن ما توصل إليه علماء الفلك اليوم من التنبؤات الجوية لا يتعارض ومفهوم هذه الآية، ذلك لأن ما وصل إليه ما هو إلا مجرد استنتاجات من بعض المظاهر الكونية مع أنها لا تبلغ اليقين إنما هي مجرد ظنون راجحة لا علاقة لها بعلم الغيب الذي اختص الله بعلمه.

"والفلكيون وإن علموا الخسوف والكسوف ونزول الأمطار بالأدلة الحسابية فليست ذلك غيبا بل أمارات وأدلة تدخل في مقدور الإنسان، ولا سيما أن بعضها قد يكون أحيانا في مرتبة الظن لا في مرتبة اليقين"[725].

- لا يعلم من في الأرحام إلا الله: وقد أكد سبحانه هذا المعنى في سورة الرعد فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾[726].

قال الزمخشري: في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلأَرْحَامِ﴾ "أذكر أم أنثى؟ أتام أم ناقص؟ وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال"[727].

---

[722] الروم: الآية 47.

[723] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2798.

[724] عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن الكريم**، ج31، ص38.

[725] مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، ج21/91، ص100/99.

[726] الرعد: من الآية 9.

[727] الزمخشري، **تفسير الكشاف**، مجلد3، ص239.

"أي ويعلم علما كاملا محيطا بكل ما في الأرحام، وهذا يعني الإحاطة بكل المخلوقات حالا ومآلا، وما هو كائن منها وما سيكون وكيف سيكون، وما يتصل بكل فرد منها من خصائص وأطوار، مما يجعل الفكر البشري عاجزا عن تصوره، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾[728].

أضف إلى ذلك ما قررته العلوم الحديثة بأن كل مخلوق يحمل معه خصائص وموروثات جميع المخلوقات التي ستتفرع عنه وتتناسل منه، فعلم ما في الأرحام علم يمتد عبر الزمان مع تسلسل المخلوقات وتوالدها إلى نهاية عمر الدنيا عندما يتوقف التوالد والتكاثر.

وتمكن الإنسان المعاصر بالعلوم الجزئية التي فتح الله بها عليه من معرفة جنس الجنين ذكرا أو أنثى لا يعد من علوم الغيب لأنه علم ذلك بواسطة آلات التصوير والتحاليل المخبرية التي قربت هذه الحقيقة إليه فأصبحت مكشوفة محسوسة ولا يزال الإنسان عاجزا ابتداء بدون الآلات والتحاليل عن معرفة هذه الحقيقة الصغيرة جدا بالنسبة لما في الأرحام من أسرار وعلوم غيبية لا يحيط بها إلا خالقها وبارئها جل جلاله"[729].

تنبيهان:

1. إن الطبيب اليوم الذي يعرف بواسطة آلات التصوير ذكرا أم أنثى فإنه لا يعلم ذلك إلا بعد الأطوار الأولى ــ نطفة، علقة، مضغة ــ بعدما تتم خلقته وتنفخ فيه الروح بينما الخالق جل وعلا يعلم ذلك وهو نطفة وعلقة ومضغة، بل يعلم سبحانه قبل ذلك.

2. علم ما في الأرحام لا يقتصر على معرفة الذكر من الأنثى بل يتعدى إلى أبعد من ذلك إلى السعادة والشقاوة، إلى الأجل، إلى الولادة إلى الصفات الوراثية ... ولذلك فالملك المقرب يسأل ربه بعد إتمام الأطوار التي يمر بها الجنين في الرحم، يسأل ربه كما جاء في الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وكل الله بالرحم ملكا يقول: أي رب نطفة، أي رب

---

[728] الرعد: من الآية 9.

[729] عبد الحميد محمود طهماز، من موضوعات سور القرآن الكريم، ج31، ص39.

علقة، أي رب مضغة؟ فإذا أراد الله أن يقضي خلقا قال: يا رب أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذالك في بطن أمه»[730].

• ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ سبق معنا أن الكون كله لله سبحانه، والمستقبل الذي هو من الغيب وهو من خلق الله سبحانه، والذي يعد قريبا للانسان، فإن هذا العبد الضعيف يجهله تماما، لا يدري أيقدم على خير أم على شر؟ أيفعل طاعة أم معصية؟ أيكسب مالا أم يبقى صعلوكا؟ أيختم له بالحسنى فتكتب له السعادة الأبدية؟ أم يختم له بسوء ــ والعياذ بالله ــ فتكتب له الشقاوة الأبدية؟ قال إبراهيم علي أبو الخشب: "الغد كله مطوي إلا عن خالقه الذي خلقه ولهذا يقول الشاعر العربي:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

وما يكتسبه المرء أي ما يحصله من خير أو شر، وغنم أو غرم، وطاعة أو معصية"[731].

إذن إذا كان الإنسان لا يعلم هذا الغد القريب فكيف به يتطلع إلى ذالكم اليوم العظيم الذي هو فناء هذه الدنيا وإقبال الآخرة!

وقد أرشدنا القرآن الكريم عند العزيمة والإقدام في الغد على عمل ما أن نعلقه بالمشيئة الإلهية فقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ اِنِّى فَاعِلٌ ذَالِكَ غَداً اِلاَّ أَنْ يَّشَآءَ اللَّهُ﴾[732].

• ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ قال الزمخشري في هذه الآية: "أين تموت، وربما أقامت بأرض، وضربت أوتادها، وقالت لا أبرحها أقبر فيها، فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها"[733].

إذن فالإنسان يجهل مضجعه في الأرض لا يدري أين يقبر؟ أببلاد الحرمين الشريفين؟ أم بمسقط رأسه؟ أم في البحر ... لا يعلم ذلك إلا خالقه سبحانه وتعالى وهذا المعنى يؤكده رسول الله بقوله: «إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها»[734]

---

[730] صحيح البخاري، ج1، كتاب الحيض، باب في القدر،ص91، حديث رقم 318. صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدميفي بطن أمه وكتابه، ص1020، حديث رقم 2646، من حديث أنس.

[731] إبراهيم علي أبو الخشب، عقود الجمان، ص54.

[732] الكهف: من الآية 34.

[733] الزمخشري، **الكشاف**، مجلد3، ص239.

ثم قرأ رسول الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ (الآية).

ويختم المولى سبحانه هذه الآيات وهذه السورة بالتأكيد على أنه أحاط بكل شيء علما، وأنه لا يعزب عن علمه شيء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأنه يعلم ظواهر الأمور كما يعلم ظواهرها[735].

وفي ختام هذا المطلب يمكن الوصول إلى النقاط التالية:

- هذه الآيات هي أصل من أصول العقائد وهي بمثابة الأمهات، حيث تتفرع عنها باقي الغيبيات.
- لا يعلم الغيب إلا الله، ولا يطلع على الغيب إلا من ارتضاه، ولا يطلع على مفاتح الغيب سواه. قال بن عباس رضي الله عنها: (من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب، إياكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك، والشرك وأهله في النار)[736]. وعليه فلا مجال للكهانة والسحر.
- توقع نزول المطر من خلال الأعراض الجوية لا يعتبر علما بالغيب لأن ذلك كله يدخل من باب العلم بالأسباب فقط بالإضافة إلى أنه ليس علما إنما مجرد ظن راجح.
- ما توصل إليه الطب اليوم من معرفة الجنين ذكرا أم أنثى لا يعتبر علما بالغيب ذلك لأنه أيضا خاضعا لعالم الأسباب، بالإضافة إلى معرفته المحدودة بينما علم الله سبحانه مطلق يعلم كل شيء قبل الجنين وحال تشكيله، ويعلم حاله ومآله. قال القرطبي: "وقد يعرف بطول التجارب أشياء من ذكورة الحمل وأنوثته إلى غير ذلك"[737].
- عجز الإنسان وضعفه أمام القدرة الإلهية، حيث لا يعلم هذا الإنسان مستقبله لا القريب ولا البعيد، ولا يعلم مضجعه حال وفاته، وإذا كان الأمر كذلك فما عليه إلا أن يسلم لهذه القدرة الشاملة فيؤمن بيوم البعث ويتزود لهذا اليوم الرهيب.

---

[734] **المستدرك على الصحيحين**، ج1،كتاب الإيمان، ص102، حديث رقم 127، وقال هذا حديث صحيح. **صحيح ابن حبان**، باب ذكر الأخبار بأن الله جل وعلا قد جعل لقضاياه أسبابا تجري لها، ج07، ص19، حديث رقم 6118.

[735] وفي العدول عن الإثبات إلى النفي، وكذلك التعبير بالدراية دون العلم للمبالغة والتعميم. قال الزمخشري: "وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة. والمعنى: أنها لا تعرف – وإن أعملت حيلها – ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها، ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته، فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما، كان من معرفة ما عداهما أبعد". الزمخشري، **الكشاف**، مجلد3، ص239.

[736] الزمخشري، **الكشاف**، مجلد3، ص238.

[737] القرطبي، **تفسير القرطبي**، مجلد7، ص527.

• كثير من أوجه الإعجاز في هذه الآيات مما يدل دلالة قاطعة على أن آيات الكتاب الحكيم من عند العليم الخبير، وعلى أن وعد الله حق وهو كائن لا محالة.

وأخلص في نهاية هذا المبحث إلى أن هناك يوم عظيم تبعث فيه الخلائق إلى ربها، وأنها ستقف بين يديه لتجزى كل نفس على ما قدمت، ولا نجاة من هول هذا اليوم إلا بتقوى الله والخشية منه في دار الدنيا قبل الآخرة.

على الإنسان أن يحذر من شيئين ذلك لأنهما من أشد أعدائه وقد يفتن بهما فيصدانه عن تقوى الله والخشية منه، ألا وهما الاغترار بالحياة الدنيا بما فيها من زينة ولهو ولعب، والاغترار بالشيطان أو كل ما من شأنه يبعدك عن مرضات الله ورسوله.

مفاتح الغيب التي استأثر الله بعلمها هي الخمس التي اشتملت عليها الآية الكريمة مما لم يؤت علمها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

خاتمـــــــــة:

وبعد هذه الجولة المتواضعة في عمق هذه السورة الكريمة في جو الوحدة الموضوعية للسورة يمكن أن أخلص إلى النتائج التالية:

1. إمكانية دراسة السورة القرآنية دراسة موضوعية مما يدل على أن للسورة الواحدة من القرآن الكريم موضوعا منفردا وهو في الوقت ذاته مجموعة من المحاور مجتمعة لتشكل ذلك الموضوع الذي يسمى موضوع السورة

فالسورة القرآنية في مجملها كل لا تنفصم عراه، وطائفة ملتئمة من الآيات لا تحتمل التقطيع وإنما النظر يكون في كل آياتها واستيفاء معانيها بتمامها.

2. إن جمع القرآن الكريم لموضوعات عدة، تصب في محور واحد، في سورة واحدة، لأمر عجيب ومعجز حقا، إذ هو يلائم بين موضوعات قد تبدو مختلفة، ولكنها بصياغة خاصة يبدو ذاك الترابط العجيب، وذلك التناسق المعجز مما يدل دلالة قاطعة أن البشر لن يستطيعوا أن يأتوا بسورة من مثل القرآن الكريم.

3. سورة لقمان من السور المكية، فهي تهدف إلى إصلاح العقيدة، تقرر في مطلعها الإيمان الجازم بالمعجزة الخالدة، ومن ثم الإيمان بالنبوة للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه، كما تقرر الوحدانية لله الواحد الخالق لهذا الكون الفسيح، بالإضافة إلى الإيمان بالبعث والنشور والجزاء والدار الآخرة وأنه حق لا ريب فيه.

4. حيثما ورد في السورة بل في القرآن الكريم ترغيب إلا قارنه ترهيب فقد ذكرت السورة في مطلعها أن الناس قسمان: محسنون مهتدون بهدي القرآن الكريم، وضالون معرضون عن هدي القرآن الكريم. ثم ذكرت السورة مصير كل منهما، وهكذا تذكر في وسطها أن الناس أمام نعم الله صنفان: صنف شاكر لنعم ربه، و صنف جاحد لنعم ربه، ثم جزاء كل من الصنفين.

وهو درس بليغ يتعلمه المؤمن فلا يستولي اليأس على قلبه لأنه من خصال الكافرين، ولا يخيم القنوط على قلبه لأنه من شيم الضالين، بل يبقى دائما معتدلا بين الخوف والرجاء.

5. حروف التهجي في فواتح السور تباينت أقوال العلماء في مدلولها. ولعل الجمع بين الرأيين أن نعتقد أنها من كلام الله عز وجل وأنها من الإعجاز القرآني، كما أن لها معنى قد لا يدركه كل البشر، وأن وجودها لا يقدح في هداية القرآن الكريم.

6. من الأمور التي يجب أن نفقهها، وأن تستقر في عقولنا أنه لا سعادة لنا بغير القرآن الكريم، ولا عزة دون الاهتداء بهديه. وأن الشقاوة والتعاسة والخسران الدائم في الإعراض والصد عنه.

7. الإسلام دين شريعة وعمل ذلك أن الإيمان يحتاج إلى برهان يصدق ذلك وأعظمه هو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والتصديق باليوم الآخر.

8. كما يدعو إلى ضرورة التكافل الإجتماعي والوقوف إلى جانب الضعيف وذلك بفرض حق معلوم في مال الأغنياء للسائل والمحروم.

9. من دلالات إصلاح العقيدة إرشاد العباد إلى حقائق كونية وأخبار غيبية كالبعث والجزاء. فالكون كله مربوب لله عز وجل، وأن جميع مظاهره المختلفة لتدل دلالة قاطعة على ذلك. تحدى الله مشركي مكة وأمثالهم أن يخلقوا أدنى شيء في هذا الكون الفسيح مما يثبت ضعف المخلوق، أمام القدرة الإلهية.

10. مجمل دروس السورة تمحورت حول الحكمة، فالحكمة هي إكرام وإفضال من المولى سبحانه على بعض عباده تستوجب الشكر.

11. دعوة التوحيد لم تكن دعوة خاصة بالأنبياء والرسل فقط، بل كانت دعوة الحكماء أيضا، فكان لقمان الحكيم يوصي ابنه بأصول الدين ومكارم الأخلاق، والالتزام بشرع الله عز وجل.

12. بينت السورة الكريمة منهج التربية على لسان لقمان الحكيم ولعل أبرزه ما يلي:

أ- الوعظ والإرشاد: وموضعهما كمال التوحيد وكمال الإخلاص في العبادة لله عز وجل وتطهير القلب من كل شوائب الشرك.

ب-حق الأولاد في التوجيه والتسديد.

ج- أن يكون أول موضوعات الوعظ والإرشاد هو تصحيح العقيدة بالدعوة إلى توحيد الخالق جل وعلا والبعد عن أدران الشرك به.

د- حسن العلاقة مع الوالدين، فإن لم تكن العلاقة طيبة معهم، فإنه يصعب التوجيه والنصح والتأثير في الابناء.

هـ- مصدر التلقي عند الإنسان لا يجوز إلا أن يكون من الله عز وجل، وممن اتبع سبيل الله.

و- ضرورة صحبة الصالحين والعلماء والحكماء والأخذ عنهم.

ز- الأمر بإقامة الصلاة لتوطيد الصلة بين الإنسان وخالقه، إذ هي الفارق بين المؤمن والكافر، وهي من الأساسيات في استقامة السلوك.

ح- تنشئة الابناء على تعودهم على حب الخير للآخرين، وذلك كالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نغرس فيهم أنه لا يمكن تحقيقه إلا بعد تضحية وصبر واتصاف بأخلاق عالية.

ط- الحرص الدائم على الآداب القويمة من الاعتدال في المشي ، والغض من الصوت، والعمل على التجمل بخلق التواضع الذي هو دأب الحكماء والصالحين.

13. آية التسخير تلفت أنظار الخلائق أجمعين مسلمهم وكافرهم إلى نعم الله وآلائه التي منحنا الله إياها بتسخير ما في السماوات وما في الأرض، ولولاها لما استطاع الناس الحياة في هذا الكون فهي آية معجزة تدل على صانع هذا الكون الفسيح الواحد الأحد الذي يستحق وحده الشكر، والتسليم له في جميع الأشياء.

14. تقرر السورة في أكثر من آية حقيقة البعث وأنه واقع لا محالة وسوف تعود الحياة إلى الأجسام التي رمت وبليت، وليس هذا غريبا في حق من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر.

15. مشركو مكة يعترفون بوجود الخالق لكنهم يشركون معه غيره وينكرون حقيقة البعث، وهؤلاء تم التعامل معهم كما جاء في السورة بالرد على كل الوجوه التي يحتمل أن تكون شبها لهم بالحجج والبراهين القاطعة.

16. بينت السورة بعض دوافع التكذيب بالبعث، منها حب الإعتداء الظالم، والاستمرار في مسلك الجريمة والإثم، كما تعود إلى إرادة الفجور والطغيان.

17. كما بينت بعض أسباب الضلالات في الاعتقاد منها:

أ- الانحراف الفكري عن منهج التفكير السليم، ومن عوامله الغرور بالنفس والإعجاب بها، بالإضافة إلى ضعف العقل مما يجعل الإنسان يتقبل الأفكار الباطلة، وأيضا التقليد الأعمى وهذا ما جعل مشركي مكة لما دعاهم رسول الله إلى دعوته عارضوا دعوته بحجتهم التافهة.

ب- الإنحراف النفسي عن منهج الخلق القويم: ومن عوامله الحسد والكبرياء إذ هما من العوامل الصارفة عن الاستجابة للحق.

18. الجدال والمراء في ذات الله مذموم، ويزداد فظاعة وقبحا عندما يكون عن جهل ودون مراعاة لضوابط الجدال.

19. الإعتصام المتين في الإخلاص للمولى عز وجل، والتوكل عليه في جميع الأمور.

20. تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدم إيمان المشركين، فعلى الداعية أن يدعو إلى الله وفق أخلاق عالية، والنتائج على الله عز وجل.

21. إقرار قانون الجزاء الرباني وإعلانه هو أثر من صفة العدل الإلهي، وأن الإنسان لم يخلق عبثا وإنما لوظيفة تتمثل في عبادة الله وحده.

22. من الإعجاز الكوني تعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر وجريان الفلك في البحر، كل ذلك من المعجزات التي تستدعي النظر والتأمل، ذلك لأنها توحي إلى وجود الخالق سبحانه، وأنه وحده القادر على كل شيء المتصف بصفات الكمال، المتنزه عن كل صفات النقص.

23. لا يجحد الآيات القرآنية والكونية إلا الغادر الكفور لنعم ربه سبحانه، ولا شك أن هذا من صفات المشركين والمنافقين حيث يلجؤون إلى ربهم عند الضراء والشدة، ويتنكرون ذلك عند السراء واليسر.

24. تحقيق الحياة الطيبة والسعادة الأبدية في تقوى الله عز وجل، فالمتقون هم المهتدون بآيات الكتاب الحكيم، العاملون بكل أوامره ونواهيه.

25. التحذير من الاغترار بالدنيا ومفاتنها والحذر من اتباع الشيطان وجنوده ذلك لأنهما من أشد الأعداء على الإنسان.

26. الإيمان بالغيب من صفات المحسنين المتقين، وإن من الغيب ما أطلع الله عليه بعض عباده ممن ارتضاهم، وإن من الغيب ما استأثر الله بعلمه، لا يعلمه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وذلك مثل مفاتح الغيب الخمسة. وهي المذكورة إجمالا في سورة الأنعام، وتفصيلا في سورة لقمان.

27. تمكن الإنسان المعاصر من الإطلاع على بعض العلوم الجزئية التي لها علاقة بهذه المفاتح الخمس مثل اكتشاف بعض الأسباب لنزول الغيث، وكمعرفة جنس الجنين ذكرا أو أنثى لا يعد من علم الغيب إنما هو مجرد علامات وأدلة تدخل في مقدور الإنسان، ولا سيما أن بعضها قد يكون أحيانا في مرتبة الظن لا في مرتبة اليقين.

28. إحاطة علم الله سبحانه بجميع الكائنات ظاهرها وباطنها.

توصيات:

تعتبر سورة لقمان أرضية خصبة لبحوث متنوعة في مجال القرآن الكريم وتفسيره وعلومه، وفي حاجة إلى مزيد الاهتمام والدراسة من أجل الوقوف على نفائسها واستخلاص دررها، لذا فإن ما تجدر الاشارة إليه ما يلي:

- ضرورة توسيع الدراسة ضمن دائرة التفسير الموضوعي مما يجعل الإنسان يهتدي بآيات الكتاب الحكيم، ويستضيء بنوره.
- سورة لقمان تعد النموذج الأمثل للمربين، إذ يمكن للباحثين أن يستخلصوا منها مزيدا من المناهج التربوية الناجحة.

- كما يمكن للباحثين أن يستخلصوا منها المنهج الميسر في غرس عقيدة التوحيد، وكيفية إدحاض الشبه الباطلة.
- في السورة جل أنواع وأوجه الإعجاز القرآني، بحيث يمكن للباحثين أن يعالجوها من زاوية الإعجاز.
- الوقوف على الحياة الإجتماعية والثقافية لأهل مكة وما جاورها زمن نزول الوحي، مما ييسر ربط الفرع بالأصل.

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت للإجابة عن بعض الأسئلة المطروحة في الإشكالية.

أسأل الله سبحانه أن يعلمني ما جهلت ويعلمني ما ينفعني، وينفعني بما علمني، ويزدني علما والحمد لله رب العالمين.

The letter digest

Thanks to God, Lord of the worlds, and prayer and peace upon the noblest messenger.

Each sura of the Holy Koran has a unique subject. Which is a group of axes that combined to form that subject, which is called the subject of sura and its full and comprehensive view

Surat Loqman is one of these surats that we are going to consider so as to show how the Holy Koran dealt with its topics; and what is the link between these topics in this sura.

Surat Loqman which descended in Mecca focuses on the reform of the faith. It includes the assets of the faith as the unification of the Almighty; the faith in the Day of Judgment and the faith in the Prophet and its immortal message.)PBUH (

Surat Loqman was named like this because it embodied the story of Loqman al-Hakim, who realized the essence of wisdom through his knowledge of the singularity of God and his worshipping.

This sura is the fifty-seventh surah; it was descended after Surat Alsaffat and before surat Saba. The number of its verses is thirty-three in the counting of the people of Medina and Mecca, and thirty-four in the counting of the people of Al-Sham, Basra and Kufah. And the latter is the counting that we have adopted.

We have mentioned the sura that is after this surah because most of what came in it is a breakdown to what was gathered in the sura before it or a confirm to what came in it.The link between this sura and the sura came after it was mentioned because both of surat Loqman and lssajda include evidences of the unification; which is the first origin of faith. In addition to that the verses of surat Alssajda is an explanation and a breakdown to what is in surat Loqman

to tell them the)PBUH (The reason for descending this sura was that unbelievers asked the prophet story of loqman and his son.

:The sura is consisting of three clear parts

The first fragment starts from the beginning of the SURA to the tenth verse; the second fragment ends at the Verse eighteen, and the last one until the end of the sura, at the verse Thirty-four; and this is what made me classified this message to three chapters, led by the introductory chapter which shows the location of this sura ;its favour and the events which linked it with what is included in and what is beyond it.

:This sura is consisted of the following topic

The beginning of the sura talked about the guidance of the Holy Koran as it is a Constitution of Hidayat and mercy; then it showed the people ′s opinion of these verses. Believers believe in holy Koran and follow its rules, while unbelievers mock at and opposite its verses. After that; the verses talked about the impressive evidences of al-Tawhid and the amazing ability, and that all what is in the universe was created by God the Almighty. This was an introduction to the story of Lukman.

Then the verses spoke about the story of Lukman Hakim and his immortal recommendation. It started with the noteworthy wisdom which was gifted to him by God and the matter to thanking God for these blessing gifts.loqman thanked God for his gifts and he recommended his son with his immortal recommendation, which are regarded the optimal model for parents, educators, social workers and reformers; and also in their entirety they are commandments to the reform of the conditions of the individual and the reform of the conditions of the community.

In addition to that; the verses spoke about how unbelievers insisted on reunification although their watching to evidences of the unification; and disguising God′ s inner and outer gifts.It also demonstrated people's attitude towards God′ s gifts, that is divided into two groups; one group don't believe in the book al-Hakim and they stick to what their parents and grandparents were founded on, and the other Group of Mohsen stick to God and they thank him.Then the sura added other evidence on the capacity of God and that resurrection is true and also that God is surrounding all the things.

The sura was concluded by the urge to strengthen God the Almighty and warning of the invitation of the devil, and warning also to the invalidity of the Claim of knowing the forecast

So all the subjects of this sura guide to one major axe embodied in the faith with the Almighty and work under this faith.

Researchers could draw further study from this sura, itself, where it is regarded a fertile ground for a variety of research in the field of the Holy Koran and its interpretation and sciences.

الآية	السورة والآية	الصفحة
	البقرة	
﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	البقرة: من الآيتين 1و2.	198
﴿ٱلذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلاَرْضَ فِرَاشاً﴾	البقرة: من الآية 21	81
﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾	البقرة: من الآية 29	43
﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِےٓ اُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّىَ فَارْهَبُونِ﴾	البقرة: من الآية 39.	187
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿وَارْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾	البقرة: من الآية 42	45، 46
﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ ...﴾	البقرة: من الآية 44	47،124،122
﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾	البقرة: من الآية 104	96
﴿ٱلذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ... فَاُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	الآية 120	38
﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِے نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾	البقرة: من الآية 122	201
﴿وَأَوْ صَىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ... فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	البقرة: الآية 131	104
﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلتِے كُنتَ عَلَيْهَآ ... إِنَّ ٱللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ يرَّحِيمٌ﴾	البقرة: من الآية 142	116
﴿وَاشْكُرُواْ لِے وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾	البقرة: من الآية 151	154
﴿وَ لَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَالْجُوعِ ... هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾	البقرة:الآيات154،155، 156	119،122،124
﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	البقرة: من الآية 168	206
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾	البقرة: الآية 169	158،66
﴿وَاشْكُرُواْ لِلهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	البقرة: من الآية171	100،131،154
﴿وَالصَّٰبِرِينَ فِے ٱلْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ اُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ صَدَقُواْ وَاُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	البقرة: الآية 176	193،182
﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَٰٓاُوْلِے ٱلاَلْبَٰبِ﴾	البقرة: من الآية 196	200
﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة: من الآية 193	195
﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِے أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾	البقرة: من الآية 233	112
﴿مَّثَلُ ٱلذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ ... وَاللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَّشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	البقرة: الآية 260	167
﴿يُوتِے ٱلْحِكْمَةَ مَنْ يَّشَآءُ ... وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ اُوْلُواْ ٱلاَلْبَٰبِ﴾	البقرة: الآية 268	94
﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	البقرة: من الآية281	99، 196
	ءال عمران	
﴿فَأَمَّا ٱلذِينَ فِے قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ....وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُۥ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾	آل عمران: من الآية 7	31
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَطِيرِ ... وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾	آل عمران: الآيتان 14،15	208
﴿قَالَ رَبِّ إِجْعَل لِّےَ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ... ﴾	آل عمران: من الآية 41	33
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	آل عمران: من الآية 102	194
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ... وَاُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	آل عمران: الآية 104	117

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾	آل عمران: من الآية 110	118
﴿وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّكِرِينَ﴾	آل عمران: من الآية 144	97
﴿وَسَنَجْزِى الشَّكِرِينَ﴾	آل عمران: من الآية 145	97
﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّبِرِينَ﴾	آل عمران: من الآية 146	120
﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	آل عمران: من الآية 159	125
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَـوَتِ وَالاَرْضِ وَاخْتِلَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	آل عمران:الآيتين 190،191	79
﴿يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	آل عمران: الآية 200	119
	النساء	
﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوةَ﴾	النساء: من الآية 16	45
﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـناً﴾	النساء: من الآية 36	132
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىَ هَـؤُلآءِ شَهِيداً﴾	النساء: الآية 41	39
﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	النساء: من الآية 47	105، 106
﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَـبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾	النساء: من الآية 53	93
﴿إِنَّ الصَّلَوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُومِنِينَ كِتَـباً مَّوْقُوتاً﴾	النساء: من الآية 102	46
﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُومِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً﴾	النساء: من الآية 114	143
﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَـنُ إِلاَّ غُرُوراً﴾	النساء: الآية 119	206
﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ اوتُواْ الْكِتَـبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللَّهَ﴾	النساء: من الآية 130	193
	المائدة	
﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾	المائدة: من الآية 6	153
﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوِيهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّـلِمِينَ مِنْ انصارٍ﴾	المائدة: من الآية 74	106
﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾	المائدة: من الآية 98	193
	الأنعام	
﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَـتِ وَالنُّورَ﴾	الأنعام: من الآية 1	174
﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَـبِ مِن شَىْءٍ﴾	الأنعام: من الآية 39	37
﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ﴾	الأنعام: من الآية .6	209
﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوۤاْ إِيمَـنَهُم بِظُلْمٍ اوْلَـئِكَ لَهُمُ الاَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	الأنعام: الآية 83	100
﴿وَالْمَلَـئِكَةُ بَاسِطُوۤاْ أَيْدِيهِمْ ... وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾	الأنعام: من الآية 94	65
	الأعراف	
﴿وَلاَ تُسْرِفُوۤاْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾	الأعراف: من الآية 29	84
﴿وَلَوْ انَّ أَهْلَ الْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ﴾	الأعراف: من الآية95	194، 195
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	الأعراف: من الآية 146	65
﴿هُدىً وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾	الأعراف: من الآية 154	200
﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُوتُونَ الزَّكَوةَ﴾	الأعراف: من الآية 156	196

﴿وَإِذَ اَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾	الأعراف: الآية 172	185
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾	الأعراف: من الآية 187	210
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾	الأعراف: الآية 201	207
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	الأعراف: الآية 204	39
	الأنفال	
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	الأنفال: الآية 27	47
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا...وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾	الأنفال: الآية 29	99، 195
﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾	الأنفال: من الآية 35	43
	التوبة	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	التوبة: من الآية 4	195
﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾	التوبة: من الآية 28	100
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾	التوبة: من الآية 104	43،51
﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾	التوبة: الآية 114	140
	يونس	
﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ... نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	يونس: الآية 5	175
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ... مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	يونس: الآية 12	186
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ ... تَعْمَلُونَ﴾	يونس: الآيتان 22،23.	185
﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ ... نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	يونس: الآية 24	204
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... ﴾	يونس: من الآية 26	53،75/36
﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾	يونس: من الآية 45	200
﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾	يونس: الآية 48	207
﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ... إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	يونس: الآية 66	86
﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾	يونس: من الآية 107	187
	هود	
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	هود: الآية 11	123
	يوسف	
﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾	يوسف: من الآية 108	162
	الرعد	
﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	الرعد: من الآية 3	83
﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	الرعد: من الآية 8	35
﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾	الرعد: من الآية 9	211
	إبراهيم	
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾	إبراهيم: الآية 9	100، 154
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾	إبراهيم: من الآية 33	126، 151
﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾	إبراهيم: من الآية 37	108

	الحجر	
﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾	الحجر: الآية 16	78
﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ... وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾	الحجر: الآيات 23/22/21	83
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلاَّ مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾	الحجر: الآية 42	207
﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾	الحجر: الآية 99	187
	النحل	
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ﴾	النحل: من الآية 18	127،151،154
﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾	النحل: من الآية 91.	187
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ... أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾	النحل: الآية 97.	56،165
﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلهِ حَنِيفاً ... ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	النحل:الآيات120/121/ 122	99
﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾	النحل: من الآية 126.	119
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلذِينَ ٱتَّقَواْ وَّالذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾	النحل: الآية 128.	36
	الإسراء	
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلتِي هِيَ أَقْوَمُ .... أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾	الإسراء: الآية 10.	أ، 36
﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَلِتَعْلَمُواْ ... عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾	الإسراء: من الآية 12.	175
﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾	الإسراء: من الآية 12.	174
﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُوراً﴾	الإسراء: الآية 27	84
﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾	الإسراء: من الآية 34.	187
﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلاَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً﴾	الإسراء: من الآية 37.	128
﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾	الإسراء: من الآية .4	77
﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾	الإسراء: من الآية 64.	61
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ... وَكَانَ ٱلإِنسَٰنُ كَفُوراً﴾	الإسراء: الآية 67.	185
﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾	الإسراء: من الآية 109.	43
	الكهف	
﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَٰهِراً﴾	الكهف: من الآية 23.	157
﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَّشَآءَ ٱللَّهُ﴾	الكهف: من الآية 34.	213
﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطاً﴾	الكهف: الآية 28.	143
﴿ٱلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾	الكهف: الآية 45.	205
﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً﴾	الكهف: من الآية 86.	160
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَداً﴾	الكهف: من الآية 105	106،161،165
	مريم	
﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾	مريم: الآية 59.	47، 117
﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عُتِيّاً﴾	مريم: الآية 69.	65
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ... وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جُثِيّاً﴾	مريم: الآيتان 81 و82.	196

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ إِلاَّ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْداً ... يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْداً﴾	مريم: الآيتين 95،96.	85
	طه	
﴿طَٰهَٰ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾	طه: الآية 1	38
﴿ٱلذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ مَهْداً﴾	طه: من الآية 52.	80
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ... وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[738].	طه:لآيات 122/123/124.	70
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾	طه: من الآية 130.	43
	الأنبياء	
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	الأنبياء: الآية 22.	64
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنبياء: من الآية 30	82
﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ...وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾	الأنبياء: من الآية 47	112
﴿إِنَّ ٱلذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا ... هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	الأنبياء:الآيات102،101،100	198
	الحج	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ... وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾	الحج: الآيتان 1و2	199
	المومنون	
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُومِنُونَ ۝ ٱلذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾.	المومنون: الآيتين 1و2.	46
﴿وَالذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	المومنون: الآية 9.	46
﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَٰسِرُونَ﴾	المومنون: الآية 34.	66
﴿فَقَالُوٓاْ أَنُومِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾	المومنون: الآية48	66
﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾	المومنون: من الآية 101.	167
	النور	
﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	النور: من الآية 61.	72
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً﴾	النور: من الآية 42	82
	الفرقان	
﴿أَسَٰطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	الفرقان: من الآية 5.	68
﴿وَقَالَ ٱلذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ... وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً﴾	الفرقان: الآية 21.	66
﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾	الفرقان: من الآية 29.	206
﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُوراً﴾	الفرقان: الآية 30	38، 38
﴿أَمْ ﴿أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ... بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾	الفرقان: الآية .44	115
	الشعراء	
﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	الشعراء: الآيتين 97و98.	105
﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۝ إِلاَّ مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	الشعراء: الآيتان 88/89.	203
	النمل	
﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾	النمل: من الآية .41	101

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾	النمل: الآية 41.	164
	القصص	
﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنَ اَحْبَبْتَ﴾	القصص: من الآية 56	35
﴿قُلْ اَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً اِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	القصص:الآيات73/72/71	174
﴿وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتِيكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلاَخِرَةَ ... إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	القصص: الآية .77	208
	العنكبوت	
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	العنكبوت: من الآية 45	49،56،46،45
﴿فَلَمَّا نَجَّيٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾	لعنكبوت: من الآية 65.	184، 185
	الروم	
﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِى أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضَ وَمَا ..... ﴾	الروم: من الآية 7	10
﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلاَرْضِ﴾	الروم: من الآية 8	10
﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾	الروم:من الآية 10	10
﴿فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾	الروم:من الآية 14	9
﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾	الروم:من الآية 18	10
﴿نُفَصِّلُ ٱلاَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	الروم:من الآية 27	11
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ	الروم: الآية 32	11
﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِى أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ ... فَاُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾	الروم: الآية 37.	52
﴿ٱللَّهُ ٱلذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ... إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾	الروم: الآية 47.	211
﴿وَقَالَ ٱلذِينَ اُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَالايمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾	الروم: من الآية 55.	9
﴿وَلَقَد ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾	الروم: من الآية 57.	9، 11
	السجدة	
﴿يُدَبِّرُ ٱلاَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ اِلَى ٱلاَرْضِ﴾، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾	السجدة: من الآية 4	13
﴿ٱلذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾	السجدة: من الآية 6	13
﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلاَرْضِ﴾	السجدة من الآية 9	13
﴿قُلْ يَتَوَفَّيٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾	السجدة، من الآية 11	13
﴿وَلَوْ شِئْنَا لاَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدِيٰهَا﴾	السجدة: من الآية 13	13
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾	السجدة: الآية 24	119
﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ اَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلاَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾	السجدة:من الآية27	13
	الأحزاب	
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيباً﴾	الأحزاب: من الآية 52.	112
	سبأ	
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾	سبأ: من الآية .13	100

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	سبأ: الآية 29.	209
﴿يَقُولُ ٱلذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُومِنِينَ﴾	سبأ: من الآية 31.	65
	فاطر	
﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾	فاطر: من الآية 2.	187
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾	فاطر: الآية 15.	165
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	فاطر: من الآية 28.	194
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَٰتِ﴾	فاطر: من الآية 32.	184
	يس	
﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلاَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ فَإِذَا ... هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾	يس: الآيات 52/51/50.	177
﴿أَلَمَ اَعْهَدِ اِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ... هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾	يس: الآيتين 60/59.	159، 188
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً اَنْ يَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ... وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	يس: الآيتان 82/81.	166،165
	الصافات	
﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾	الصافات: الآية 143	43
	ص	
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾	ص: من الآية 19.	93
﴿كِتَٰبٌ اَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ اُوْلُواْ ٱلاَلْبَٰبِ﴾	ص: الآية 28.	أ،39،33
	الزمر	
﴿فَاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ﴾	الزمر: من الآية 2.	161
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾	الزمر: من الآية 3.	108
﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾	الزمر: من الآية 7	100
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	الزمر: من الآية 11.	119
﴿إِللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰباً ... إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	الزمر: من الآية 22.	58
﴿قُلَ اَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَ اَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ... عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾	الزمر: من الآية 36	187
﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾	الزمر: من الآية 44.	208
﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَنْ يَّاتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾	الزمر: الآية 51.	160
﴿وَسِيقَ ٱلذِينَ اِتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً ... فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾	الزمر: الآية 70	197
	غافر	
﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾	غافر: الآية 16	203
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	غافر: الآية 60	60، 186
﴿ٱللَّهُ ٱلذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلاَرْضَ قَرَاراً﴾	غافر: من الآية 64.	80
﴿اُدْخُلُوٓاْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾	غافر: الآية 75.	65

	فصلت	
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ﴾	فصلت: من الآية 10.	78
﴿وَقَالَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـذَا ٱلْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾	فصلت: الآية 25.	58/32
﴿قُلْ هُوَ لِلذِينَ ءَامَنُواْ هُدىً وَشِفَآءٌ ... وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾	فصلت: من الآية 43	64
	الشورى	
﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِهَاً﴾	الشورى:من الآيتين 16/15	209
﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ ٱلْبَلَغُ﴾	الشورى: من الآية 48.	169
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيۤ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	الشورى من الآية 49	35
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَاً .... تَصِيرُ ٱلأُمُورُ﴾	الشورى:الآيتين:50/49	37
	الزخرف	
﴿بَلْ قَالُوۤاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم ... قَالُوۤاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾	الزخرف:الآيات21،22،23 .	158
﴿وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾	الزخرف: من الآية 34	196
﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	الزخرف: الآية 30.	66
	الدخان	
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مُقَامٍ أَمِينٍ﴾	الدخان: من الآية 48.	196
	الجاثية	
﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ ءَايَـٰتٍ لِّلْمُومِنِينَ﴾	الجاثية: من الآية 2.	81
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ﴾	الجاثية: من الآية 12.	126، 151
﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ ٱلدَّهْرُ﴾	الجاثية: من الآية 23.	173
	الأحقاف	
﴿وَوَصَّيْنَا ٱلإِنسَـٰنَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَـٰثُونَ شَهْراً﴾	الأحقاف: من الآية 14.	135
	محمد	
﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾	محمد: الآية 25.	39
	الفتح	
﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾	الفتح: من الآية 26.	194
	ق	
﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوۤاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾	ق: من الآية 6	78
﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾	ق: الآية 21	199
	الذاريات	
﴿وَفِي ٱلأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِيۤ أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾	الذاريات: الآيتان 21/20.	179،181،169
﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	الذاريات: الآية 47	78
﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾	الذاريات: الآية 48	81

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالِانسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات: الآية 56	186
	النجم	
﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلِانسَٰنِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾	النجم: الآيات 39/38/37.	202
﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾	النجم: الآية 60.	61
	القمر	
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾	القمر: الآيتان 55/54.	197
﴿إِعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ... وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾	الحديد: الآية 19.	204
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	الحديد: من الآية 4	112
	المجادلة	
﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	المجادلة: الآية .19	206
	الحشر	
﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	الحشر: من الآية 09.	52
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ...وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	الحشر: الآية 18.	193
﴿لَوَ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ... نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	الحشر: الآية 21	64
	الممتحنة	
﴿لاَّ يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾	الممتحنة: من الآية 8.	140
	الطلاق	
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجاً ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾	الطلاق: من الآيتين 2و3.	196
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥ أَجْراً﴾	الطلاق: من الآية 5	196
﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾	الطلاق: من الآية 12.	168
	الملك	
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾	الملك: من الآية 2	162
﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾	الملك: من الآية 3	78
	المعارج	
﴿ٱلذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾	المعارج: الآية 23	46
	المزمل	
﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً﴾	المزمل: الآية .16	199
	الإنسان	
﴿وَجَزِيهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً﴾	الإنسان: الآية 12	123
	النازعات	
﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَيٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّيٰهَا﴾	النازعات: الآيتين 28/27	78

عبس		
﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنۡ أَخِيهِ ... لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾	عبس: الآيات 36/35/34.	176، 201
	التكوير	
﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ... عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾	التكوير:من الآية1إلى الآية14.	198
	الغاشية	
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ... فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾	الغاشية: الآيات 17-21.	169
	الشمس	
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	الشمس: الآيتين 9و10	117
	البينة	
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾	البينة: من الآية 5	161
﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾	البينة: من الآية 8.	200
	الزلزلة	
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾	الزلزلة: الآيتين 7و8.	26،112،202
	الماعون	
﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	الماعون: الآيتين 4و5.	47، 117
	الإخلاص	
﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ... وَلَمْ يَكُن	سورة الإخلاص.	107

فهرس الأحاديث

الرقم	مطلع الحديث	الصفحة
1	أنزلت سورة لقمان بمكة	5
2	لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن	6
3	التوراة قليل من كثير	7
4	كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم الظهر ونسمع منه الآية..	22
5	... قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه	35،53،162،210
6	يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة	38
7	من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة	38
8	اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه	39
9	كانت تنزل علينا الآية في عهد رسول الله فنحفظ حلالها وحرامها	39
10	إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطرا فليطعم	42
11	ولما ولدت أسماء عبد الله بن الزبير	43
12	اللهم صل على محمد	43
13	رأس الأمر كله الإسلام وعموده الصلاة	45،116
14	بني الإسلام على خمس	46
15	الصلاة عماد الدين	46
16	أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة	48
17	خمس صلوات إفترضهن الله	48
18	أرأيتم لو أن نهرا	48
19	من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه	59
20	يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا	64
21	الكبر بطر الحق وغمض الناس	65
22	لما خلق الله الأرض جعلت تميد	80
23	لا يشكر الله من لا يشكر الناس	98
24	قالوا أينا لم يلبس إيمانه بظلم	105
25	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	106،135
26	اجتنبوا السبع الموبقات	106
27	أنا أغنى الأغنياء عن الشرك	111
28	لا تكثر همك ما يقدر يكون	114
29	مروا أبناءكم بالصلاة لسبع	116
30	والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف	117
31	من يتصبر يصبره الله	119

32	ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط	125
33	يأتي على الناس زمان ليس فيهم إلا أصعر أو أبتر	125
34	كل صعار ملعون	125
35	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر	126
36	بينما رجل يتبختر في مشيه إذ خسف الله به الأرض	126
37	أكل رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله	126
38	إذا سمعتم صياح الديكة	128
39	إن الله أوحى إلي أن تواضعوا	129
40	رضى الله في رضى الوالدين	134
41	أحي والداك	134
42	إن من الكبائر شتم الرجل والديه	135
43	نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما	136
44	من أبّر؟	137
45	لا طاعة لأحد في معصية الله	139
46	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	139
47	قدمت أمي وهى مشركة في عهد قريش	140
48	أتتني أمي راغبة في عهد النبي صلى الله	140
49	رغم أنفه، ثم رغم أنفه	144
50	الظاهرة الإسلام وما حسن من خلقك	152
51	أفلا أكون عبدا شكورا	154
52	إنما الأعمال بالنيات	161
53	كل مولود يولد على الفطرة	164
54	سبعة يظلهم الله	167
55	سبحانك لا نحصي ثناء عليك	168
56	الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر	181
57	والصبر ضياء	182
58	عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير	182
59	إذا سألت فاسأل الله	186
60	لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به	188
61	الحلال بين، والحرام بين	193
62	لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين	195
63	يغرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم	199
64	إن الدنيا حلوة خضرة	205
65	أترون هذه هينة على صاحبها؟	205
66	مفاتح الغيب خمس	209
67	وكل الله بالرحم ملكا يقول	213

68	إذا أراد الله قبض عبد بأرض	214

فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم	المؤلف	الصفحة
01	ابن أبي نجيح	61
02	ابن الخطيب	33
03	ابن الضريس	05
04	ابن المنير	197
05	ابن زيد	185
06	ابن شجرة	179
07	ابن عينة	120
08	ابن قتيبة	93
09	ابن مليق	93
10	أبو جعفر بن الزبير	10
11	أبو حيان	05
12	أبو عبيدة	206
13	البقاعي	10
14	البيضاوي	04
15	الطيبي	210
16	الضحاك	206
17	النحاس	03
18	النقاش	179
19	ثور بن أبي فاختة	61
20	عكرمة	206
21	يحيى بن سلام	121

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. إبراهيم علي أبو الخشب، **عقود الجمان في تفسير سورة لقمان**، بدون رقم وتاريخ الطبعة (مصر، مكتبة الجنيدي).

2. ابن الجزري الشافعي الدمشقي، **تقريب النشر في القراءات العشر**، تحقيق علي عبد القدوس عثمان، ط01 (بيروت، دار إحياء التراث العربي، سنة1421هـ-2002م).

3. أبو إسحاق إبراهيم اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، **الموافقات في أصول الأحكام**، بدون رقم وتاريخ الطبعة (دمشق، دار الفكر).

4. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان في تفسير القرآن**، تحقيق أبي محمد بن عاشور، ط01 (بيروت، دار إحياء التراث العربي، سنة1422هـ-2002م).

5. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط01 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1403هـ-1983م).

6. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول**، بدون رقم الطبعة (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، سنة1388هـ-1968م).

7. أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري، **النكت والعيون تفسير الماوردي**، تحقيق خضر محمد خضر، ط01 (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة1982م).

8. أبو الحسين بن أبي يعلى محمد بن محمد، **طبقات الحنابلة**، تحقيق محمد حامد الفقي، ط01 (بيروت، دار المعرفة، 1371هـ).

9. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم (الجامع الصحيح)**، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1421هـ-2001م).

10. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بدون رقم الطبعة (بيروت، المكتبة العلمية، سنة 1399هـ-1987م).

11. أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق محمد بن عبد الرحمان عبد الله، ط01 (بيروت، دار الفكر، سنة1407هـ-1987م).

12. أبو الفرج عبد الرحمان بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، تحقيق وليد بن محمد بن سلامة، ط01 (الأزهر، مكتبة الصفا، سنة1422هـ-2002م).

13. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، ط01 (بيروت، دار الفكر للنشر والتوزيع، سنة1428/1429هـ-2008م).

14. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق محمود شكري الألوسي البغدادي، بدون رقم وتاريخ الطبعة (بيروت، دار إحياء التراث العربي).

15. أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل**، ط7 (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، بدون تاريخ الطبعة).

16. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبي الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني بدون رقم الطبعة (دار الحرمين، سنة 1415هـ-1995م)

17. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط2 (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، سنة 1397هـ).

18. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، **تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق علي شبري، ط01 (لبنان، بيروت، دار الفكر، سنة 1419هـ-1998م).

19. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط03 (بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، سنة1424هـ-2002م).

20. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط01 (بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، سنة 1421هـ-2000م).

21. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط01 (بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1405هـ-1985م).

22. أبو بكر جابر الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط03 (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، سنة1409هـ).

23. أبو بكر الباقلاني، **إعجاز القرآن للباقلاني**، ط01 (بيروت، دار مكتبة الهلال، سنة1993م).

24. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ط02 (بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ الطبع).

25. أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، تحقيق عبد الله الخالدي، بدون رقم الطبعة (بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، سنة1418هـ-1998م).

26. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، **تفسير اللباب في علوم الكتاب**، بدون رقم وتاريخ الطبعة (بيروت، دار الكتب العلمية).

27. أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، **سنن بن أبي داوود**، تعليق عزت عبيد الدغانس وعادل السيد، ط1 (بيروت، دار ابن حزم، سنة 1418هـ-1997م).

28. أبو عبد الرحمان السيوطي، **أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول**، ط01 (سوريا، دار القلم العربي، سنة1425هـ-2004م).

29. أبو عبد الرحمان السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن الكريم**، تحقيق عبد القادر عطا، بدون رقم وتاريخ الطبع (القاهرة، دار الإعتصام).

30. أبو عبد الرحمان السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق عبد الرحمان فهمي الزواوي، ط01 (القاهرة، دار الغد الجديد، سنة1427هـ-2006م).

31. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ط03 (السعودية، مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة، سنة 1409هـ-1989م).

32. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، خرج أحاديثه محمد عبد الله بدون رقم وتاريخ الطبع (دار التقوى للنشر والتوزيع).

33. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة**، تحقيق محمد أحمد عيسى، ط01 (المنصور-مصر، دار الغد الجديد، سنة 1426هـ-2005م).

34. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، بدون رقم الطبعة (بيروت، المكتبة الثقافية، 1403هـ-1983م).

35. أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند احمد بن حنبل**، بدون رقم وتاريخ الطبع (القاهرة، مؤسسة قرطبة).

36. أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، بدون رقم وتاريخ الطبع (بيروت، دار الكتب العلمية).

37. أبو عبد الله محمد الطالب بن سيدي حمدون بن الحاج، **حاشية أبي عبد الله محمد الطالب بن سيدي حمدون بن الحاج على شرح محمد بن أحمد الفاسي الشهير بميارة لمنظومة بن عاشر**، بدون رقم وتاريخ الطبعة، دار الفكر للطباعة والنشر.

38. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن المسمى تفسير القرطبي**، ط01 (الأزهر، دار البيان العربي، شركة القدس للتصوير، سنة 1429هـ-2008م).

39. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **الكبائر**، تحقيق عبد المحسن قاسم البزار، بدون رقم وتاريخ الطبع (البليدة-الجزائر، قصر الكتاب).

40. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، **الأدب المفرد**، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار البشائر الإسلامية، سنة 1409هـ-1989م).

41. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول لله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، بدون رقم وتاريخ الطبعة (بيروت، دار الفكر، سنة 1427هـ-2007م).

42. أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، **كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد**، تحقيق علي يسين بن محمد بن ناصر الفقهي، بدون رقم وتاريخ الطبع (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية).

43. أبو عبد الله محمد بن بزير القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق بشار عوار معروف، ط01 (بيروت، دار الجيل، 1418هـ-1998م).

44. أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، خرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، ط01(بيروت، دار الكتب العلمية، سنة1428-2007م).

45. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق بشار عوار معروف، ط01 (دار الغرب الإسلامي، سنة 1996م).

46. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، **تفسير البغوي (معالم التنزيل)**، ط01 (بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، 1423هـ-2006م).

47. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان الدارمي، **سنن الدارمي**، بدون رقم وتاريخ الطبع (لبنان، دار الكتب العلمية).

48. أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمان النسائي، **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق عبد الغفار سليمان المنذاري، ط01 (بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1411هـ-1991م).

49. أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، **أحكام القرآن**، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار إحياء التراث العربي، سنة 1405هـ).

50. أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي، **الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني**، ضبط وتحقيق عبد الوارث محمد علي، ط01 (بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1418هـ-1997).

51. أحمد بن محمد الأدنروي، **طبقات المفسرين**، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، ط01 (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، سنة 1417هـ-1997م).

52. أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** (المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات)، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، ط01 (بيروت، عالم الكتب، سنة1407هـ-1987م).

53. أحمد فريد، **مواقف إيمانية**، ط01 (الإسكندرية، الدار السلفية، سنة1423هـ- 2002م).

54. أحمد حنفي، **التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن**، ط03 (مصر، دار المعارف، بدون سنة الطبع).

55. أحمد مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار إحياء التراث العربي، بتاريخ أول محرم 1365هـ).

56. إسماعيل حقي بن مصطفى الأستانبولي، **روح البيان**، بدون رقم وتاريخ الطبعة (لبنان، دار إحياء التراث العربي).

57. الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، **تفسير الجلالين بهامش المصحف الشريف بالرسم العثماني**، علق عليه أبو سعيد بلعيد الجزائري، ط01 (الجزائر، دار الإمام مالك، سنة 1431هـ-2010م).

58. الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط01(دمشق، دار القلم-وبيروت، الدار الشامية، سنة 1417هـ-1996م).

59. برهان الدين إبراهيم الباجوري، **شرح جوهرة التوحيد**، لجنة تحقيق التراث، ط01 (مصر، المكتبة الأزهرية للتراث، سنة2002م).

60. برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تخريج الآيات والأحاديث والهوامش ط01 (بيروت، دار الكتب العلمية، سنة1415-1995م).

61. حامد أحمد الطاهر البسيوني، **صحيح قصص القرآن**، بدون رقم الطبعة (الجزائر، دار البصائر، سنة 1426هـ-2005م).

62. خير الدين الزركلي، **الأعلام للزركلي** (قاموس تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط05 (بيروت، دار العلم للملايين، سنة1980م).

63. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي، **التفسير الكبير** أو **مفاتيح الغيب**، (القاهرة، المكتبة الوقفية).

64. سامر عبد الرحمان شورفي، **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** (دراسة نقدية)، ط01 (سوريا، دار الملتقى، سنة1430هـ-2009م).

65. سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ط2 (دار السلام للطباعة والنشر، سنة1409هـ-1989م).

66. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط10(بيروت، دار الشروق، سنة1402هـ-1982م).

67. عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ط01 (الجزائر، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، سنة1402هـ-1982م).

68. عبد الحميد محمود طهماز، **من موضوعات سور القرآن في سورة القصص- العنكبوت - الروم- لقمان**، ط01 (دمشق، دار القلم-وبيروت، الدار الشامية، سنة 1417هـ-1996م).

69. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان**، تحقيق عبد الرحمان بن معلا اللويحق، ط01 (الجزائر، دار الإمام مالك، سنة1430هـ-2009م).

70. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط12 (دمشق، دار القلم، 1425هـ-2004م).

71. عبد الله بن عقيل، **شرح بن عقيل على ألفية الإمام ابن مالك**، ط14 (مصر، المكتبة التجارية بميدان العقبة الخضراء، سنة 1384هـ-1964م).

72. عبد الله ناصح علواني، **تربية الأولاد في الإسلام**، ط03 (الجزائر، دار الشهاب، ترخيص وزارة الشؤون الدينية، سنة 1988م).

73. علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**، ويهامشه التفسير النسفي، بدون رقم وتاريخ الطبعة (دمشق، دار الفكر).

74. علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط02 (سوريا، مؤسسة الرسالة، سنة 1414هـ-1993م).

75. علي محمد الضباع، **إرشاد المريد إلى مقصود القصد في القراءات العشر**، بدون رقم الطبعة (طنطا، دار الصحابة، سنة 1423هـ-2002م).

76. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ط01 (بيروت، دار ومكتبة الهلال، سنة 1415هـ-1995م).

77. عمر سليمان الأشقر، **أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به**، ط02 (الأردن، دار النفائس، سنة1425هـ-2004م).

78. عمر سليمان الأشقر، **العقيدة في ضوء الكتاب والسنة** (اليوم الآخر القيامة الكبرى)، ط12 (عمان-الأردن، دار النفائس، سنة1422هـ-2001م).

79. مالك بن أنس، **موطأ الإمام مالك** على رواية يحيى بن يحيى، بدون رقم وتاريخ الطبع (الجزائر، دار الكتب).

80. محمد أحمد حادي المولى، **الخلق الكامل**، ط03 (مصر، مكتبة محمد علي صبيح، سنة 1385هـ-1965م).

81. محمد الأمين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار الفكر، سنة 1415هـ-1995م).

82. محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، بدون رقم وتاريخ الطبع (تونس، دار سحنون).

83. محمد الغزالي، **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**، بدون طبعة، (باب الواد-الجزائر، دار المعرفة، سنة 1409هـ-1989م).

84. محمد الغزالي، **خلق المسلم**، ط01 (الجزائر، مكتبة رحاب ساحة بور سعيد، سنة1997م).

85. محمد الغزالي، **عقيدة المسلم**، بدون رقم وتاريخ الطبع (الجزائر، دار المعرفة).

86. محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن**، ط03 (القاهرة، دار الشروق، سنة1417هـ).

87. محمد المكي الناصري، **التيسير في أحاديث التفسير**، ط01 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، سنة1405هـ-1985م).

88. محمد بكر إسماعيل، **وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع**، دار المنار، ط01، 1419هـ-1999م.

89. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، **تفسير ابن جزي**، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار الكتاب العربي، سنة 1403هـ-1983م).

90. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنوط، ط09 (بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1413هـ-1993م).

91. محمد بن أحمد بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، **صحيح بن خزيمة**، تحقيق مصطفى الأعظمي، ط02 (بيروت، المكتب الإسلامي، سنة 1412هـ-1992م).

92. محمد بن أحمد ميارة المالكي، **الدر الثمين والمورد المعين**، بدون رقم وتاريخ الطبع (بيروت، دار الفكر).

93. محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، **تعظيم قدر الصلاة**، تحقيق عبد الرحمان عبد الجبار الفريوائي، ط01 (المدينة المنورة، مكتبة الدار، سنة1406هـ).

94. محمد رشيد رضا، **تفسير القرآن العظيم الشهير بتفسير المنار**، ط02 (بيروت، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بدون تاريخ الطبعة).

95. محمد سعيد رمضان البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، ط08 (بيروت، دار الفكر المعاصر، سنة1418هـ-1998م).

96. محمد صالح المنجد، **سلسلة أعمال القلوب**، ط01 (القاهرة، دار الفجر للتراث، سنة1426هـ-2005م).

97. محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق فواز أحمد زمرلي، ط04 (بيروت، دار الكتاب العربي، سنة 1423هـ-2002م).

98. محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**- نظرات جديدة في القرآن، ط07 (الكويت، دار القلم، سنة1413هـ-1993م).

99. محمد عبده، **فهرس رسالة التوحيد**، بدون رقم الطبعة (بيروت، دار إحياء العلوم، سنة 1986م).

100. محمد لطفي جمعة، **نظرات عصرية في القرآن الكريم**، بدون رقم الطبعة (القاهرة، 1411هـ-1991م).

101. محمد متولي الشعراوي، **الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى**، أشرف عليه أحمد الزعبي، بدون رقم وتاريخ الطبعة (سوريا، دار القلم).

102. محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، راجعه أحمد عمر هاشم، ط01 (القاهرة، دار الكتب، سنة1991م).

103. محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، ط01 (الرياض، مكتبة المعارف، سنة 1412هـ-1992م).

104. محمود شلتوت، **تفسير القرآن الكريم العشرة أجزاء الأولى**، ط11 (القاهرة، دار الشروق، سنة 1408هـ-1988م).

105. مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ط05 (دمشق، دار القلم، سنة1428هـ-2007م).

106. ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، ط01 (الرياض، مكتبة الرشد، سنة1995م).

107. يوسف القرضاوي، **العبادات في الإسلام**، بدون رقم الطبعة (باتنة-الجزائر، دار الشهاب، سنة 1391هـ-1971م).

108. وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط02 (دمشق، دار الفكر المعاصر، سنة1418هـ-1998م).

فهرسة المواضيع

مقدمة..... أ

فصل تمهيدي 03

المبحث الأول: تسمية سورة لقمان وآياتها وأسباب نزولها..... 03

المطلب الأول: تسميتها وعدد آياتها..... 03

المطلب الثاني: وقت نزولها وسببه..... 05

المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها وللآيات فيما بينها..... 10

المطلب الأول: مناسبة السورة وخاتمة ما قبلها..... 10

المطلب الثاني: مناسبة مضمون السورة التي قبلها..... 11

المطلب الثالث: مناسبة فاتحة السورة وخاتمتها ومناسبة السورة لما بعدها..... 13

المطلب الرابع: مناسبة الآيات في السورة نفسها..... 15

المبحث الثالث: فضلها وأهم القراءات فيها وأهدافها..... 23

المطلب الأول: فضل سورة لقمان..... 23

المطلب الثاني: أهم أوجه القراءات التي جاءت في السورة..... 23

المطلب الثالث: الأهداف الكبرى لهذه السورة..... 24

الفصل الأول: الاهتداء بآيات الكتاب الحكيم ودلائل توحيد الألوهية. 26

المبحث الأول: القرآن الكريم كتاب حكيم..... 30

المطلب الأول: الأحرف المقطعة..... 30

المطلب الثاني: تحديد الكتاب لمعالم المحسنين (تفسير بعض المفردات)..... 33

المطلب الثالث: آيات الكتاب الحكيم هي السبيل للاتصاف بالحسنى..... 37

المبحث الثاني: أوصاف المحسنين المهتدين بالقرآن كما جاءت في السورة..... 42

المطلب الأول: من أبرز صفات المحسنين إقامة الصلاة..... 42

المطلب الثاني: من صفات المحسنين أداء الزكاة..... 51

المطلب الثالث: من صفات المحسنين اليقين بالآخرة..... 54
المبحث الثالث:أوصاف المسيئين المعرضين عن القرآن الكريم كما جاءت في السورة 59
المطلب الأول: الاشتغال بلهو الحديث عن آيات الكتاب الحكيم..... 59
المطلب الثاني: اللهو الذي اشتروه ومن هو صاحب هذا الإضلال..... 61
المطلب الثالث: من أوصاف المسيئين الاستكبار عن آيات الكتاب الحكيم..... 64
المبحث الرابع: جزاء المحسنين والمسيئين..... 71
المطلب الأول: جزاء المسيئين كما جاءت في السورة..... 71
المطلب الثاني: جزاء المحسنين كما جاءت في السورة..... 74
المبحث الخامس:مظاهر قدرة الله وإنعامه وإحكامه الدالة على أنه وحده واجب العبادة 78
المطلب الأول: خلق السماوات من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته..... 78
المطلب الثاني: خلق الأرض من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته..... 80
المطلب الثالث: إنزال الماء وإنبات النبات..... 83
المطلب الرابع: كل ما في الكون مخلوق لله سبحانه..... 86
الفصل الثاني: قصة لقمان نموذج من وصايا الحكماء 89
المبحث الأول: الحكمة وشكر الله عز وجل..... 94
المطلب الأول: تعريف الحكمة..... 94
المطلب الثاني: شكر الله عز وجل على الحكمة..... 98
المطلب الثالث: الشكر لله وشكر الناس..... 100
المطلب الرابع: ثمرة شكر الله عز وجل..... 104
المبحث الثاني: وصايا لقمان..... 105
المطلب الأول: الوصية الأولى: الإيمان بوجود الله ووحدانيته وعدم الإشراك به..... 106
المطلب الثاني: الوصية الثانية: عظمة علم الله وقدرته وأثرها على سلوك الإنسان..... 113
المطلب الثالث:الوصية الثالثة:الدعوة إلى القيام بالتكاليف الشرعية كبرهان على توحيد الله عز وجل 116
المطلب الرابع: الوصية الرابعة النهي عن الأخلاق السيئة المذمومة..... 125
المبحث الثالث: الحكمة تستوجب طاعة الوالدين واتباع سبيل المؤمنين. 133
المطلب الأول: الأمر بطاعة الوالدين عموما..... 134
المطلب الثاني: خصوصية الأمومة ولماذا؟..... 138

المطلب الثالث: ضابط طاعة الوالدين..... 139
المطلب الرابع: إتباع سبيل المؤمنين من الاقتداء بالمحسنين..... 141
الفصل الثالث: تسخير ما في الكون من الطاقات والثروات من أعظم نعم الله على الإنسان 147
المبحث الأول: نعم الله عز وجل وموقف الإنسان منها..... 151
المطلب الأول: النعم معناها ومصدرها ومظاهرها..... 151
المطلب الثاني: نموذج لأناس جاحدين لنعم الله عز وجل..... 155
المطلب الثالث: نموذج لأناس شاكرين لنعم الله عز وجل..... 160
المطلب الرابع: ضرورة الشكر لله عز وجل..... 163
المطلب الخامس: سعة علم الله ووجود الحساب تأكيد وضرورة لشكر الله..... 165
المبحث الثاني: التفكر في الآيات الكونية وآثاره المترتبة عليه..... 172
المطلب الأول: التفكر في آية سماوية..... 172
المطلب الثاني: التفكر في آية أرضية..... 177
المطلب الثالث: المؤمن الصبور الشكور هو الذي يهتدي بهدي القرآن الكريم..... 179
المطلب الرابع: الإلتجاء إلى الله في السراء والضراء..... 183
المبحث الثالث: الأمر بتقوى الله عز وجل وتبيان مفاتيح الغيب..... 191
المطلب الأول: الأمر بتقوى الله عز وجل..... 191
المطلب الثاني: الاستعداد ليوم البعث..... 196
المطلب الثالث: الاغترار بالدنيا والشيطان يتنافان والتقوى..... 203
المطلب الرابع: بيان مفاتح الغيب..... 208
الخاتمة..... 216
ملخص الرسالة بالانجليزية 222
فهرس الآيات القرآنية..... 225
فهرس الأحاديث النبوية..... 235
فهرس الأعلام المترجم لهم..... 238
قائمة المصادر والمراجع..... 239
ملخص الرسالة 248

فهرسة المواضيع .....

ملخص الرسالة:

سورة لقمان من السور المكية، فهي تهدف إلى إصلاح العقيدة، تقرر في مطلعها الإيمان الجازم بالمعجزة الخالدة، ومن ثم الإيمان بالنبوة للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه، كما تقرر الوحدانية لله الواحد الخالق لهذا الكون الفسيح، بالإضافة إلى الإيمان بالبعث والنشور والجزاء والدار الآخرة وأنه حق لا ريب فيه. كما بينت السورة الكريمة منهج التربية على لسان لقمان الحكيم.

كما تشير السورة إلى أن دعوة التوحيد لم تكن دعوة خاصة بالأنبياء والرسل فقط، بل كانت دعوة الحكماء أيضا، فكان لقمان الحكيم يوصي ابنه بأصول الدين ومكارم الأخلاق، والالتزام بشرع الله عز وجل.